مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
خدمة متميزة ... وعطاء مستمر

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الرابعة والثلاثون: العدد مائة واثنان وثلاثون - جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ/ ديسمبر ٢٠٢٥م

العنوان: أنوار التنزيل وأسرار التأويل
المؤلف: البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد، الشيرازي، الشافعي، ناصر الدين، أبو الخير ٦٨٥ هـ
تاريخ النسخ: ١١٧٤هـ

Title: Anwar al-Tanzeel wa Asrar al-Taweel
Author: al-Baydhawi, Abdullah ibn Umar ibn Muhammad al-Shirazi, al-Shafayi, Nasir al-Din, Abu al-Khayr (d. 685 AH)
Manuscript Copy Date: 1174 AH

شروط النشر في المجلة

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

– قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.

– قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون البحث جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍ كان، ويشمل ذلك البحوث المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في البحوث المتضمنة لنصوصٍ شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون البحث سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ بحث مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون البحث مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا على الآلة الكاتبة، أو بخطٍ واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة مبيّنًا، اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون البحث تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالبحث صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطّية المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقلّ البحث عن خمس عشرة صفحة، ولا يزيد عن ثلاثين.

ملاحظات

١ – ترتيب البحوث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

٢ – لا تُرد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلاّ لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

٤ – تستبعد المجلة أيّ بحثٍ مخالف للشروط المذكورة.

٥ – تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات الكتب، أو أيّ أعمال فكرية.

٦ – يعطى الباحث نسختين من المجلة.

مركـــز جمعـة المـاجـد للثقـــــافة والتـــــراث
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و بعد ،

فإنه يسرنا أن نبعث إليكم بنسخة من العدد (١٣٢) من مجلة آفاق الثقافة و التراث.

راجين التفضل بإرسال إشعار التسلم المرفق بالمجلة إلينا.

مع خالص شكرنا و تقديرنا لحسن تعاونكم معنا

و تفضلوا فائق الاحترام و التقدير

Dear Sir ;

Attached is one copy of Afaq Al-Thaqafa wa Al- Turath magazine, issue No (132). Please send back the enclosed receipt of Acknowledgement after filling in the required infomation.

Thank you for your kind cooperation

We remain

Gift ☐ إهداء

Exchange ☐ تبـادل

Subscription ☐ اشتراك

قسيمة اشتراك

Subscription Order Form

☐ سنة One Year ☐ أكثر من سنة More Than One Year ☐ عدد السنوات of Years

للأعداد : ..... Issues عدد النسخ : ..... of Copies:

ابتداء من تاريخ : ..... Subscription Date :

☐ شيك Check ☐ حوالة مصرفية Bank Draft ☐ حوالة بريدية Postal Draft

التاريخ : ..... Date : التوقيع : ..... Signature :

إشعار بالتسلم

Acknowledgement of Receipt

Name : ..... الاسم الكامل :

Institution ..... المؤسسة :

Address ..... العنوان :

P.O. Box : ..... صندوق البريد :

No. of Copies: ☐ عدد النسخ : Issues No.: ☐ العدد :

Subscription ☐ اشتراك Exchange ☐ تبادل Gift ☐ إهداء

Signature : ..... التوقيع : Date : ..... التاريخ :

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية علمية محكمة

تصـــدر عن قسم الدراســـــات والنشر والشؤون الخارجية
بمركـــز جمعـــة الماجـــد للثقـــافة والتـــراث
دبـــي ـ ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتـــف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكـــس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولـــة الإمـــارات العربيـــة المتحـــدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org
الموقع الإلكتروني: www.almajidcenter.org

السنة الرابعة والثلاثون : العدد مائة واثنان وثلاثون ـ جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ/ ديسمبر ٢٠٢٥ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ ـ ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليـــل
أولريخ الدولي للدوريات
تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيـــئة التحـــرير

مديـر التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. منى مجاهد المطري

هيئة التحرير
د. أبوبـــكـــر الصديـــق
د. محـمـد أحـمـد الـقـرشـي
د. فكـري عبـد المنعـم النجـار
د. محـمـد فـاضـل الـحـطـاب

الاشتراك السنوي	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٥٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٧٥ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها
ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الافتتاحية

العربية بين العلم والمعرفة: آفاق جديدة لبحثٍ يتجدّد

سكرتير التحرير ٤

المقالات

الفنون الإسلامية في الجزائر سعي دؤوب للتفرد ورسم ملامح الشخصية الجديدة

عاطف عبدالستار ٦

قيم الفنون الإسلامية بين الوحدة والعالمية وأثرها على أوروبا

أ.د. عبدالرحيم خلف عبدالرحيم ٣٣

إبراهيم الفجيجي: أميرُ الطّرَدِيّات في المغرب القديم والحديث

فجيج: محمد بوزيان بنعلي ٧٠

عبدالملك بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي (ت:٥٣٩ هـ)
حياته وماتبقى من نثره جمع وتوثيق

أ. م. د. ازاد محمد كريم الباجلاني ٨٤

تحقيق المخطوطات

رسالة:"في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"
لأبـي عبـد الله محمـد الطيب بن عبـد المجيد بن كيران (ت: ١٢٢٧ هـ)

د. مراد زكراوي ١١٧

تحصيـل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسـائل الحيازة الدائرة بين الحكام
لأبي عبد الله محمد بِنِّيس الفاسي (ت: ١٢١٤ هـ)

محمد الدحماني ١٦٥

الملخصات ١٩٦

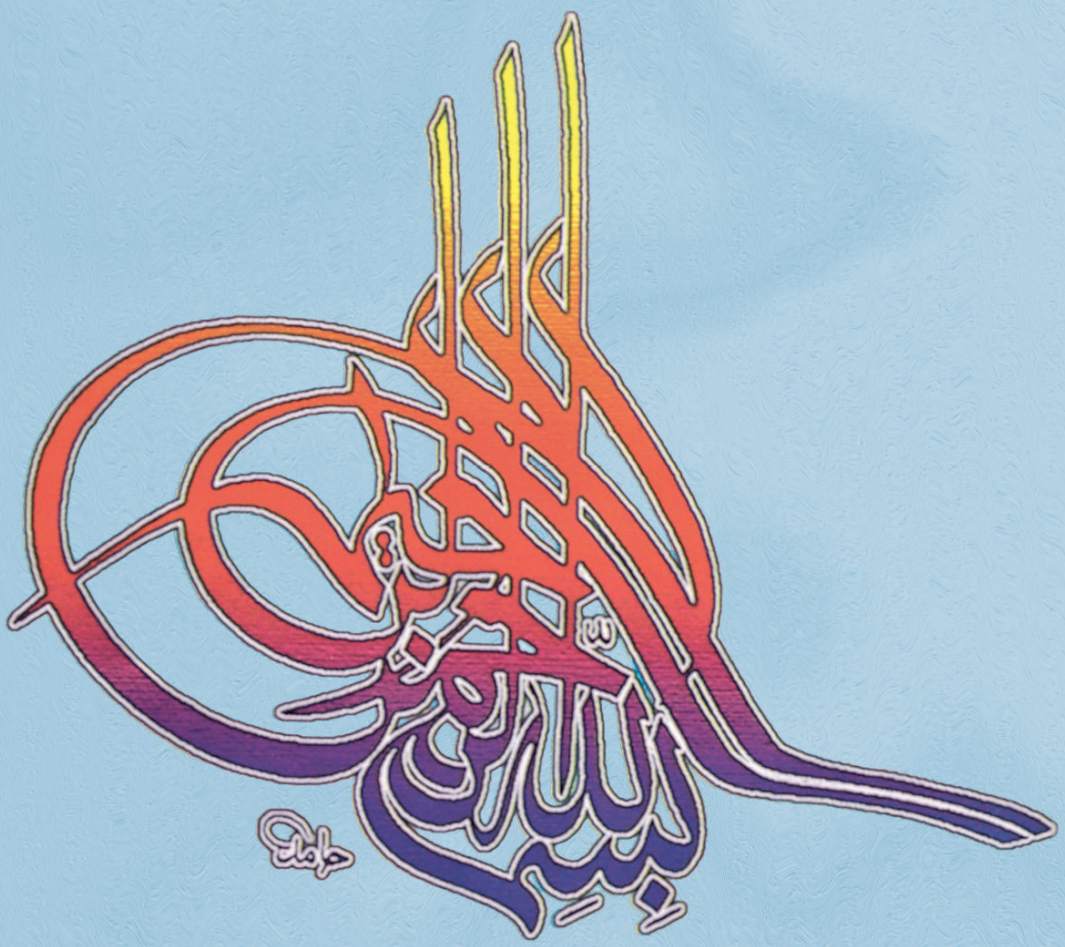
بسم الله الرحمن الرحيم
حامداً

العربية بين العلم والمعرفة:
آفاق جديدة لبحثٍ يتجدّد

يهل علينا يوم اللغة العربية كل عام بوصفه مناسبة علمية تُعيد قراءة اللغة في ضوء تطوّر المعرفة البشرية، وتضعها أمام أسئلة المستقبل بدلاً عن الاكتفاء باستحضار صور الماضي. فاللغة العربية، التي تشكّل أحد أكبر الأنظمة اللسانية من حيث البنية الاشتقاقية والثروة الدلالية، قد أصبحت اليوم موضوعا لعدد متزايد من الدراسات التي تربط بين علوم اللغة البحتة والتطبيقات التقنية والبحثية الحديثة.

لقد أثبتت التحليلات اللسانية المعاصرة أن العربية تتميز ببنية مركزية تتيح تمثيلاً دقيقًا للمعنى، وبقدرة على تكوين المصطلح العلمي وفق قواعد اشتقاقية ثابتة ومرنة في آن واحد. ويُعدّ هذا التكوين الداخلي أحد أهم العناصر التي تجعل العربية لغة قابلة للتطوير المنهجي، وقادرة على استيعاب المفاهيم الجديدة في العلوم الطبيعية والتطبيقية والإنسانية دون اضطراب في نسقها الداخلي. ولذا باتت العربية اليوم موضوعًا لبحوث متقدمة في مجالات النماذج الدلالية، والتحليل الصرفي الحاسوبي، وبرمجة اللغات الطبيعية.

ومع دخول عام ٢٠٢٦، تتجلى أهمية هذا اليوم في سياق عالمي يشهد تسارعًا غير مسبوق في تقنيات الذكاء الاصطناعي، وخصوصًا نماذج المعالجة العميقة للغة. وقد أظهرت الأبحاث أن تمثيل اللغة العربية ضمن هذه الأنظمة يواجه تحديات خاصة نابعة من تعدد صيغها الصرفية، وتنوع أنماطها الإعرابية، وتباين مستوياتها التداولية. غير أن هذه التحديات نفسها تُعد بوابة خصبة لإنتاج أدوات بحثية أكثر دقة، وتطوير أنظمة تحليل وتوليد لغوي تأخذ الخصوصية العربية في الحسبان، وتدفع بمجال اللسانيات الحاسوبية إلى مسارات أكثر تخصصًا.

ويبرز في السنوات الأخيرة اهتمام متزايد بربط العربية بالعلوم المعرفية، عبر دراسة العلاقة بين تركيب الجملة العربية والبنية الذهنية لمعالجة المعلومات، إلى جانب محاولات علمية لقياس أثر البنية الجذرية على الذاكرة اللغوية وقدرة المتعلم على اكتساب المفردات الجديدة. هذه الدراسات لا تسهم في توسيع فهمنا للغة العربية فحسب، بل تفتح آفاقًا جديدة في أبحاث الإدراك واللغة، وتعطي العربية موقعًا مهمًا في مشهد العلوم المعرفية المعاصرة.

أما على مستوى المصطلح العلمي، فيشهد الحقل العربي حركة نشطة لإعادة بناء منظومات المصطلحات، وتصميم قواعد بيانات متخصصة، وإطلاق مشروعات كبرى لتوحيد الاستخدام العلمي للمفردات. وقد أثبتت الدراسات أن نجاح العربية في اللحاق بركب العلوم الحديثة لا يتوقف على الترجمة وحدها، بل على تطوير آليات علمية لصوغ المصطلح، وتحليل شبكات العلاقات الدلالية، وتعديل البنى التعليمية بما يتيح للغة أن تكون أداة فعالة في تدريس العلوم وإنتاج كفاءات بحثية قادرة على التفكير بلغتها الأم.

إنّ الاحتفاء بيوم اللغة العربية لا ينطلق من منظور ثقافي فحسب، بل من رؤية علمية ترى في العربية نظامًا معرفيًّا جديرًا بالدراسة، ولغة تمتلك مكونات تؤهلها للإسهام في مستقبل العلم.

سكرتير التحرير

د. منى مجاهد المطري

الفنون الإسلامية في الجزائر سعي دؤوب للتفرد ورسم ملامح الشخصية الجديدة

عاطف عبد الستّار[1]

تونس

اقتربت العمارة بوصفها ضربا من ضروب التّعبير عن فهم خاصّ للعالم ورؤية محدّدة له، وشكلا ماديّا للبعد الرّوحي ولمقدّسات جماعة معيّنة تصوّرته، من مفهوم اللّغة الّتي يعكس الإنسان من خلالها طريقة فهمه للحياة،[2] فهي بمثابة رسالة مشفّرة تنطوي على كمّ هائل من المعاني والرّموز، ذلك أنّ ما يُعطي الإنسان حقّا خصوصيّة وجوديّة، هو قدرته على عقل الأشياء المحيطة به قصد التّأقلم وإنشاء شبكة من الرّموز الّتي من شأنها أن تترجم أفكاره وتبسّطها لتصل الفكر بالمادّة وبالمحيط في علاقة رمزيّة متكاملة بها يعيش الإنسان ويُؤثّث وجوده ويبني عالمه المادّي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخر المختلف.

ولعلّ هذا ما قصده بيار أنصار (Ansart Pierre) لمّا رأى أنّ **"المجتمعات سواء الحديثة منها أو التقليديّة أو تلك المسمّاة بلا كتابة، تنتج دوما متخيّلات (des imaginaires) لتعيش بها وتبني من خلالها رموزها وصورها عن نفسها وعن الأشياء والعالم، وبواسطتها تحدّد أنظمة عيشها الجماعي ومعاييرها الخاصّة".**[3] وفي هذا الإطار يتنزّل بحثنا الموسوم بـ "الفنون الإسلاميّة في الجزائر بين النّشوة والانضباط" كمقاربة فنيّة جماليّة للموروث الفنّي الإسلامي الجزائري في نسختيه الإباضيّة والمرابطيّة.

فأمّا الفنّ الإباضي (٢هـ/٨م) فهو أسلوب معماري بسيط مكبّل بفلسفة متجذّرة في نفوس فنّاني وأهالي ميزاب عامّة، أنتجه شعب استقرّ في أقاليم بعيدة[4] في أوساط طبيعيّة وثقافيّة شبه منعزلة، وأمّا الفنّ المرابطي (٤٨٣-٥٤١ هـ/ ١٠٩١-١١٤٧م) فهو عبارة عن طراز أخذ في التطوّر معتمدا على الذّاتيّة وتنقية الممارسة الإبداعيّة من التّقاليد والشّوائب المسيحيّة، فحمل في جعبته ما يحفظه من الذّوبان في سديم الآخر، وما يكفيه للتّأكيد على الصّبغة الثّقافيّة المحليّة وترسيخ دعائم الشخصيّة الإسلاميّة على مرّ

العصور.

وقد نشأ كلاهما وترعرع وازدهر بأشكال وصور مختلفة بل ومتباينة أيضا، تعكس كلّ منها رؤية وتصوّرا مختلفا لمفهوم التّشييد والبناء، كما تكشف بوضوح عبقريّة الفنّان الجزائري وقدرته على ابتكار أسلوب فنّي راقي وجميل حافظ بعضه (الفنّ الإباضي) على أهمّ خصائصه الإنشائيّة والجماليّة الأولى لمّا تشبّث به أهله وتوارثوه جيلا بعد جيل حتّى صار منهم بمرتبة الرّوح من الجسد. فيما توقّف الزّمن بالطّراز المعماري الثّاني (الفنّ المرابطي) فذهب أهله وظلّ هو شامخا خالدا يشهد لأصحابه بالجرأة بعد الخجل وبالنّشوة بعد الانضباط.

■ جامع بنورة بين ضوابط النصّ الدّيني وحدود الواقع التّاريخي والبيئي:

١. في معنى المسجد وتعدّد مدلولاته:

يضمّ تاريخ المساجد فصولا كثيرة من التّاريخ الحضاري والاجتماعي للجماعة الإسلاميّة، ويضم كذلك فصولا أخرى من تاريخ دول المسلمين، وكما كان يقال أنّ الشّعر هو ديوان العرب وهي حقيقة تؤيّدها الأدلّة، فإنّ المساجد ديوان أمم الإسلام أيضا، فهي تعرض جوانب كبيرة من تاريخها، وقد كان قيام مسجد الرّسول ﷺ من معالم قيام أمّة الإسلام في المدينة ومثّل سجلّ الفصول الحافلة من تاريخ معظم دول الإسلام الكبرى في الشّرق العربي.(٥) وكان لنصوص القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشّريفة الفضل في حثّ المسلمين على بناء المساجد، حتّى صار بناؤها ضرورة من ضرورات الشّريعة.(٦) وإن اختلف الفقهاء في حكم بنائها بين واجب ومندوب وفرض كفاية، فالمالكيّة والحنفيّة مثلا يرون أنّ بناءها واجب،(٧) أمّا الشّافعيّة فيرون أنّ حكم بنائها مندوب وليس بواجب،(٨) في حين يجمع الحنابلة بين القولين.(٩)

والمسجد بالكسر اسم لمكان السّجود، والمسجد بالفتح جبهة الرّجل حيث يُصيبه السّجود، والمسجد بكسر الميم الخُمرة وهي الحصير الصّغير(١٠) وهناك أحاديث متواترة أخرجها الحفّاظ في كتب السّيرة والفقه كالشّيخين في الصّحيحين والبيهقي(١١) تدلّ على أنّ النبيّ ﷺ كان يُصلّي على الخُمرة، وهي حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه تُنسج من السّعف.(١٢) أمّا المسجد شرعا، فهو الموضع الّذي يُسجد فيه، قال الزّركشي: **"وكذا الزّجاج، كلّ موضع يُتعبّد فيه فهو مسجد لقوله ﷺ، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.."**(١٣)

ويُفسّر الزّركشي السّبب في اختيار كلمة مسجد لمكان الصّلاة فيقول، **"لمّا كان السّجود أشرف أفعال الصّلاة لقرب العبد من ربّه اشتقّ اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع، ثمّ أنّ العرف خصّص المسجد بالمكان المهيّأ للصّلوات الخمس حتّى يخرج المصلّى المُجتَمَعُ فيه للأعياد ونحوها فلا يُعطي حكمه، وكذلك الرّبط والزّوايا والمدارس فإنّها هُيّئت لغير ذلك."**(١٤)

أمّا لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير، وهو المسجد الّذي تؤدّي فيه الجماعة صلاة الجمعة، ولذا عُرف بالجامع، **"فقد كان المسلمون في العصر الإسلامي الأوّل يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لأماكن العبادة، فلمّا اتّسعت رقعة الدّولة الإسلاميّة وزاد عدد المسلمين بزيادة من دخل في الإسلام من أهل البلاد الّتي فتحها المسلمون تعدّدت المساجد في البلد الواحد، كما**

تعدّدت الألفاظ الّتي تُطلق على أماكن العبادة فأصبح هناك مسجد وجامع. والجامع نعت للمسجد لأنّه مكان اجتماع النّاس ويُطلق على المسجد الكبير".[١٥] ولمّا تأسّست الدّولة الأمويّة أصبح المسجد الجامع يُشكّل ظاهرة سياسيّة على جانب كبير من الأهميّة، فقد كان على كلّ أمير أو عامل من عمّال الأقاليم إقامة مسجد جامع يُمثّل مسجد الدّولة الرّسمي، بالإضافة إلى الدّور الدّيني الّذي يلعبه.

وقد اهتمّ الإباضيّون شأنهم شأن بقيّة المسلمين بتشييد المساجد على طول الشّريط الصّحراوي لبلاد المغرب الإسلامي واعتنوا بها أيّما عناية بوصفها دورا للعبادة وجزء من النّسيج العمراني للمستقرّ السّكني، ففي سهل وادي مزاب مثلا أو "مصاب" كما ذكرها ابن خلدون[١٦] المحصّنة طبيعيّا،[١٧] هناك في الصّحراء الجنوبيّة الجزائريّة حيث الشّعاب الجرداء والتّلال الصمّاء، حيث شبكة من حجارة تحرقها في الصّيف شمس ملتهبة، وتهبّ عليها في الشتاء رياح ثلجيّة آتية من الهضاب العليا تعبّر أبلغ تعبير عن قسوة هذا المكان، اجتمع فيها من عنت الحياة وقساوة الظّروف الطبيعيّة ما يطرد الإنسان منها.. هناك نجد الفنّ المعماري كأهمّ المظاهر الحضاريّة لهذه المنطقة يتشكّل داخل إطار ما يُسمّى **"القصر"**[١٨] الّذي يوحي بوجود كتلة مبنيّة في قمّة تلّة صخريّة، تفرض تسلسلا محكما لمساكنها المتلاصقة والمتناسقة والمتدرّجة من الأعلى إلى الأسفل، وترتفع المئذنة في أعلى القمّة، تحرس المدينة وتعلن عن وجودها، وتعتبر الجهاز العصبي الّذي يضمن أمنها.

ويعكس هذا النّظام التراتبي أو التفاضلي إن صحّ التّعبير جانبا كبيرا من شخصيّة المجتمع المزابي المتماسك، فهذا المعمار الحضري الملتفّ حسب المثال الصّحراوي المميّز (القصور) جعل من المركزيّة الميزة الدّائمة للمدن المزابيّة،[١٩] وهذا ما يُذكّرنا بسائر أنماط العمارة الدّينيّة والمدنيّة في نظام دائري مترابط ملتحم. وفي عمق هذا النّظام الهندسي المعماري يوجد المسجد كنقطة مركزيّة، وكمحور تدور حوله كلّ مكوّنات المدينة فيغدو **"الموحّد المجالي للمدينة نظرا إلى كونه يشغل مركزها... فبوجوده في مركز المدينة يُحوّل المسجد المجال إلى مجال موجّه نحو الله، وكما يخرج بموجبه مجال المدينة من تعدّديته وتكراريّته الأفقيّة ليتّخذ شكلا عموديّا، إضافة إلى موقعه المركزي".**[٢٠]

وتُتيح الصّومعة للمسجد إمكانيّة ممارسة هذا التّحويل، فهذه الأخيرة تُعتبر أعلى نقطة في المدينة، وبذلك تنجز التّواصل مع الله كحال المسجد العتيق لقصر "بونورة" الّذي أنشأ سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٦م وهو معلم أثري وتاريخي وديني يرمز إلى فترة زمنيّة مهمّة في تاريخ وادي ميزاب، فتموضعه في أعلى الرّبوة واستيلاؤه بصريّا على محيطه الفراغي والعمراني، دليل على أهميّة هذا المعلم في حياة الميزابيين. فإلى جانب وظيفته الدّينيّة، فهو يلعب دور قاعة الاجتماعات الهامّة والمركز العلمي للمدينة ومخزن المؤن، والمركز الدّفاعي للمدينة في فترات الحكم الذّاتي ويعدّ من أشدّ المساجد المزابيّة تحصّنا، وهو لا يختلف في هيئته الدّاخليّة عن بقيّة المساجد الإباضيّة سواء في وادي ميزاب أو جربة، خال من كلّ أشكال الزّخرف الخارجي، بحيث يُراعى فيه التقشّف والابتعاد عن كلّ ما قد يشغل المصلّي أو يُلهيه

عن الخشوع في عبادته، بما في ذلك الجدران والأعمدة والأقواس والمحاريب أيضا.

فهو معلم متكامل مع النّسيج العمراني للقصر (القرية أو المدينة) الموجود فيه، ويُوافق ذلك العقيدة الإباضية من ناحية وطبيعة البربر الّذين تربّوا على بساطة العيش من ناحية ثانية، وهو يـزدان كسائر مساجد المنطقة بمئذنة مربّعة يتّخذها المزابيّون عادة رمزا لهم، قد تشبه في شكلها البرج، تتقلّص كلّما ارتفعت تزيّنها من الخارج نوافذ صغيرة قد تقتصر مهمّتها إلى جانب التّهوئة على إضاءة السلّم الصّاعد، ثمّ **"يرتفع بدنها (المئذنة) مسدّس الهيأة، فإذا قاربنا رأس المئذنة وجدنا جوسقا مربّعا هو شرفة الآذان، وهو أشبه بقمّة برج النّواقيس في كنيسة"**،[٢١] وهو طراز قد ملأ الواحات والقرى والأودية، هناك في الأماكن النّائية، حيث قساوة الطّبيعة وبساطة الحياة بعيدا عن كلّ تكلّف وعن بطش الخلافة وتنافس الدّنيا.

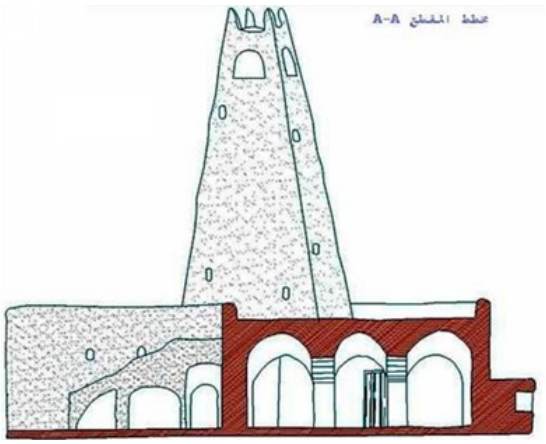

مئذنة جامع بنورة (٤٣٧هـ/١٠٤٦م).

٢. جامع بنورة: مزيج بين النّموذج العربي الكلاسيكي والنّموذج المحلّي:

إنّ المتأمّل في جامع "بنورة" من الدّاخل يُلاحظ أنّ المعماريين قد استغلّوا العناصر المحليّة من الطّبيعة في عمل فنّي من دون إقحام عناصر خارجيّة، فكأنّ بالجماليّة لديهم لا تقوم إلّا على تحقيق التّوافق مع الطّبيعة من خلال احترام بعض المبادئ الأساسيّة وهي الوظيفة، البساطة والاستجابة للحاجيات. ذلك أنّ أوّل ما يُداهمنا عند التأمّل عن كثب في هذا المسجد هو الشّعور بالألفة والتّكامل والانسجام مع كلّ ما يُحيط به من عناصر ثابتة أو متحرّكة، فيُبعدنا ذلك عن الإحساس بالتّناقض والتضادّ، ويقذف فينا إحساسا داخليّا دافئا بجوهر الموجودات الّتي تتضافر جميعها في جوّ من الألفة والتّجانس.

فالمعماري المزابي هنا لا يستعمل الطّلاء أبدا، ولا يرى ضرورة في ذلك أصلا، وأمّا ما نراه على الجدران فهو اللّون الأصلي للحجارة بوصفها العنصر الأساسي في البناء والتّشييد، وتُسمّى محليّا **"أَدْرَارْ"** وتتواجد في كلّ مكان، حيث يقوم المعماري باختيارها من بين الطّبقات الكلسيّة المنتظمة فوق بعضها البعض[٢٢]، ليستخدمها في التّبليط والعتبات، وأمّا الصّغيرة فتُشكّل العنصر الأساسي في البناية الحجريّة وتُسمّى محليّا **"مادون"**[٢٣] ويتراوح لونها بين البنّي والأحمر أو البرتقالي.

فالمعماري هنا يصارع المادّة الصّلبة والمتعنّتة حتّى يُجبرها على أن تنثني وتتمايل وتنعطف تحت إيقاع ذبذباته الفكريّة باستعمال طريقتين إنشائيّتين: فأمّا الأولى فتُسمّى المزج (Incertum) أي استعمال الحجارة كما هي في الطّبيعة دون إجراء أيّ تهذيب عليها، وهي التّقنية الغالبة على منشآت وادي ميزاب. وأمّا الثانية فهي تقنية السّنبلة (enépiouen arêtes

de poisson) وتتمثّل في وضع صفائح حجريّة صغيرة وضعا مائلا في اتّجاه معيّن ثمّ يُعكس هذا الاتجاه في الصفّ الثّاني،[٢٤] وتُلصق هذه الحجارة بمادّة **"التِمَشَمْتْ"**، وهي مادّة الرّبط الأساسيّة وهي من اختصاص مدن سهل وادي ميزاب وورقلة المنيعة والأغواط ولكن بفارق من حيث التّركيبة، والّذي سيُحدّده اللّون النّهائي للمسكن.

وتوجد مناجم "التِمَشَمْتْ" في محيط غرداية وتُسمّى **"كَدَّانْ"**، وهي عبارة عن جبس (Gypse hydraté) ذو لون رمادي، يتواجد على شكل بقع منعزلة في وسط كلسي،[٢٥] وهي حجارة ذات بنية فجويّة نتيجة عمليّة الحتّ النّاتجة عن المياه المتسرّبة، حيث تمتلئ هذه الفجوات بالرّمل وبقايا كلسيّة لتتفاعل وتُشكّل رواسب مخضّبة بالأبيض والأحمر.[٢٦]

وعلى هذا النّحو يكون المبنى المزابي عموما شكلا من أشكال الانصهار مع الطّبيعة، بل هو امتداد لها وانسجام كلّي معها، ففي هذه البيئة الصّحراويّة تغيب المرتفعات والتّضاريس العالية، وتنتشر الهضاب والتّلال والكثبان الرّمليّة، فكلّما تجوّلنا بأبصارنا في الأفق، اعترضت سبيلنا المساجد المزابيّة بمآذنها المخروطيّة الشّاهقة لتطلّ علينا من مسافات بعيدة حتّى تستقطب كلّ اهتمامنا؛ فهي تعبّر عن صورة نابضة بالحياة رغم كلّ الصّعاب، وتروي قصّة معاناة المعماري الطّويلة في سبيل إخضاع المادّة الخام وترويضها. فهذا الصّراع المحتدم وهذه الضّربات القاسية، القاسمة والمتتالية لا يُمكن أن تؤدّي في الأخير إلاّ إلى النّجاح، وطبعا ليس أسعد من الفنّان حين ينجح في أن يُزيّن بالفعل حجرا صلبا كان يتمرّد على كلّ تزيين..[٢٧]

وأمّا داخل المسجد، ففي أغلب الأحيان يكون الجير هو المادّة الأساسيّة، فبحكم الطّبيعة الجيولوجيّة الصّخريّة الكلسيّة لمنطقة وادي مزاب، تتوفّر كربونات الجير بكميّات كبيرة، حيث تُستخرج هذه المادّة أفقيّا من الهضبة الكلسيّة من الطبقات الزجاجيّة (Lanticulaire) الممتدّة على عمق متر واحد تحت سطح الأرض ثمّ توضع في أفران يصل ارتفاعها حوالي ٢م وتحتاج من ٥ إلى ٦ أضعاف ما يستهلكه "التمشمت" من حطب،[٢٨] وبعد أن يجهز يُمكن استعماله في إكساء الجدران.

فالجير مادّة رخوة ليّنة، سهلة التّشكيل، يستطيع المعماري أن يُنشئ بها ما يشاء من كُوّاتٍ ورفوف وفق أسلوب بسيط، فلا حاجة هنا للاستقامة ولا للزّركشة، فالمهمّ أن يُؤدّي كلّ عنصر وظيفته دون غلوّ ولا جفاء، فنراه يعمد في ملء الفراغ إلى استعمال تقنيات هندسيّة بسيطة كالتّكرار والتناظر والتّقابل، فيكون كلّ عنصر إنشائي هنا هو عنصر زخرفي في حدّ ذاته، ممّا ينشأ عن التقائها جميعا في نفس الفضاء بُعد جمالي مخصوص.

والتّكرار تقنية هندسيّة كثيرا التجأ إليها الإنسان قديما وحديثا لزخرفة مكان عيشه، ويُمكن أن نصنّفه إلى نوعين: تكرار مُتنامي ومتناوب، وتكرار متغيّر، فأمّا التّكرار المُتناوب فهو تكرار لنفس العنصر المعماري بحيث يكتسب قيمة جماليّة من طبيعة التّكوين في حدّ ذاته وليس من طبيعة الأشكال المُوظّفة، أي أنّ تتابع نفس العنصر المعماري الّذي يُمثّل هنا الوحدة

الزخرفيّة على كامل الفضاء أو المساحة دون إحداث أيّ تغيير عليها، يُشكّل تكوينا يُؤسّس نسقا حيويّا بحضور ثلاثة مفاهيم أساسيّة، بحيث إذا حضر الأوّل واستحضر المُتفرّج الثاني، أمكنه إدراك الثالث وهي النّظام والخيال والجمال، مع العلم أنّ النّظام هنا لا يعني التّطابق أو التّماثل، وقد يبدو ذلك من خلال تكرار العقود سواء في واجهة الجامع أو داخل بيت الصّلاة.

مشهد داخلي لجامع بنورة يبيّن حركة تكرار العقود

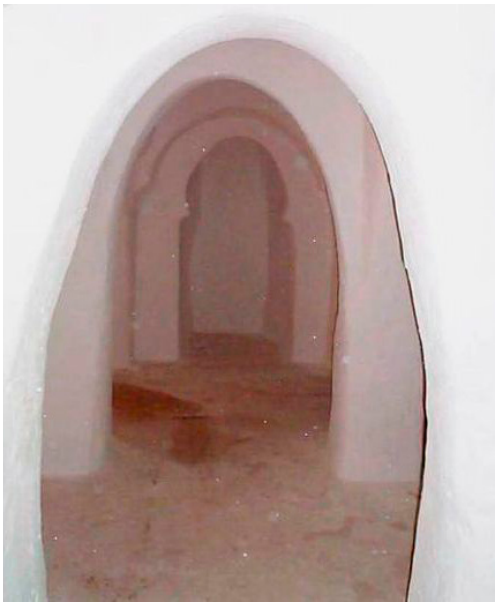

وأمّا التّكرار المُتغيّر فقد تحقق هنا عندما استخدم المعماري أكثر من عنصر معماري في نفس المساحة، إذ تختلف جميعها من حيث الشّكل والحجم أو المادّة وما يتبعها من الألوان أيضا، فيُشكّل ذلك مساحات هندسيّة مُتماثلة مُقسّمة إلى أشكال ومُضلعات وأشكال ليست متساوية في معظمها ولا تسعى لذلك أبدا، مع التّركيز على الشّكل المربّع، فهو إلى جانب رمزيته في الحضارة الإسلاميّة كما ذكرنا سابقا، فهو

سهل التّشكيل باستعمال مادّة الجير، ممّا يُعطينا تصميما يتميّز بالشموليّة أكثر من كونه اتجاها زخرفيّا محدّدا.

المربّع كوحدة زخرفيّة باعتماد تقنيتي التّكرار والتقابل.

فالخطّ هنا لا يعرف الاستقامة، يتّخذ انحناءاته ومجراه من البيئة الّتي يعيش فيها المعماري، صحراء جافّة يتنقّل حرّا طليقا بين أوديتها ورمالها وتلالـها وهضابها، عبر مسالكها المنعرجة الكثيرة الانحناءات، تعلّمه الصّبر وترويض النّفس والإيمان بالقضاء والقدر(٢٩)، والتعوّد على الحياة المخشوشنة والرّضا بما كفى لضمان البقاء في هذه الأماكن القاحلة، وليس أدلّ على ذلك من الاكتفاء بما جادت به الطّبيعة المحليّة من موادّ خام. فاللّون الأبيض مأتاه الجير والجبس، والملاط من "التمشمت"، واللّبنات من الرّمل والتّراب، والخشب من النّخيل... كلّ ذلك ممّا يُساعد المعماري على أن يُوفّق بين إنتاجه الفنّي ومحيطه الطّبيعي.

نستنتج إذاً أنّ عمليّة الإنشاء في مسجد بنورة انبنت على الانسجام بين الأجـزاء والعناصر المُتعدّدة والمختلفة من حيث الحجم والمادّة بنسب وحركات مُختلفة، وهو ما يجعل العمارة الإباضيّة عموما على الرّغم من إغراقها في البساطة، وعلى الرّغم من محدوديّة الإمكانيّات والوسائل وقسوة المناخ وتشدّد المذهب في قضايا الزّخرف، تؤسّس لجماليّة ذات مفاهيم مخصوصة يُغيّر فيها الفعل الإبداعي للمعماري المعطيات ويحوّل هذا الجمود وهذا الجفاف وهذه الصّرامة إلى عمارة أكثر حيويّة واستقلاليّة وجماليّة تلقى قبولا من العين والعقل في الآن ذاته، إذ لا مجال للخلل ولا الملل بالرّغم من أنّ التّكرار معروف بصرامته وجُموده.

وهـذا ما يُذكّرنا ربّما بعلاقة فنّ العمارة بترتيل القرآن عند المؤمن، فعلى الرّغم من ضوابط التّرتيل وقواعده الثابتة الّتي لا يُمكن بأيّ حال من الأحوال التخلّي عنها أو التّجاوز عن بعضها لأنّ في ذلك إخلال بالمعنى، فإنّه بين المدّ والإدغام والإظهار والتّرقيق والتّفخيم تعلو الرنّات وينسجم الصّوت مع القرآن ليسرّ القلوب والآذان، وكـذا الشّأن بالنّسبة لعمارة مسجد بنورة، الّذي بيّن قدرة المعماري الإباضي على كيفيّة التحكّم في الفراغ، أو بالأحرى كيف يكون الفراغ في حدّ ذاته عنصرا زخرفيّا وسط هذا الانسجام والتّداخل بين الضّوء والظّلال والكتلة والفراغ، والسّطح البسيط والمساحة المركّبة، الأفقيّة والعموديّة وهيمنة اللّون الأبيض الّذي

يرمز إلى الصّفاء والنّقاء.

وتُعطي هذه الانتقالات المقاميّة البصريّة تنوّعا وجمالا دائمين داخل تصوّر شامل وموحّد لمفهوم المسجد، وهذا ما يدفع إلى الانسجام بين السّمعي والبصري وبين لغة الفنّ بما هو إنتاج إنساني، وبين لغة الطّبيعة بوصفها شكلا من أشكال الإبداع الإلهي المطلق، فيقع الصّلح والتّوافق بين الإنسان ومحيطه وتتحقّق جماليّات "الفنّ المفتوح" الّتي تُعلن في كلّ مرّة أنّ المشاهد الحاضر في هذا الفضاء يدخل بدوره كعنصر من عناصر حركة التّعبير الجمالي، وجزء لا يتجزّأ من الموضوع الفنّي.

وقد يجد قولنا هنا صداه في وصف ابن بطّوطة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) لأجواء المسجد الحرام إبّان شهر رمضان، **"ووقع الاحتفال في المسجد الحرام لهذا الشّهر المبارك، وحقّ ذلك من تجديد الحُصر وتكثير الشّمع والمشاعل وغير ذلك من الآلات حتّى تلألأ الحرم نورا سطع ضياء، وتفرّقت الأئمّة لإقامة صلاة التّراويح فرقا...وكاد لا يبقى في المسجد زاوية ولا ناحية إلّا وفيها قارئ يُصلّي بجماعة خلفه، فيرتجّ المسجد لأصوات القراءة من كلّ ناحية، فتعاين الأبصار وتُشاهد الأسماع من ذلك مرأى ومستمعا تنخلع له النّفوس خشية ورقّة"**.(٣٠)

ولكن إذا طبعت البيئة العمل الفنّي بطابع واضح كلّ الوضوح، عميق غاية العمق، فإنّ هذا لا يمنعنا من القول بأنّ الفنّ يبقى في صميمه ظاهرة بشريّة ذاتيّة مستقلّة عن كلّ موضوع، ذلك أنّ الفنّان يُطوّع المادّة الخام لخدمة مشروعه الإبداعي ولإنشاء حاجته الجماليّة الّتي قد تتعارض في كثير من الأحيان مع وسطه الّذي يعيش فيه، لذا يكون تأثير العامل البيئي في هذه الحالة ضعيفا أمام إرادة الفنّان، لهذا اعتبر "ريبو" (Ribot) أنّ **"الفنّ يبدأ من الفرد ويعود إلى الفرد"**(٣١) طالما أنّ الحاجة الجماليّة لم تنشأ في الأصل عن مصدر اجتماعي صرف.

إلّا أنّ هذا البعد الذّاتي الّـذي تحدّث عنه "ريبو" (Ribot) قد لا يتعارض في جوهره مع القول بأنّ الفنّ يعكس بوضوح البيئة الّتي صدر منها، وإذا اعترفنا بأنّ الوعي الجمالي ليس مغلقا، وأنّ العمل الفنّي مفتوح، أمكننا أن نفهم بأنّه ثمّة ضرب من الاتّصال والاستمرارية بين عقل الفنّان وعقول المجموعة الّتي تُحيط به، أساسا عندما يتعلّق الأمر بالجماعة الإباضيّة الّتي انصهر لديها الذّاتي في الكلّي ممّا يكشف عن روابط وثيقة بين العمل الفنّي وبيئته، حتّى أضحت إنتاجاتها الإبداعيّة عموما أداة فعّالة مستمرّة تنبثق من البيئة الّتي تحيا في كنفها هذه الجماعة، دون أن نهمل طبعا العامل الفقهي، حيث تزخر المكتبة الإباضيّة بجملة من المؤلّفات المختصّة في فقه العمارة والعمران وما اتّصل بهما من حرف وفنون(٣٢)... وهي قيّمة جدّا بل وتُعدّ في حقيقة الأمر من بين النّفائس الّتي تظلّ مفخرة بالنّسبة للإباضيين في مزاب الّذين مازالوا يعيشون على تعاليمها إلى اليوم، كيف لا وهي الّتي نجحت إلى حدّ ما في التّوفيق بين الممارسة الإبداعيّة الإباضيّة طيلة العصر الوسيط كتجربة إنسانيّة ذات أبعاد جماليّة مخصوصة، وبين الشّرع الإسلامي.

- **الخصائص الإنشائيّة والتصوّرات الجماليّة لجامع تلمسان الأعظم:**

قامت الدّولة المرابطيّة كحركة إصلاح دينيّة على أكتاف بعض القبائل البربريّة وعلى المذهب المالكي الّـذي يدعو إلى إحياء السّنن النبويّة والعودة بالمجتمع الإسلامي إلى نقائه الأوّل، فاتحة بذلك المجال للاهتمام أكثر بالعمارة الدينيّة واتّخاذها كقاعدة أولى للدّعوة والجهاد، ممّا جعلها تتميّز بالبساطة على مستوى والتّخطيط والتّشييد، وتلك إحـدى أهـمّ سمات الشّخصية المرابطيّة.[٣٣]

ومع قلّة منشآتهم العسكريّة ومؤسّساتهم الحربيّة الّتي سلمت من بطش الموحّدين، إلّا أنّ هذا لا ينفي أنّ هؤلاء المجاهدين اللّمتونيين قد أولـوا عناية كبيرة بالتّحصينات العسكريّة في المغرب، وهذا ما أكّده "جورج مارسيه" (Georges Marçais) لمّا اعتبر أنّ البحث في أصول فنّ العمارة الحربيّة المرابطيّة يجب أن لا يكون بالأندلس وإنّما يكون داخل المغرب،[٣٤] مثل قلعة مونتي أجيدو (Monteagudo) الّتي تقع في منطقة زراعيّة ضواحي مرسية، أو قلعة "آمرجو" في وادي ورغة في العدوة المغربيّة، وقلعة "تاسغيموت" الّتي بناها ميمون بن ياسين، وقلعة "بني تاودا"، وقصبة النّصراني، وأسوار تلمسان..[٣٥]

كما أنّنا لا نعرف عن عمارة المرابطين المدنيّة أكثر ممّا ذكرته المصادر، كالمدارس مثل مدرسة "آجلو" الّتي بناها "وجاج بن زلو" قرب "تزنيت" جنوب غرب المغرب الأقصى حاليّا، ولم يبق لها أثر منذ عدّة قـرون،[٣٦] والقصور مثل قصر مرّاكش في عصر علي بن يوسف بن تاشفين (١١٠٦-١١٤٢م)، وقصر "تاجرارت" بتلمسان، والقناطر كقنطرة "تانسفيت" الّتي يبلغ طولها ٤٠٠ مترا وواحد وعشرين قوسا مبنيّة بالآجر والجير، غير أنّ سيلا هدمها فجدّد بنائها الخليفة الموحّدي أبو يوسف يعقوب المنصور. ولذلك نركّز في هذه الورقات على العمارة الدّينيّة المرابطيّة أساسا المسجد الجامع بتلمسان بوصفه النّموذج المميّز للمساجد المرابطيّة، بل هو النّموذج الوحيد الّـذي بقي على شكله الأصلي بوجه عامّ على حدّ تعبي الأستاذ إبراهيم حركات.[٣٧]

١. جامع تلمسان الأعظم والمواءمة بين الجهد العسكري والزّهد الدّيني:

تميّزت العمارة الدّينيّة المرابطيّة إلى جانب ضخامة البنيان بانضباطها وتواضعها وبعدها عن كلّ أشكال التّرف والبذخ باستثناء المحراب للتّركيز على جهة القبلة، حيث كشفت الزّخرفة الثريّة عن الغنى والوفرة الّتي يُمكن اعتبارها من تأثيرات مرحلة ملوك الطّوائف، لتحدث بذلك شبه قطيعة فكريّة وتقنيّة مع الطّراز الأموي الغربي في بناء المساجد، وقد واصلت مخطّطاتها البسيطة استخدام نمط القاعة المغطّاة المتعامدة القائمة على السّواري، لكنّها أولت عناية خاصّة إلى الرّواق المركزي وإلى حائط القبلة، وقد رُفعت صفوف من القباب لإبراز هذين العنصرين، أو بُنيت في حالات أخرى ثلاثة أجنحة متوازية مع حائط القبلة لتفصله عن البهو المخصّص للمصلّين.[٣٨]

ويُعدّ مسجد تلمسان الكبير أبـرز نموذج للعمارة الدينيّة المرابطية في بلاد المغرب الإسلامي لكونه المسجد الوحيد الّذي بقي على شكله الأصلي بوجه عـام،[٣٩] شيّده علي بن

يوسف بن تاشفين سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م على نمط المسجد الكبير في قرطبة ذي البلاطات المتّجهة صوب القبلة مع تركيزه على طابع البساطة من النّاحيتين الإنشائيّة والجماليّة حتّى يكون شاهدا على نقاء هذه الجماعة البربريّة وتوقها الشّديد لمعانقة الماضي السّعيد إلاّ أنّه. وقد امتاز تخطيطه بشكله المستطيل من الخارج وتبلغ أبعاده ٥٥×٥٠ مترا، وكذا الشّأن بالنّسبة لبيت الصّلاة من الدّاخل، فهي مستطيلة الشّكل تتكوّن من ستّة أساكيب وثلاثة عشر بلاطا عموديّة على اتّجاه القبلة.

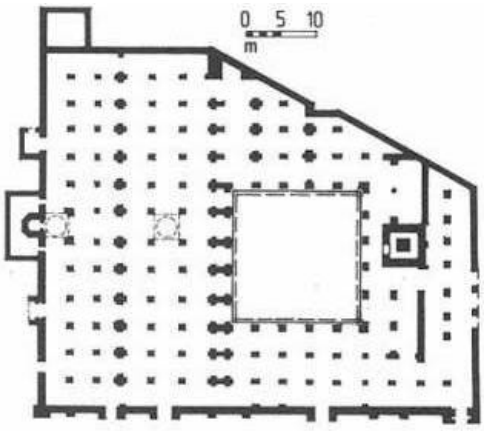

مخطّط مسجد تلمسان الأعظم.

مسجد تلمسان الأعظم.

ويرى "جوميث مورينو" أنّ صفة التضادّ هذه نجدها أيضا في جامع الجزائر على خلاف جامع القرويين الّذي استمرّت فيه الإضافات الزناتيّة ثمّ المرابطيّة وفق التّقاليد الشّرقيّة الأولى ذات البلاطات المتّجهة من الشّرق إلى الغرب،[٤٠] وهذا ربّما ما جعل هنري تيراس (Henri Tirasse) يعتقد أنّ المساجد المرابطيّة كانت ذات بلاطات عموديّة على شكل الحرف اللاّتيني (T) تمشّيا مع التّقاليد الغربيّة في الأندلس أكثر من التّقاليد الإفريقيّة،[٤١] على أنّ البلاط المحوري هنا يبدو أوسع من بقيّة البلاطات، وتقوم عليه قبّتان إحداهما فوق اسطوانة المحراب والأخرى شمالا.

وهو ما نلاحظه أيضا في مسجدي ندرومة (٤٧٤هـ/١٠٨٢م) بشكله المستطيل (عرضه ٢٨,٣٠م وعمقه ٩,٧٠م)،[٤٢] والجزائر(٤٨٨هـ/١٠٩٦م) أي أنّ عمق بيت الصلاة فيهما أقلّ عمقا من عرضهما، هذا من بين ما امتازت به العمارة المرابطيّة في المنشآت الدّينيّة. وبسبب اتّجاه المرابطين نحو المتانة أكثر من الأناقة، فقد ظهرت بيوت الصّلاة في مساجدهم أكثر ازدحاما بالأكتاف الثّقيلة الرّاسخة، وأكثر قوّة، ولكن أكثر بعدا كذلك عن الأناقة والرّشاقة، مثل الدّعائم أو الأكتاف (Piliers) السّميكة ذات القاعدة المستطيلة في مسجد تلمسان والقرويين (٥٣٠هـ/١١٣٦م) وندرومة ومسجد الجزائر بني مزغنة، والّتي بُنيت من الآجر وكُسيت بالملاط السّميك، فكانت بيضاء صامتة، مع تعذّر الحصول على أعمدة رخاميّة موحّدة المظهر والأبعاد مثل المساجد الأندلسيّة.

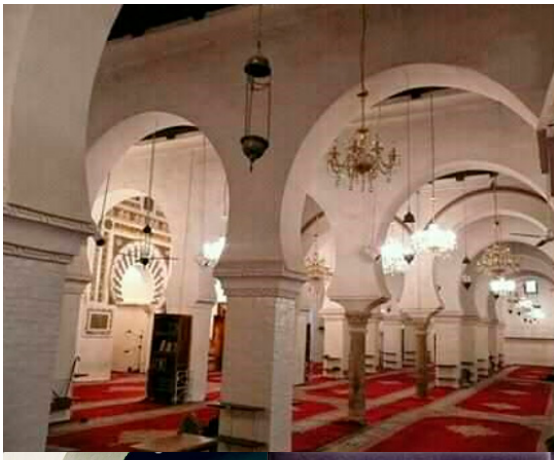

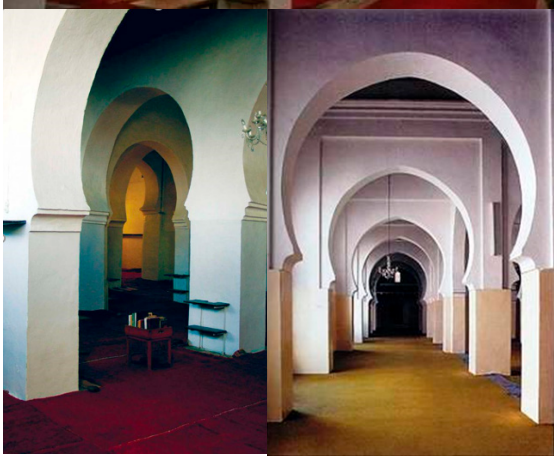

الأكتاف الثّقيلة الرّاسخة في مسجد تلمسان الأعظم.

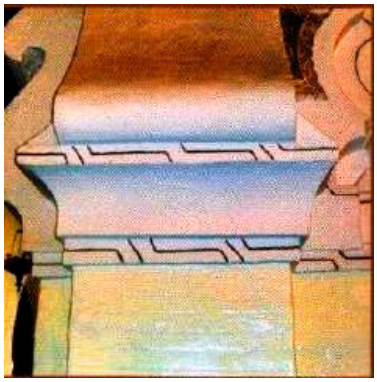

جانب من تيجان أعمدة جامع تلمسان

(عبد المالك موساوي، **فنّ الزّخرفة في العمارة الإسلاميّة بتلمسان: المساجد والمدارس**، دار السّبيل، تلمسان، ط١،٢٠١١، ص ٣٩).

ويعود ذلك في حقيقة الأمر إلى ضخامة المسجد واستحالة الحصول على أعمدة كافية منسجمة المظهر موحّدة الطّراز، إضافة إلى أنّ مُعظم منشآت المرابطين كانت دينيّة وحربيّة، ممّا جعل المساجد متأثّرة بالمنشآت الحربيّة في ضخامة البنيان وبساطة السّطوح وخلوّها من الزّخارف إلاّ ما تعلّق بالمحراب وبالقبّة الرّئيسيّة لبيان أهميّة جهة القبلة، لذلك استبدلت بالدّعامات الّتي تختلف أشكالها حسب أوضاعها والدّور المنوط بها، ثمّ أعيد استعمال الأعمدة القديمة إمّا في مهابط العقود بالمحاريب أو أنّها جعلت بارزة ومرتبطة بدعامات البلاط المحوري.

وتتزيّن تيجان أعمدة مسجد تلمسان بالسّعفات الملساء، ويجد هذا الشّكل المنحوت أصوله في قرطبة الخلافيّة، وأمّا العقود فنجد العقد المتعدّد الفصوص (Lobé) الّذي انتشر بالأندلس والعقد النّصف الدّائري المتجاوز، والعقد المتجاوز كامل الاستدارة، وعقد كتف ودرج المسمّى (فستون)،[٤٣] والعقد على هيئة حدوة فرس منكسر من أعلى كمظهر للتّأثير الشّرقي[٤٤]

يُسمّى العقد المخموس... وانتشر مع المرابطين حصر العقود داخل إطارات مستطيلة تحيط بها، مع استخدام الأكتاف المبنيّة بالطّوب لحمل العقود، فأضحى ذلك من مميّزات العمارة لدى هذه السّلالة البربريّة في بلاد المغرب،(٤٥)

الأعمدة الرخاميّة المزخرفة في مسجد قرطبة الجامع + مسجد باب مردوم.

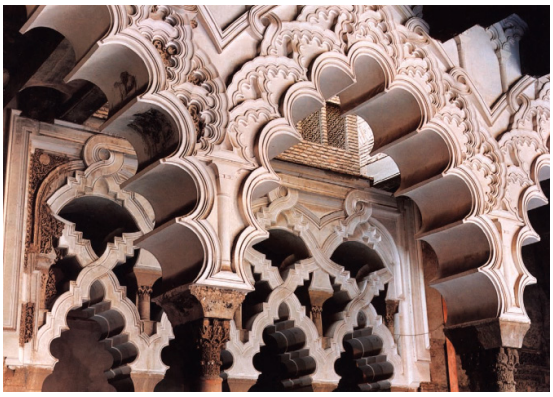

العقد المفصّص بقصر الجعفريّة بسرقسطة.

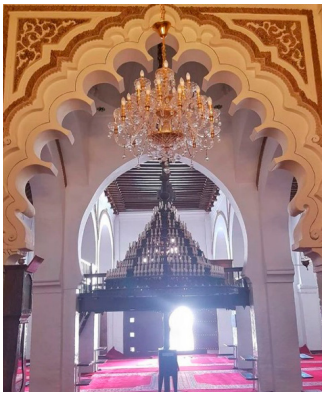

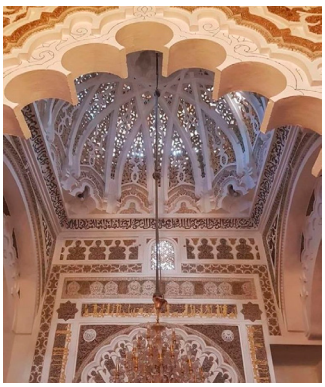

نماذج من العقود في مسجد تلمسان الأعظم.

١. الفنون الزخرفيّة بجامع تلمسان بين النّشوة والانضباط:

عُـــرف الـمـرابـطـون فـي بـدايـاتـهـم **"بطهرنيّتهم"**[٤٦] على حدّ تعبير "غرابار" (Grabar)، أي بإيثارهم الواضح لحياة البساطة والتقشّف وعزوفهم عن كلّ مظاهر البذخ والتّرف، ولكن سرعان ما تبدّل الحال لتشتهر هاته السّلالة البربرية كحال من سبقها بأناقة البلاط وفخامته، فسرت عادات دخيلة وعناصر جديدة أخذت تسود في مختلف أرجاء المملكة المرابطيّة وتستقرّ في قلوب الحكّام قبل العوامّ تكرّس لثقافة دنيويّة بحتة على حساب السّيادة الرّوحيّة وما ارتبط بها من قيم التّواضع والزّهد.. أساسا بعد أن امتدّ سلطانهم إلى كثير من مدن وأقاليم شبه الجزيرة الإيبيريّة واختلطوا بغيرهم من الأجناس وتلاقحت الثّقافات، فأدّى ذلك إلى اتّساع أفق الفنّ في أعين الأمراء المرابطين بداية من علي بن يوسف بن تاشفين (حكم بين ٤٩٩-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٣م) وأظهروا ميلهم إلى التّحف المزخرفة الأنيقة والأقمشة الحريريّة الجميلة والباهضة وما إلى ذلك ممّا قد يصلح لأمير من الأمراء واستطاعوا في حدود الإلتزامات الّتي فرضها كلّ من المصلح عبد الله ابن ياسين والزّاهد يوسف بن تاشفين أن يُخرجوا صورا جديدة للمثل الأعلى في الفنّ عندهم.

وقد أسهم هذا التوجّه الجديد نحو الأناقة والذّوق الرّفيع في انتعاشة حياة البلاط بتدفّق العلماء والشّعراء والأدباء وأهل البلاغة وغيرهم ممّن تمتّعوا بحسن الضّيافة والتّرحاب وكرم التّبجيل من ناحية، ثمّ في إلهام الفنّانين لإنجاز أعمال فنيّة عالية الجودة من ناحية ثانية، ووُجد النّبلاء والأشراف من قلّدوا الأمراء في غرامهم بالفنون، ثمّ وُجد من دونهم من كانوا سار على خطاهم وانتقلت عدوى حبّ الفنون ومظاهر البذخ والبهرج إلى غير هؤلاء وأولئك. وقد تسمح لنا نظرة ثاقبة في تفاصيل جامع تلمسان الأعظم بأن نتتبّع بدقّة حركة التطوّر الّتي شهدها المجتمع الجزائري تحت حكم المرابطين من حالة الزّهد والانضباط إلى حالة النّشوة والانفتاح تحت غطاء العامل السّياسي.

تُعدّ قبّة المسجد المرابطي بتلمسان من أجمل قباب الإسلام وخاصّة من الدّاخل حيث تتكوّن من تقاطع ١٢ عقدا من الآجر تكوّن هيكل القبّة وتشكّل هيئتها، وقد مُلئت المساحات النّاجمة عن تقاطع العقود بزخرفة من الجصّ المخرم تنتشر أسفل الضّوء النّافذ من الخارج وكأنّها غلالة من نسيج الدّانتيل الرّقيق،[٤٧] وهي عبارة عن أعضاء منشوريّة الشّكل مقعّرة من أسفل ويتراكب بعضها فوق بعض بطريقة منتظمة تتجلّى فيها البراعة الّتي تجعل من تصميمها الرّأسي شبكة هندسيّة.[٤٨] فالقبّة هنا ليست فقط مُعطى روحانيّا يرمز إلى السّماء،[٤٩] وإنّما هي صورة مصغّرة لما كان يراه المرابطي في صحرائه من اتّساع الأفق واستدارة السّماء من فوقه، وإنّ النّاظر إليها ليشعر أنّه إزاء شلّالات من الجصّ أو بالأحرى هي شلّالات من النّور والرّحمات تنزل من العالم العلوي.

ولعلّ هذه البراعة الهندسيّة المرفقة بحسّ ديني وفنّي مرهف هي ما جعلت هذه القبّة تصبح النّموذج الأوّل الّذي ألهم عديد المهندسين في فترات لاحقة ومنهم مهندس جامع تازة الموحّدي، وبذلك يكون الجامع الأعظم بتلمسان

قد منح **"العمارة الإسلاميّة المغربيّة أوّل مثال معروف للمقرنص المعماري الّذي أخذ سبيله إلى الانتشار كوسيلة لتحويل المربّع في التّخطيط الأرضي المراد إقامته فوق قبّة فوقه، فيكون المقرنص كمرحلة انتقال هندسيّة لتحويل المربّع إلى مثمّن تجلس عليه رقبة القبّة المستديرة".**(٥٠)

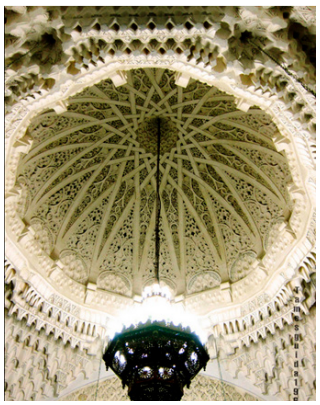

زخارف هندسيّة تتكوّن من نصف نجمة ذات ٢٤ رأسا قبّة المحراب بمسجد تلمسان.

تعلو أبواب صحن مسجد تلمسان لتحضن الزّجاج الملوّن.

وقد تبنّى المرابطون في المساجد القبّة المقرنصة والقبّة المعرّقة بشكل واسع، ففي تكوينات العقود المتقاطعة تختلط الخطوط في تصميم مربّع الشّكل، وينغلق هذا التّكوين بإفريز مثمّن الأضلاع يُحدّد طبقة أخرى من العقود المتقاطعة، وتختلط الخطوط في تصميم مربّع الشّكل وينغلق هذا التّكوين بإفريز مثمّن الأضلاع يُحدّد طبقة أخرى من العقود، ولا يزيد طول ضلع القاعدة على ٣٠٨٠ مترا، وقد بُنيت القبّة من الآجر وكُسيت بالجصّ حيث حُفرت الفجوات بين العقود مؤلّفة توريقات حول محارات كبيرة مزخرفة.

ومن بين الزّخارف المرابطيّة الأصليّة المتبقية الّتي تعكس أصولها المشتركة بين فنون العدوتين المغرب والأندلس، نجد المراوح النّخيليّة المعرّقة الشّبيهة بأوراق الأكانتس الّتي تذكر بزخارف الجعفريّة بسرقسطة وقصبة مالقة وجامع ألمرية، فهي تنشأ من العناصر العريضة الّتي تختلط بعناصر الملأ مثل الزّهيرات، لكنّها تبدو في جامع تلمسان على شكل باقات رقيقة ومؤثّثة بالزّخرفة الصنوبريّة والسّعفات والعناقيد الّتي تخرج من الزّهيرات الضيّقة، لكنّها أقلّ كثافة وتشعّبا ورخاء من تلك الّتي نجدها في "صالون ريكو" بمدينة الزّهراء أو الجعفريّة بسرقسطة سواء على مستوى المادّة المستخدمة (ليس الجصّ كالرّخام والحجارة) أو حتّى على مستوى استغلال الفضاء والألوان والخطوط والأشكال.

كما لعبت السّعفة دور الاختيار الأوّل في عمليّة ملأ الفراغات من دون أن يُحدث ذلك تراكما أو خللا بصريّا أو جماليّا، حيث يتكوّن الشّكل السّائد من نصف سعفة متفرّعة، إلّا أنّ

الرّغبة في المباهاة والابتكار تدفع إلى جعل الوريقات ملفوفة بعُيينات صغيرة، وهذا ربّما ما يجعل البحث عن الأثر الفنّي وملأ المساحات الفارغة يشكّل فيه الهاجس الأساسي للفنّان الّذي أظهر – رغم نزوعه نحو الزّهد والتقشّف في مجال الفنّ المعماري والزّخرفي – قدرة عجيبة على استحداث الموروث الزّخرفي المحلّي وحسن استثماره في تنفيذ تشكيلات زخرفيّة رصينة ورائعة أضافت الكثير إلى سجلّ العمارة الاسلاميّة في بلاد المغرب الاسلامي..[٥١]

ويرى جويو (H. Gayot) أنّ المرابطين استعملوا منذ نهاية القرن الخامس الهجري (١١م) الورقة النّخيليّة المعرّقة (Palme Nervurée) ولم يستعملوا نادرا سوى الورقة النّخيليّة البسيطة ذات العرق الموازي لحافّة الفصّ الدّاخليّة ممّا يُذكّر بالكأس،[٥٢] ومع العلم أنّ الورقة النّخيليّة الّتي تُستعمل في تركيب زخرفة ناشئة من وضع ورقتين منعكستين يُمكن تسميتها تعريشة (Palmette) وعندما تُوضع زهرة داخل التّعريشة فإنّها تتحوّل إلى قوقعة.[٥٣]

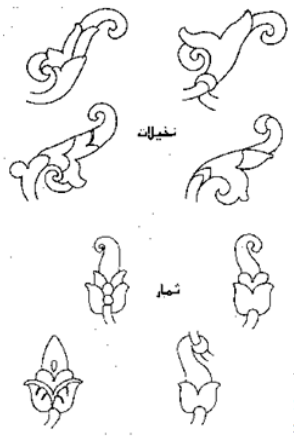

بعض النّماذج من الزّخارف النباتيّة المستخدمة في جامع تلمسان.

ويُذكّرنا محراب جامع تلمسان بهيكلته وشكله الخارجي بمحراب جامع قرطبة الكبير، فهو عبارة عن حجرة صغيرة تدخل في جدار القبلة بمقدار متر واحد بها ثلاثة عقود نصف دائريّة منقوشة على الجصّ في مساحة بيضاء ناصعة خالية من أيّة رسومات أو ألواح فسيفسائيّة، وتنحصر هذه الفتحة البسيطة داخل مستطيل كبير مزخرف بكتابات قرآنيّة من الخطّ الكوفي على الأطر الرّفيعة الّتي تحدّد الألواح العليا للعضّادات في الواجهة، وتتخلّل هذه الكتابات زخارف نباتيّة[٥٤] تتوزّع على بعض المساحات الشّاغرة بشكل متقابل وفق محور وهمي، ومع العلم أنّ هذا المستطيل قد أصبح من النّوع الشّائع في عمائر الغرب الإسلامي، حيث نراه بكثرة فيما بعد مع اختلافات في مقدار ارتفاعه المحيط بقوس المحراب من دولة لأخرى أو من طراز لآخر.

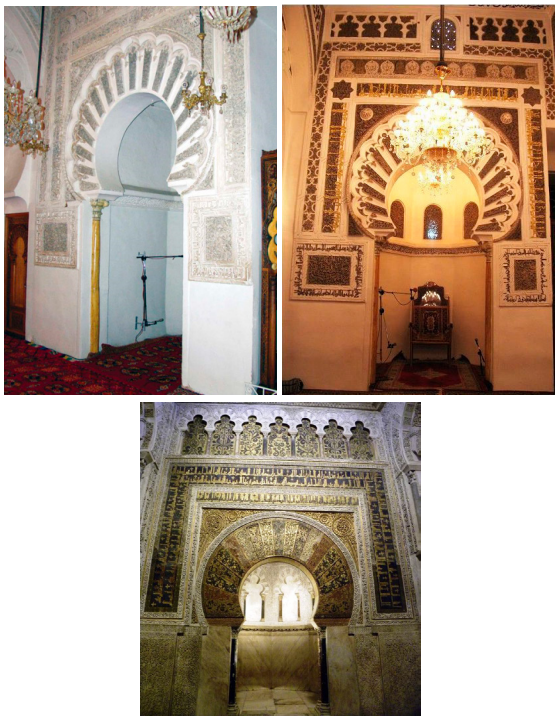

محراب جامع تلمسان المرابطي محراب جامع قرطبة الكبير.

ونجد أعلى المحراب ستّة عقود مفصّصة

متناظرة تذكّرنا بالعقود الّتي تعلو محراب مسجد قرطبة، إلاّ أنّ الفرق بينهما يكمن في بساطة العقود المرابطيّة وخلوّها من الزّخارف والفسيفساء والرّخام والألوان الزّاهية اللّوحات والفسيفسائيّة الرّائعة الّتي يعجّ بها محراب قرطبة الشّهير، إذ **"يسودها نوع من الوقار والاتّـزان"**،[٥٥] وهذا دلالة على أنّ المرابطين قد اقتبسوا من العمارة الأندلسيّة ما يتماشى مع ذوقهم وفلسفتهم المعماريّة وفكرهم الدّيني، وأعرضوا عن محاكاة المعالم ذاتها على الرّغم من قدرتهم على ذلك مثلما بيّنت ذلك "جيليرين دودز".

كما نُشير هنا أيضا إلى "العنصر الثّعباني" (Serprentiforme) الّـذي يُحيط بفتحة المحراب المرابطي، وهو عنصر جديد في العمارة الإسلاميّة يُعرف بالعنصر الملفوف،[٥٦] وقد عُرف هذا العنصر الزّخرفي بالمشرق في مسجد الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة سنة ٤٠٣ هجريّة ثمّ ظهر بقلعة بني حماد في القرن الخامس الهجري (١١م) ثم بمسجد تلمسان الجامع في ٥٣٠ للهجرة.

زخارف نباتيّة تشكّل لوحة فنيّة مُحاطة بزخرفة هندسيّة بسيطة على الجانب الأيسر من المحراب.

يقول "لوسيان كولفان" (Lucien Golvin) مُبديا إعجابه بهذه العناصر: **"لا يمكننا إلاّ أن نبدي إعجابنا بمهارة وخيال النحّات الّذي يُعرض عَمْدا عن منطق الاختيار الأسهل، إذ كان بإمكانه أن يكتفي ببعض الزّخارف النمطيّة الّتي ينحتها بملل، ولكن بمهارة تدريجيّة أصبحت حركاته دقيقة، فالصّانع يرفض هذه الرّتابة، ويعمل خياله الخلاّق باستمرار، فهو ليس مجرّد عامل أو متفنّن ماهر، ولكنّه فنّان حقيقي لا يسلّم نفسه لليأس أمام ضعف وسائل التّعبير المتوفرة له"**.[٥٧]

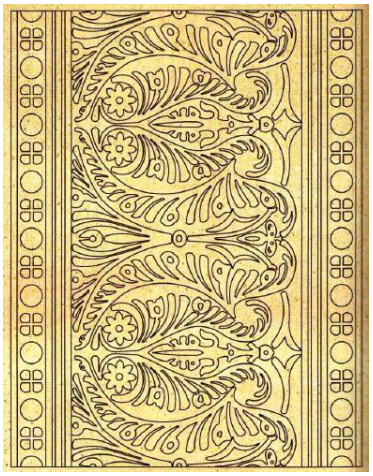

زخرفة نباتيّة بأعلى محراب مسجد تلمسان حيث استعمل فيها الفنّان المرابطي التّناظر والتّكرار لنفس الوحدة الزّخرفيّة.

كما تعدّ مقصورة المسجد الأعظم بتلمسان (٥٣٣هـ) بالإضافة إلى ما تبقّى من كوابيل خشبيّة في أجزاء من سقف المسجد من أهمّ التّحف الخشبيّة الّتي ظلّت بعيدة عن أعمال التّرميم وتعكس عناصرها الزّخرفيّة أشكال نباتات محفورة وأنصاف المراوح النّخيليّة والفروع ذات السّيقان والوريقات المسنّنة الّتي تذكّر بزخارف الجصّ المغربيّة. واستُخدم التّطعيم في الشّرائط الهندسيّة وكذلك في جزء من عناصر التّعبئة،

ويُعطي ذلك تأثيرا إجماليّا شديد الفخامة بالإضافة إلى الخطّ العربي الّذي أصبح المكمّل الأساسي لمنظومة زخرفيّة متنوّعة.

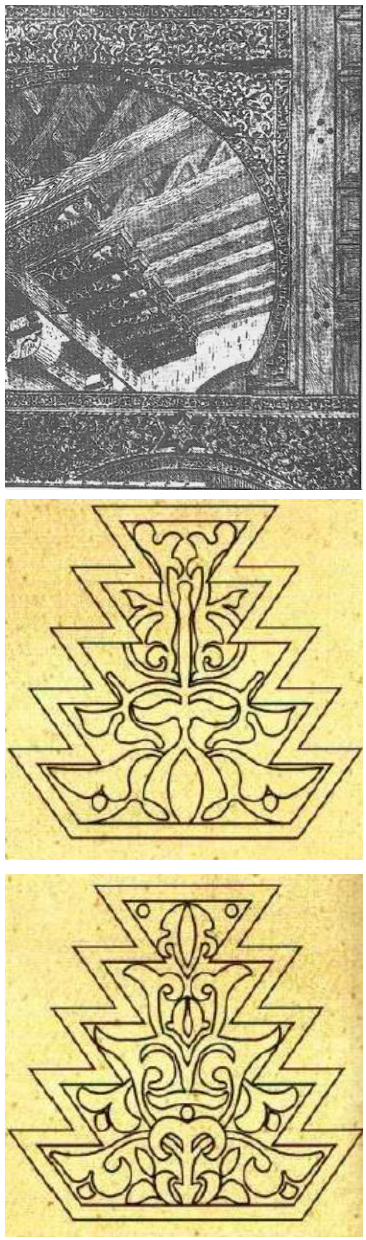

فنّ الحفر المرابطي كما يبدو بمقصورة المسجد الأعظم بتلمسان.

ارتبط الخطّ العربي بالبيان الإلهي في القرآن عن طريق توضيحه بالكتابة، ولذلك ظهرت أهميّة تجويد الخطّ والعناية به ليكون هناك جمال للخطّ يُضاهي قيمة بلاغة العبارة، وفي ذلك دلالة واضحة على وعي العرب بأهميّة الرّسالة الّتي يُمكن أن يضطلع بها فنّ الخطّ، وإقرار بثراء الإمكانات الجماليّة الّتي يُمكن أن تتجلّى من خلال ممارسة هذا الفنّ الّذي لم ينطو على ما يُمكن **"أن يُعارض التصوّر الدّيني المتعلّق بمسألة الخلق الفنّي فوجد فيه المسلمون متنفّسا لهم يكشفون به قدراتهم على الزّخرف والتّزويق.. ووجدوا له حافزا في القرآن.. فأقبلوا على إخضاع نسخ القرآن لهذا الفنّ الزّخرفي"**،[٥٨] وهذا ما ولّد تقاليد جماليّة فنيّة في التعامل مع هذا الفنّ **"فسعى المتذوّقون للجمال إلى صوغ الكتابة العربية في أشكال هندسيّة ونباتيّة متشعّبة، ومن ثمّ أخذت الخصائص الزّخرفيّة تكتسح فضاءات أخرى كالعمارة والمعادن والأقمشة"**.[٥٩]

ولمّا فتح العرب الأوائل بلاد المغرب الإسلامي استعملوا الخطّين الحجازي والكوفي كما تدلّ على ذلك قطعة نقديّة ضُربت على عهد موسى بن نصير (٩٢هـ/٧١١م) كُتبَ على الوجه الأوّل بالخطّ الكوفي البسيط (**لا إله إلّا الله وحده**) وفي الوجه الثّاني (**ضرب سنة اثنتين وسبعين**)،[٦٠] ثمّ انتشر الخطّ بانتشار اللّغة العربيّة وحروفها والقرآن الكريم وآياته بإقبال أهل المغرب على حفظ القرآن وكتابته وإتقان أساليبه والتفنّن في رسمه والإبداع في أشكاله من أجل التّرغيب فيه لضمان استمرار الدّعوة الإسلاميّة وترسيخ قيم الدّين الجديد ومبادئه، وكان صالح بن طريف زعيم دولة برغواطة (١٢٧هـ/٧٤٤م) من أشهر من أجادوا كتابة الخطّ العربي في هذه المرحلة.

ثمّ تولّد عن انتشار الخطّ الكوفي العراقي ببلاد المغرب الإسلامي الخطّ الكوفي القيرواني، ثمّ شاع الخطّ الكوفي المتفرّع عن الخطّ الكوفي

الشّامي مباشرة إثر فتح الأندلس وقيام دولة بني أميّة، وفي نفس الوقت أيضا ظهر الخطّ الإفريقي متفرّعا عن الكوفي القيرواني الّذي امتدّ إلى المغربين الأوسط والأقصى ليتّصل هنالك بالخطّ الأندلسي الّذي تولّد بدوره عن الكوفي الأندلسي. وعلى العموم فقد توزّعت حركة الخطّ في بلدان المغرب الإسلامي مدرستان: مدرسة الخطّ الإفريقي ومدرسة الخطّ الأندلسي، وساد في الفترة المرابطيّة-الموحّديّة استعمال الخطّ الكوفي المرابطي والكوفي الموحّدي والنّسخ والمبسوط والثّلث المغربي.(٦١)

ويُعدّ الخطّ المغربي تحوّلا إقليميّا لخطّ النّسخ، ولا يُعرف تحديدا وعلى وجه الدقّة أسباب هذه التحوّلات الّتي حوّلت خطّ النّسخ في المغرب الإسلامي إلى خطّ مغربي مختلف تماما عن بقيّة خطوط المشرق العربي، وربّما كان لطبيعة الأقلام المستخدمة دور في ذلك، وعلى أيّة حال، فإنّ حروف الخطّ العربي أكثر استدارة وليونة وإرسالا وأكثر تحرّرا من القواعد الكلاسيكيّة لخطّ النّسخ، كما أنّه يتّسم زيادة على ذلك بتغيير عرض حروفه أثناء الكتابة،(٦٢) وهو بذلك يُذكّر بخطّ النستعليق الّذي اشتهر في بلاد الفرس حسب قواعد ونظام تناسب خاصّ به، ويبدو أنّ الخاصيّة الإقليميّة للمغرب الإسلامي قد سمحت للخطّ بأن يبقى على رسله خاليا من قواعده المرسلة،(٦٣) هكذا استخدم الخطّ المغربي في كتابة القرآن وفي تدوين الحديث والفقه وكافة أنواع الفنون والعلوم.

وقد لعب الخطّ العربي أساسا الكوفي دورا كبيرا في الزّخرفة المرابطيّة، ويأتي في الغالب على شكل آيات قرآنيّة، إضافة إلى حضور العناصر النباتيّة على شكل تأطيرات مفروشة بالزّهيرات، والسّعفات أو الصّنوبريات، وقد قام المرابطون بتجديد فنون الخطّ عبر استخدام الحروف المتّصلة في العمارة والزّينة، وطوّروا نوعا من الخطّ الكوفي المتناسب الّذي يفصل جسم الحرف عن الاستطالات الرّأسيّة لضربات الحروف وذلك بواسطة فاصلة أفقيّة، كما طوّروا أيضا نوعا آخر من الخطّ الكوفي بإنزال خطّ رأسي شديد البروز مع خطّ رابط أفقي يمتدّ حتّى يجعل القسم الثّاني من العبارة فوق القسم الأوّل منها، وتكتنف الحروف جميعا أطواق زهريّة، وتملأ الفراغات فيها تشكيلات كثيفة من الزّهور المتّصلة بأعناقها.(٦٤)

نموذج من الخطّ الكوفي بجامع تلمسان الأعظم، مؤرّخ سنة ١١٣٦م (عثمان عثمان إسماعيل، نفسه، ص ٢٢٠).

ويُظهر الخطّ الكوفي في عهد المرابطين حروفا حسنة الرّسم وانسيابا واضحا في السّطر وتشكيلا متناسب العرض، حيث تكون المساحة الّتي يشغلها الخطّ منفصلة عن المساحة الّتي ينزل عليها الخطّ الرّأسي وذلك باعتراض عنق زهري أفقيّا.(٦٥)

ويُشكّل هذا الانفصال تناسبا واضحا في الخطّ يُدركه المشاهد بسهولة، ويظهر في مرحلة لاحقة فوق الخطّ المعترض تشكيل من الأعناق الزّهريّة المتلولبة حول الحروف تحمل وريقات نباتيّة وزهورا تشغل الجزء الأعلى من التّركيبة، وإلى جانب هذا النّسق الكوفي المحكوم بقانون

من النّسب تحدّدها الأعناق الزّهريّة، يظهر نسق آخر من الكوفي الخالي من الأعناق الزّهريّة وذلك في ضفائر أخرى يُغطّي أعلاها تشابك كثيف معقّد من السّيقان الزّهريّة المتلولبة، تتّصل بها سعفات نخيل وقُرنات من حبّ الفلفل ونوّار مقطّع وأكواز صنوبر، ونجد ذلك على حافّة إطار المحراب في جامع تلمسان.

كما كان فضل المرابطين على الفنّ كبيرا عندما أدخلوا الخطّ النّسخي بحروفه المتّصلة، وقد ذهب البعض إلى أنّ الزّيريين كانوا هم الأسبق إلى ذلك استنادا إلى كتابة منقوشة على حوض رخامي نُقش عليه بالنّسخ اسم الملك الزّيري باديس،(٦٦) ولكن المؤكّد أنّ المرابطين قد أدمجوا الخطّ النّسخي تقنيّا وجماليّا في العمارة كما يظهر ذلك في جامع تلمسان،(٦٧) وقد يعود ذلك لإرادة سياسيّة مفادها رغبة الحكّام في جعل النّصوص سهلة القراءة حتّى تكون الدّعوة للسّلالة أيسر خصوصا وأنّ هناك نسبة قليلة من المتعلّمين القادرين على قراءة الخطّ الكوفي الّذي لا يسمح بظهور الحركات بسبب شكل حروفه المتصلّبة.

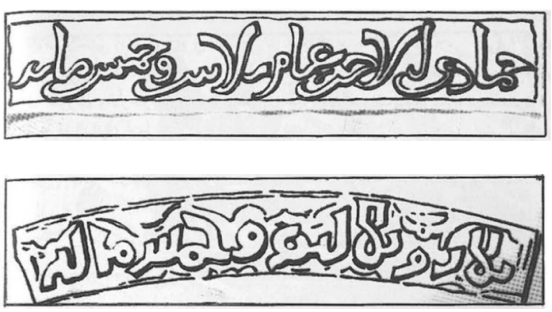

نقش مرابطي بالخطّ النّسخي في جامع تلمسان الأعظم (عثمان عثمان إسماعيل، نفسه، ص ٢١٦).

وقد تميّز الخطّ النّسخي في بداياته بافتقاره إلى الفخامة، إذ كانت حروفه واضحة، ثمّ سرعان ما تطوّر ليقوم على أرضيّة من تشكيل مزهّر بأعناق زهريّة تتطاول بشكل لولبي، ويتّخذ الخطّ هذا الشّكل في النّهايات المحدّبة من القبّة الرئيسيّة. ونجد هذا الأسلوب من الكوفي المتناسب والخالي من الفواصل الأفقيّة والزّخرفة النباتيّة أيضا على الأطر الرّفيعة الّتي تحدّد الألواح العليا للعضّادات في واجهة المحراب في جامع تلمسان الأعظم.

وهكذا أظهر الخطّ العربي مع المرابطين رصانة ممزوجة برهافة وقدرة كبيرة على التطوّر والاندماج في جميع الفضاءات والمحامل دون استثناء بما يمتلكه من إمكانات تشكيليّة وزخرفيّة متنوّعة تجمع بين الأصالة والابداع، وبما يتميّز به من حركات خفيفة ورقصات رشيقة ممّا أعطى العمارة المرابطيّة طابعا خاصّا يفيض بالحياة والنّشاط والديناميكيّة يفوح عبقا وإشعاعا موسيقيّا مطابقا لشاعريّة مرئيّة ساعية نحو اللّامرئي. علاوة على الغنى الّذي يمكن أن يضيفه التّشكيل الملحق بالحروف، فعلامات الفتح والكسر والضمّ والسّكون والتّنوين والمدّ والإدغام والشدّ كلّها عناصر تزينيّة زخرفيّة لا غنى عنها لإتمام التّناسق، وملأ الفراغات، إضافة إلى ضبط الكلمات وصحّة القراءة.

الخاتمة:

يُعدّ جامع بنورة أيقونة العمارة الاباضيّة في وادي ميزاب وذاكرة تحفظ أمجاد الإنسان الجزائري في هذه الرّبوع الطيبة، ذلك الإنسان الّذي ظلّ حريصا أشدّ الحرص على حراسة البنى الدّقيقة للهويّة الثقافيّة المحليّة برموزها،

ورسومها، ولغتها، وأساطيرها، وطقوسها وشعائرها.. وقد كان حذرا جدّا في تعامله مع كلّ العناصر الدّخيلة عليه ولو كان مأتاها المجتمعات المسلمة المجاورة له، ممّا يجعلنا نتحدّث هنا الامتداد الثّقافي أو كما سمّاه "غابرييل كامب" (Camps Gabriel) "الاستمراريّة البربريّة" الّتي تكوّن أصالة المغرب الكبير في العالم العربي وفي العالم الإفريقي على حدّ سواء، وتفنّد القول بأنّ شعوب شمال افريقيا لا تمتلك مخزونا حضاريّا يرتقي بها إلى مصاف الأمم.

فجامع بنورة دون أدنى شكّ هو عُصارة هذا الارتباط الأنثروبولوجي بين العرب والبربر، وهذا المزج بين روح الثّقافة العربيّة الإسلاميّة وبين ما يُوفّره المحيط الضيّق الّذي نشأ فيه الانسان المزابي وترعرع، لذا كان قوامه الرّوحي عربيّا وقوامه المادّي بربريّا بأسلوب مكبّل بفلسفة متجذّرة في نفوس الأهالي، لم يكن الدّافع من وجوده تقليد فنون السّلط الرسميّة، ولا انعكاسا للأطرزة المنتشرة خلال العصور الوسطى، وإنّما هو عبارة عن نموذج معماري مميّز يعكس نمطا فنيّا "إقليميّا" أو "شعبيّا" بالمعنى المعاصر للكلمة، يعبّر في مضمونه عن روح الجماعة الإباضيّة الّتي تلتصق بالأرض والتّاريخ والطّبيعة ويعكس شتّى الانفعالات الفطريّة النّاتجة عن الرّغبة الشّديدة والتّوق إلى الاستقلاليّة والسّيادة الذّاتيّة ..

في حين أنّ جامع تلمسان الأعظم ببساطته وتعقيده، وبصرامته ورقّته، وانضباطه ونشوته كان نتاجا لتداخل العامل السّياسي مع العامل العقائدي، أي أنّه ليس بالإمكان بأيّة حال من الأحوال قراءة صفحات هذا المسجد وفهم أسسه وخصائصه الإنشائيّة والجماليّة بمعزل عن دور رجل السّياسة أو عن هذا الطّابع الدّيني والعسكري للدّولة المرابطية كحركة إصلاحيّة دينيّة. ذلك أنّ المرابطين كانوا أوّل أمرهم على درجة كبيرة من التديّن وحبّ الإسلام والشّريعة والقرآن، وكانوا على حذر من البذخ الّذي سيطر على ملوك الطّوائف، وهذا ربّما ما جعل فكرة التديّن والالتزام والبداوة لدى المرابطين ترسخ في أذهان العديد من الباحثين ومؤرّخي الفنون.

وإذا لاحظ الدّارسون أنّ الفنّ إبّان حكم المصلح الزّاهد يوسف ابن تاشفين (٤٥٣-٥٠٠هـ/١٠٦١-١١٠٦م) اتّصف بالبساطة والتقشّف، فيُعزى ذلك إلى أنّ أهداف المرابطين كانت أوّل الأمر دينيّة عسكريّة بامتياز، أي القضاء على البدع وحركات المقاومة ومواجهة الخطر النّصراني وتحرير الأندلس من أيدي العابثين وتوحيد بلاد المغرب الإسلامي، فك"الجهاد" و"الإستنفار" و"الرّباط" ومنه جاء اسم "المرابطين"، وهذا ما جعلهم يُؤمّنون مراكزهم ومدنهم، فعنوا بعنصر القوّة والمناعة في أغلب منشآتهم أكثر من عنصر الزّخرفة والأناقة، واهتمّوا خصوصا بإنشاء المساجد العديدة والأسوار المنيعة حول المدن والقلاع الحصينة، والقصور العظيمة.

وأمّا الطّور الثّاني الّذي ميّز علاقة العقيدة بالفنّ المرابطيّين، فكان في عهد علي بن يوسف ابن تاشفين، حيث نلاحظ تقلّص دور العقيدة وتنامي دور الفنّ أساسا بعد أن أظهر هذا الأمير رغبة شديدة في محاكاة مآثر ملوك الطّوائف وبناء مساجد لا تقلّ جمالا وأبّهة عن مساجد الأندلس، أي أنّ الأمير قد فتح باب الإبداع على مصراعيه أمام الفنّانين من العدوتين، وشجّعهم

بشكل متواصل، وهذا ما يبدو واضحا من خلال تغيّر ملامح الفنّ المرابطي بشكل لافت للانتباه في جامع تلمسان.

ولعلّ قبّة جامع تلمسان الأعظم، خير شاهد على شغف هذا الأمير المرابطي بالفنّ والمعمار، ومع العلم أنّ هذا التحوّل لا يعني البتّة أنّه تحوّل من فنّ "الزهّاد" إلى فنّ "دنيوي" أو فنّ "ملكي" أو فنّ "البلاط".. وإنّما هو الانتقال من حالة الانضباط إلى حالة النّشوة طبقا للظّروف السياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الّتي رافقت هذا التحوّل، أي من تصوّر إلى تصوّر آخر مختلف، خاصّة وأنّ الأمير علي بن يوسف قد نشأ وترعرع في الأندلس.

الهوامش

١. دكتور باحث في التّراث الإسلامي.

٢. ينار حسن جدّو، المذاهب الفكريّة الحديثة والعمارة، دار الطّليعة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٤٠.

3. Ansart, Pierre, Idéologie, conflits et pouvoir, Paris, PUF, 1977, p. 21.

٤. ظلّت هذه الأقاليم طويلا مناطق هامشيّة بالنّسبة إلى مراكز السّلطة خلال العصر الوسيط، وبالتّالي فهي من الأقاليم النّائية بعيدة عن مجال اهتمام السّلطة الّتي لم تحاول الاستقرار في الجبال، كما بقيت هامشيّة في مصادر العصر الوسيط، لذلك فإنّ هذه المجالات تسمّى الأقاليم الرئيسيّة إلى طرفيها في مقابل المراكز الحضريّة والسياسيّة. انظر كتابنا "كيف نُفكّر في الفنّ الإباضي؟ مقاربة آثاريّة مذهبيّة للموروث الإباضي في بلاد المغرب الوسيط"، نشر وتوزيع مجمّع الأطرش للكتاب المختصّ، تونس العاصمة، ٢٠٢٢.

٥. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١، ص ٤٢.

٦. إبراهيم بن محمّد بن يوسف الفايز، البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمّد بن سعود، ١٩٨٥، ص ٨٥.

٧. الونشريشي (أحمد بن يحيى)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيّة والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧، ص ٢٢٥ / إبراهيم الفايز، نفسه، ص ٩٣.

٨. الزّركشي (محمّد بن عبد الله)، أعلام السّاجد بأحكام المساجد، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة جمهوريّة مصر العربيّة ١٩٦٣، ص ٣٨٢.

٩. الجراعي (تقي الدّين بن زيد)، تحفة الرّاكع والسّاجد في أحكام المساجد، تحقيق الشّيخ طه الولي، ط١، بيروت ١٩٨١، ص ٢٠٦.

١٠. سعاد ماهر محمّد، مساجد مصر وأولياؤها الصّالحون، مطابع الأهرام التجاريّة، ١٩٧١، ج١، ص ٢٩.

١١. السّنن للبيهقي، ج٣، ص ٤٢١.

١٢. سعاد ماهر محمّد، مساجد مصر وأولياؤها الصّالحون، ص ٢٩.

١٣. نفسه، ص ٢٨.

١٤. نفسه، ص ٢٨.

١٥. نفسه، ص ١٧.

١٦. "..أرض مصاب ما بين صحراء إفريقيّة وصحراء المغرب الأوسط" ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، دار الكتاب اللّبناني، مكتبة المدرسة، بيروت ١٩٦٠، ج٧، ص ١٢٣.

17. Hugue(M), Les conditions générales de la vie au M'zab : La médecine et les pratiques médicales indigènes, p 221.

١٨. القصر كما هو في العرف يعني القرية أو كما فسّره ناسخ الكتاب بالمنزل حسب ما جاء في كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العبّاس الفرسطائي النّفوسي، تحقيق وتعليق الشّيخ بكير بن محمّد الشيخ بلحاج والدّكتور محمّد صالح ناصر، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، ط٢ ١٩٩٧، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ١٩٩٢ ص ١٩٢. وسنعود إلى تحليل ذلك في العنصر الخاصّ بالمعالم الجديدة في العمارة المدنيّة الإسلاميّة.

١٩. تكون المدينة الإباضيّة عادة على الشّكل الإسلامي، محورها المسجد وتحيط به دور السّكن، وبجانبه السّوق، ويحصّنها سور من جميع الجهات"، فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضيّة الوهبيّة في جربة، نفسه، ص ٩٢. وتُعدّ مركزيّة المسجد أو الجامع خاصيّة المدينة الإباضيّة مستنبطة من تخطيط المدينة المنوّرة، والدينيّة.

٢٠. نور الدّين الزّاهي، المقدّس الإسلامي، دار توبوقال للنّشر، الدّار البيضاء، ٢٠٠٥، ص ٣٥.

٢١. حسين مؤنس، نفسه، ص ١٩٩.

22. Pierre Donnadieu et autres, Habiter le désert, Les Maisons Mozabites, Recherches sur un type d'architecture traditionnelle présaharienne : Architecture + Recherches, Edition Pierre Mardaga, Bruxelles, 1977, p87.

23. Marcel Mercier, La civilisation Urbaine, Ghardaïa la mystérieuse, Edition P et G. SOU BIRON, Alger, 1932, p 299.

٢٤. علي الحملاوي، قصور منطقة جبال العمور (السّفح الجنوبي) من القرن ١٦-١٩م، دراسة تاريخيّة وأثريّة، رسالة دكتورا دولة في الآثار الإسلاميّة، قسم الآثار، كليّة العلوم الإنسانيّة، جامعة الجزائر، د.ت، ص ١٩٨-١٩٩.

25.Mercier (M), Op. Cit, p 299.

26.Ibid, p 300.

27.Alain, Système des Beaux Art, Paris, Gallimard, 1926, pp 38.

28.Ibid, p 88.

٢٩. أبـو صالح الألفي، الفنّ الإسلامي: أصوله، فلسفته، مدارسه، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩، ص ٦٧.

٣٠. ابن بطّوطة، مهذّب رحلة ابن بطّوطة، وزارة المعارف العموميّة، المطبعة الأميريّة بولاق، القاهرة، ١٩٣٨، ج١، ص ١٢٦.

31.Cf. V. Feldman, L'Esthétique Française contemporaine, Alcan, 1936, p 53-54.

٣٢. من أهمّ المصادر الإباضيّة المتخصّصة في فقه العمارة نذكر:

٣٣. كتاب "الجامع" للعلّامة والفقيه أبو جابر محمّد بن جعفر الأزلوي العماني (١٣و١٤ هـ/ ٩ و١٠م): عرض فيه صاحبه لكثير من الأحكام المتّصلة بالبعد العمراني الفقهي وأفرد فيه أبوابا خاصّة بعمارة المساجد منها باب تحت عنوان "باب في المساجد" وتضمّن هذا الباب إشارات معماريّة وعمرانيّة مهمّة تتعلّق بالمساجد بناء وعبادة / كتاب "بيان الشّرع" للكندي (أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن سليمان بن محمّد بن عبد الله بن المقداد العماني (ت ٥٠٨هـ): وهو عبارة عن موسوعة فقهيّة شاملة جامعة للأصل والفرع تتألّف من واحد وسبعين جزءا تضمّنت أبوابا مهمّة مفصّلة في عمران وعمارة الأفلاج والسّواقي والطّرق والدّور والمنازل والمقابر وغيرها من المنشآت المعماريّة / كتاب "المصنّف" لأبي بكر أحمد بن عبد الله موسى الكندي(ت ٥٥٧هـ/١٢٦٢م) الّذي يتألّف من واحد وأربعين جزءا احتوى كلّ منها أحكاما فقهيّة تتعلّق بعمارة المساجد وعناصرها المعماريّة وبخاصّة الأعمدة وحكم الصّلاة بينها وكيفيّة الصّلاة في وجودها، وهي أحكام يمتدّ أثرها إلى تخطيط المسجد، كما تعرّض الكندي هنا إلى أحكام الطّرق واستخداماتها وارتباطها بالنّسيج العمراني للقرى والبلاد والمدن/ كتاب "القسمة وأصول الأرضين" لأبي العبّاس الفرسّطائي النّفوسي الّذي عبّر عن رؤية الفقيه التّخطيطيّة العمرانيّة وبخاصّة في مجال شبكات الطّرق والتّخطيط العمراني الشّامل للمستقرّ السّكني، وشملت هذه الرّؤية التّخطيط الدّاخلي لشبكة الطّرق، وكذلك الطّرق الخارجيّة الّتي تربط بين المستقرّات السكنيّة بعضها ببعض، وطرح رؤى تتّسم بالمرونة الّتي تتواءم واختلاف المواقع الّتي تنشأ عليها هذه المستقرّات.

٣٤. سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٨٦، ص ٤٩٥/ محمّد

عبد العزيز مرزوق، الفنون الزّخرفيّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس، نفسه، ص ٦١.

35. Marçais (G), op. cit, p 218.

٣٦. انظر السيّد سالم، المغرب الكبير، نفسه، ص ٧٦٥-٧٦٦، ومارسيه، العمارة الإسلاميّة، ص ٢١٩، وعثمان عثمان إسماعيل، ج٢، عصر المرابطين، الهلال العربية للطّباعة والنّشر، الرّباط، ط١، ١٩٩٣، ص ١٢١-١٢٢ وراجع: Terrasse (H) et Basset (H), Sanctuaires et fortesse Almohades, Paris, ١٩٩٢,

٣٧. عثمان عثمان إسماعيل، ص ١٦١.

٣٨. ابراهيم حركات، نفسه، ص ٢٢٣.

٣٩. ريتشارد إتّنهاوزن- أوليغ غرابار- ماريلين جنكينس مدينة، الفنّ الإسلامي والعمارة (٦٥٠-١٢٥٠م)، ترجمة عبد الودود بن عامر العمراني، دار الكتب الوطنيّة، هيئة أبو ظبي للسّياحة والثّقافة، الإمارات، ٢٠١٢، ص ٢٨٥.

٤٠. ابراهيم حركات، نفسه، ص ٢٢٣.

٤١. مورينو جوميث، الفنّ الإسلامي في إسبانيا، ص ٣٣٨.

42. Tirasse, op. cit, p230.

43. Bourbiba (R), L'Architecture Militaire de l'Algérie Médiévale, Office des publications Universitaires d'Algérie, 1983, p 109/ Golvin (L), Essaie sur l'Architecture Religieuse Musulmane, T4, L'Art Hispanos Musulman, E. Klinckseick, Paris, 1979, p 172.

44. Marçais (G), l'Architecture d'Occident, op.cit, p 232.

٤٥. انظر زكي محمّد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النّهضة المصريّة، ط١، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٥١.

٤٦. عثمان عثمان إسماعيل، ص ١٦٧.

٤٧. اتّنغهاوزن، غرابار، ماريلين جنكينس، الفنّ الإسلامي والعمارة، نفسه، ص ٢٩٤.

48. Torres Balbas, Ars Hispaniae, op. cit, p 31.

٤٩. هنري تيراس، الفنّ الأندلسي المغربي، نفسه، ص ٢٣٠-٢٤٠.

٥٠. كمال الجبلاوي، موسوعة الأفكار الرّمزيّة بالعمارة المصريّة بعد دخول الإسلام، نفسه، ص ١٢٣.

٥١. عثمان عثمان إسماعيل، نفسه، ص ١٤٧.

٥٢. هنري تيراس، نفسه، ص ٢٤٣/ أرنست كونل، الفنّ الإسلامي، نفسه، ص ١٢٣/ عثمان عثمان إسماعيل، نفسه، ص ١٦٣.

53. Gayot (H), Le décor floral de L'Islam occidental, op. cit, p 6.

54.op. cit, p 4.

٥٥. الزّخارف النباتيّة أو الرّقش النباتي أو الأرابيسك أو الرّمي، كلّها مترادفات. لمزيد من التّفصيل يُمكن العودة إلى مقالنا الموسوم بـ "مفهوم "الأرابيسك": حد اللغة بين الترجمة والاستعمال"، العدد ٢٥٤ من مجلّة الحياة الثقافيّة، تونس أكتوبر ٢٠١٤.

٥٦. عثمان عثمان إسماعيل، نفسه، ص ١٤٧.

57.Basset (H) et Provençal (L), Chella une Nécropoles Mérinide, Paris, 1923, p 79.

58.Golvin (L), Le Maghreb Central à l'époque des Zirides, Paris, 1957.

٥٩. نرجس الدّرويش، الفقه والفنّ في القرن الخامس للهجرة، نفسه، ص ٨١.

٦٠. نفسه، ص ٨١.

٦١. عمر أفا ومحمّد المغراوي، الخطّ المغربي: تاريخ وواقع وآفاق، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧، ص ٣٠.

٦٢. راجع عمر أفا ومحمّد المغراوي، نفسه، ص ١٥-٣٠.

٦٣. هاني محمّد القحطاني، الكتابة والعمارة: تحليل بصري تاريخي لأهمّ تجلّيات الخطّ العربي في العمارة الإسلاميّة، مجلّة البحوث والدّراسات القرآنيّة، العدد الثّامن، ص ٣٣٧-٣٣٨.

64.Welch (A), Arts of The Islamic Book, Cornell University Press, London, 1982, p 22.

٦٥. أنطونيو فرنانديز – بويرتاس، فنّ الخطّ العربي في الأندلس، نفسه، ص ٩٢٨.

٦٦. نفسه، ص ٩٣٠.

67.Gomez Moreno, El Arte Arabe espanol hasta los almoades, Arte Mozarabe, op, cit, p 188/ Antonio Fernandez-Puertas Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos, vol, 37, 1988, p 103.

68.Marçais (G), Art musulman d'Algérie, Album de pierre, platre et bois sculptés, op. cit, pp 17-31.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن بطّوطة، مهذّب رحلة ابن بطّوطة، وزارة المعارف العموميّة، المطبعة الأميريّة بولاق، القاهرة، ١٩٣٨، ج١.
- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، دار الكتاب اللّبناني، مكتبة المدرسة، بيروت ١٩٦٠، ج٧.
- أبو العبّاس الفرسطائي النّفوسي، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق وتعليق الشّيخ بكير بن محمّد الشيخ بلحاج والدّكتور

- محمّد صالح ناصر، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، ط٢ ١٩٩٧، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ١٩٩٢.
- الجراعي (تقي الدّين بن زيد)، تحفة الرّاكع والسّاجد في أحكام المساجد، تحقيق الشّيخ طه الولي، ط١، بيروت ١٩٨١.
- الزّركشي (محمّد بن عبد الله)، أعلام السّاجد بأحكام المساجد، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة جمهوريّة مصر العربيّة ١٩٦٣.
- الونشريشي (أحمد بن يحيى)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيّة والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧.
- إبراهيم بن محمّد بن يوسف الفايز، البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمّد بن سعود، ١٩٨٥.
- أبو صالح الألفي، الفنّ الإسلامي: أصوله، فلسفته، مدارسه، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩.
- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١.
- ريتشارد إتّنهاوزن- أوليغ غرابار- ماريلين جنكينس مدينة، الفنّ الإسلامي والعمارة (٦٥٠-١٢٥٠م)، ترجمة عبد الودود بن عامر العمراني، دار الكتب الوطنيّة، هيئة أبو ظبي للسّياحة والثّقافة، الإمارات، ٢٠١٢.
- زكي محمّد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النّهضة المصريّة، ط١، القاهرة، ١٩٤٨.
- سعاد ماهر محمّد، مساجد مصر وأولياؤها الصّالحون، مطابع الأهرام التجاريّة، ج١، ١٩٧١.
- سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٨٦.
- فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضيّة الوهبيّة في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، المكتبة التّاريخيّة، تونس ١٩٧٥.
- عثمان عثمان إسماعيل، ج٢، عصر المرابطين، الهلال العربية للطّباعة والنّشر، الرّباط، ط١، ١٩٩٣.
- عاطف عبد الستّار، كيف نُفكّر في الفنّ الإباضي؟ مقاربة آثاريّة مذهبيّة للموروث الإباضي في بلاد المغرب الوسيط، نشر وتوزيع مجمّع الأطرش للكتاب المختصّ، تونس العاصمة، ٢٠٢٢.
- علي الحملاوي، قصور منطقة جبال العمور (السّفح الجنوبي) من القرن ١٦-١٩م، دراسة تاريخيّة وأثريّة، رسالة دكتورا دولة في الآثار الإسلاميّة، قسم الآثار، كليّة العلوم الإنسانيّة، جامعة الجزائر، د.ت.
- عمر أفا ومحمّد المغراوي، الخطّ المغربي: تاريخ وواقع وآفاق، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧.

- نور الدّين الزّاهي، المقدّس الإسلامي، دار توبوقال للنّشر، الدّار البيضاء، ٢٠٠٥.
- ينار حسن جدّو، المذاهب الفكريّة الحديثة والعمارة، دار الطّليعة، بيروت، ١٩٩٣.
- Alain, Système des Beaux Art, Paris, Gallimard, 1926.
- Ansart, Pierre, Idéologie, conflits et pouvoir, Paris, PUF, 1977.
- Antonio Fernandez-Puertas Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos, vol, 37, 1988.
- Basset (H) et Provençal (L), Chella une Nécropoles Mérinide, Paris, 1923.
- Bourbiba (R), L'Architecture Militaire de l'Algérie Médiévale, Office des publications Universitaires d'Algérie, 1983.
- Cf. V. Feldman, L'Esthétique Française contemporaine, Alcan, 1936.
- Golvin (L), Essaie sur l'Architecture Religieuse Musulmane, T4, L'Art Hispanos Musulman, E. Klinckseick, Paris, 1979.
- Golvin (L), Le Maghreb Central à l'époque des Zirides, Paris, 1957.
- Marcel Mercier, La civilisation Urbaine, Ghardaïa la mystérieuse, Edition P et G. SOU BIRON, Alger, 1932.
- Pierre Donnadieu et autres, Habiter le désert, Les Maisons Mozabites, Recherches sur un type d'architecture tradition-nelle présaharienne : Architecture + Recherches, Edition Pierre Mardaga, Bruxelles, 1977.
- Terrasse (H) et Basset (H), Sanctuaires et fortesse Almohades, Paris, 1992.
- Welch (A), Arts of The Islamic Book, Cornell University Press, London, 1982.

قيم الفنون الإسلامية بين الوحدة والعالمية وأثرها على أوروبا

أ.د. عبد الرحيم خلف عبد الرحيم

جامعة حلوان

مصر

تتناول هذه الورقة البحثية قيْم وسمات الفنون الإسلامية، وكيف جمعت بين قيْم الوحدة والعالمية جمعًا مبدعًا ومنسجمًا يتميز بالعطاء الدائم والمتجدد، وهو ما أعطى لهذا الفن الخصوصية التي جعلته متفردًا في قيَمه، وخصائصه، وعناصره، وتصميماته، وإبداعاته. وفي السياق نفسه عبرت هذه الخصائص عن قدرة هذا الفن على الحوار والتأثر والتأثير في الفنون الأخرى، دون أن يذوب فيها بل عمل على أن يترك بصمته الواضحة عليها.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن بعض جوانب وقيم الفن الإسلامي الذي تميزه عن غيره من الفنون الأخرى، كونه من أهم وأوسع الفنون انتشاراً جغرافيا وتأثيرا في الفنون الأخرى، وذلك لاتساع رقعة العالم الإسلامي الذي امتد من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً. كما تميزت طرز وفنون شعوب هذه الإمبراطورية بالتنوع والوحدة، فهناكً تنوع واضح في العناصر والأساليب والتصاميم الفنية لمختلف المدارس الفنية الإسلامية مما نتج عنه فن جديد عرف بالفن الإسلامي.

وتأتي أهمية هذه الورقة البحثية من أهمية ومكانة الفن الإسلامي نفسه وما يمثله من عمق حضاري واتساع جغرافي وتنوع إنساني وقيمي وتطور إبداعي، ذلك أن الفن الإسلامي كالعلم الإسلامي والحضارة الإسلامية التي لا يمكن فهمهما إلا من خلال القاعدة الأصيلة، وهي القيم الإسلاميّة. فقيم الفن الإسلامي تنحصر بين الوحدة، المُعبّر عنها بوحدة الأمة الإسلامية: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾(سورة المؤمنون، الآية:٥٢)، وبين عالمية الفن الإسلامي المُعَبِّرة عن عالمية الإسلام نفسه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية:١٠٧).

منهج الدراسة:

سوف يتبع الباحث في هذه الورقة البحثية المنهج العلمي التاريخي من حيث جمع الأدلة من المصادر والمراجع التاريخية، والتي

تناولت خصائص وقيم الفنون الإسلامية لا سيما قيمتي الوحدة والعالمية في الفنون الإسلامية. ثم المنهج التحليلي من خلال دراسة وتحليل القيم التشكيلية لطرز وأساليب الفن الإسلامي واستخلاص أهم القيم في الفنون الإسلامية.

أهداف الدراسة:

على الرغم من كثرة الأبحاث والدراسات التي تناولت جوانب مختلفة من الفن الإسلامي إلا أن أسرار هذا الفن الكبير تحتاج إلى المزيد من البحث لكشف أسراره، ومنها هذه الورقة ومن أهدافها:

تسليط الضوء على طبيعة الفن الإسلامي، وأهم ما يميزه، وكيف أثر في الفنون الأخرى.

مناقشة ما تمتاز به الفنون الإسلامية من وحدة وترابط وسبب هذه الوحدة وما لها من أثر في الفنون الإسلامية وعلى الفنون الأخرى.

إبراز ما تمتاز به الفنون الإسلامية من قيم عالمية، وما لهذا من أثر في الفنون الإسلامية نفسها، وعلى الفنون الأخرى.

التعرف على العوامل المختلفة التي ساهمت في تشكيل سمات الفن الإسلامي وقيمه المختلفة

التأكيد على تجاوز تأثير الفن الإسلامي وقيمه حدود العالم الإسلامي إلى التأثير على الفن في أوروبا في مختلف مراحله.

إشكالية البحث: تتركز إشكالية هذه الورقة البحثية حول مناقشة القيم الإبداعية والمميزة للفنون الإسلامية، خاصة قيم الوحدة والعالمية، وأثر ذلك على تميُّز شخصية الفنون الإسلامية وقدرتها على النمو والانتشار.

أسئلة البحث:

سنحاول في هذا البحث الإجابة على عدد من التساؤلات منها: ما أهم القيم والسمات التي تميز الفنون الإسلامية؟. كيف يمكن التعرف على قيمة الوحدة في الفنون الإسلامية؟. هل يمكن وصف الفنون الإسلامية بالعالمية؟. وما أهم مظاهر سمة العالمية في الفنون الإسلامية؟. وما أهمية وأثر هذه القيم على الفنون الإسلامية؟ والفنون الأخرى السابقة والمعاصرة لها؟!.

حـــــــدود البحث:

تقتصر حدود البحث على مناقشة أهم قيم وسمات الفنون الإسلامية، لا سيما قيمة الوحدة والعالمية للفن الإسلامي في ضوء المصادر والمراجع وأهم التطبيقات والنماذج الفنية المنسوبة إلى العصر الإسلامي وأثر ذلك على أوربا.

مقدمـــــة:

على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرنًا مضت على نشأته لم يتوقف الفن الإسلامي عن التجديد والتطوير الذاتي كأي فن حي متجدد له شخصيته وإبداعه وتاريخه، وما زلنا نجهل الكثير من فصوله وقيمه، إلا أننا يمكننا تحديد أهم مراحله وانتشاره وكثيرا من سماته[1]. ولا شك أن الدراسات والأبحاث حول الفنون والآثار الإسلامية على كثرتها تحتاج إلى المزيد من البحث، وخاصة من جهة المتخصصين من العرب والمسلمين لعمق تفهمهم لمفردات الثقافة والحضارة الإسلامية. فعلى الرغم من أن هذه

الدراسات والآثـار الإسلامية بدأت وترسخت على أيدي كثير من المستشرقين الذين يرجع إليهم فضل السبق في تصنيف الفنون الإسلامية وتبويبها، مطبقين عليها القواعد العلمية الأوربية في ترتيب هذه الفنون والآثـار، فجعلوا منها أقساماً خاصة للعمارة، وأخرى للنحت والرسم البارز والحفر، وثالثة للتصوير، وأخرى لأنواع الفنون الزخرفية والزينة.

كما درس هـؤلاء المستشرقون كثيرا من المباني الإسلامية بزخارفها وما فيها من نجارة وقاشاني وأشغال معادن، وفحصوا ما وجدوه من صور وتطريز وكتابة على الأواني والأقمشة المختلفة والمصاحف والمخطوطات وغيرها[٢]. ولا شك أن جهدهم كان له أثر كبير على تقدم الدراسات الآثارية والفنية الإسلامية، وفي نفس الوقت كانوا يدرسون هذه الآثار والفنون من وجهة نظرهم متأثرين ولا شك بثقافتهم، التي قد لا تتوافق في كثير من الأحيان مع وجهة نظر الحضارة والثقافة الإسلامية[٣]. ونجح كثير منهم في الكشف عن كثير من سمات الفن الإسلامي وقيمه، ويجمل المستشرق روم لاندو مؤلف كتاب (الإسلام والعرب)[٤] قيم الفن الإسلامي بقوله: "يعتمد الفن الإسلامي تماما على عناصر الفن البصري الحقيقة، وهي العناصر الجمالية الخالصة، فالفن الإسلامـي لا يعنيه أن يروي قصة أو يلقن موعظة، أو ينافس الخالق الأوحد في محاولة تصوير الكائنات!! إن اهتمامه مقصور على تناول الخطوط والأشكال والألوان تناولا فنيا. ولقد أفـاد الفنان المسلم من فن الزخرفة العربي لتزيين أشياء الحياة اليومية كلها تقريبا"[٥]. ويمكن تناول قيم الفنون الإسلامية وخصائصه فيما يلي:

١-الوحـدة و"روح العائلـة" فـي الفنون الإسلامية:

كان لوحدة العقيدة والقيم الإسلامية الأثر الأبرز في وحدة الفن الإسلامي، وفي هذا الصدد يذكر "كونل" : "ولا شك أن وحـدة العقيدة الدينية في العالم الإسلامي أقوى تأثيراً منها في العالم المسيحي، ذلك لأن الإسلام قضى على الفوارق الناشئة عن اختلاف الأجناس والتقاليد، وعني بتوجيه شؤون الفكر والآداب والعادات في مختلف البلاد. وكان الأمر بنشر القرآن بلغته الأصلية العربية وحدها، مما جعل لها وللتعاليم القرآنية سيادة مطلقة في العالم الإسلامي كله بين جميع أفراده. ومنهم الفنانين، فكان ذلك في مقدمة العوامل التي أدت إلى ابتداع كثير من الفنون وازدهارها ووحدتها"[٦].

وعن دور الإسلام ومبادئه وآدابه في وحدة الفنون الإسلامية يذكر "مارسيه": أنه على الرغم من كثرة وتعدد نقاط الالتقاء والاتصال التي لعبت دورا مهما عبر الأزمنة التاريخية في التأثير على وحدة الفنون الإسلامية، فإن الإسلام نفسه كان هو القوة الجامعة لشعوب ومكونات الأمة المختلفة، والذي ترك بصمته على وحدة الفن الإسلامي[٧].

ويكاد يجمع الباحثون على أن قيمة الوحدة في الفنون الإسلامية تعد من أهم السمات والقيم التي تمتاز بها هذه الفنون، وتعبر عن طبيعتها وشخصيتها المميزة والتي تتميز بالتجانس والترابط، رغم تعدد مراكزها وتباعد أقطارها واختلاف جنسيات أوطانها وتنوع ثقافة شعوبها

وظهور التأثيرات المحلية فيها[٨]. ولا شك أن "التوحيد" هو جوهر رسالة الإسلام، باعتباره تأكيدًا على وحدانية الله، وكان هذا الجوهر هو أساس جميع جوانب الثقافة والفن والحضارة الإسلامية. وقد انعكس ذلك على أسس الفكر والتعبير والسلوك والفن الإسلامي. وجعل الفن الإسلامي يختلف عن شتى الفنون الأخرى، وهو أمر لا شك فيه، وهو على حد وصف جورج مارسيه أساس "روح العائلة الواحدة" التي ربطت بين أواصره وعناصره وتصميماته، وتظهر للناظر من الوهلة الأولى. ولا غرابة في ذلك، فالفن الإسلامي لم يكن متماثلا يوما، بل كان متنوعا ومتجددا ومتطورا دوما؛ لأن الفن مثل اللغة كائن حي قانونه التغير[٩].

وتتضح الوحدة في الفنون الإسلامية في الطرز العامة لعالم الأشكال والمساحات والأحجام والعناصر والتصميمات، أي المكونات المادية لهذا الفن. وللوهلة الأولى يشعر الباحث بالوحدة الجمالية السائدة في كل الإبداعات الفنية. وهي خاصية تتعلق بالفن الإسلامي وقدرته الإبداعية التي هضمت طرز الفنون السابقة دون أن يفقد شخصيته. وكما يذكر "ديماند" لو أنك عرضت على شخص تقتصر معرفته بالفنون على المبادئ العامة والبسيطة صورا متنوعة، لتحف مصنوعة في العصور الإسلامية مثل تحف من العاج الأندلسي وقطعة أخرى من النسيج المصري، وثالثة من الزجاج الدمشقي فلا شك أنه يشعر بوحدة أساليبها، ولا يتردد في الحكم بانتمائها جميعا إلى الفن الإسلامي[١٠]. وفي الوقت نفسه لا نجد تحفتين متماثلتين في الفن الإسلامي.

٢- مظاهر العالمية في الفنون الإسلامية:

لعل أول ما يسترعي الانتباه فيما يخص الإسلام والحضارة الإسلامية، هو أن هذا الإسلام دينٌ عالميٌ منذ ظهوره. فلم يبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقفًا على العرب من سكان شبه الجزيرة العربية، ولكن بدأ بتبليغ رسالة الإسلام لملوك عصره بإرسال الرسائل إليهم لدعوتهم وقومهم إلى الإسلام[١١]. وأكد هذه الحقيقة القرآن الكريم﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء:١٠٧). الشيء الثاني الذي يسترعي الانتباه هو عالمية الثقافة الإسلامية، ويعبر عن هذه الفكرة ببساطة منقطعة النظير، اتجاه جميع مسلمي الأرض ومنذ فجر الإسلام، من بيض وسمر وسود وصفر، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، اتجاههم جميعا في خمس أوقات كل يوم إلى بيت الله الحرام في مكة[١٢]. وقد اتسع نطاق الثقافة والفنون الإسلامية من المحلية والإقليمية إلى العالمية بشكل متدرج وسريع.

ففي القرنين الأول والثاني الهجريين كان يسود الدولة الإسلامية الطراز الأموي في العاصمة دمشق، ثم الطراز العباسي بعد سقوط بني أمية سنة (١٣٢هـ/٧٥٠م). فمنذ عام (١٦هـ/٦٣٧م: ٣٠هـ/٦٥١م) ضم المسلمون إيران وبلاد ما بين النهرين. ومن ناحية أخرى استطاعوا فرض سيطرتهم على ثلثي الدول التي تطل على البحر الأبيض المتوسط مثل سوريا عام(١٢هـ/٦٣٣م: ١٩هـ/٦٤٠م) ومصر عام ١٤هـ/٦٣٥م: ٢٤هـ/ ٦٤٥م)، وبلاد شمال أفريقيا عام ٢٦هـ/٦٤٧م: ٧٩هـ/ ٦٩٨م)، والأندلس عام(٩٣هـ/٧١١-

٧١٢م)، وهكذا تحول "بحر الروم" القديم إلى بحيرة تقع تحت الحكم الإسلامي، كما واصلوا زحفهم حتى مدينة كشجار[١٣] في الصين الغربية سنة (٧١٤م)، إلى أن وصلوا إلى مدينة واتييه في قلب فرنسا عام (٧٣٢م) وهكذا دانت كل هذه الإمبراطورية في هذه الفترة المبكرة من عمر الدعوة الإسلامية[١٤].

ثم ظهرت العديد من الطرز بعضها عاصر طراز العباسيين، وبعضها جاء بعد سقوطهم مثل الطراز الأندلسي في الغرب الإسلامي، والطراز المصري السوري في وادي النيل وسوريا، وأيضا الطراز الفارسي في إيران، وطراز عثماني في الإمبراطورية العثمانية التي توسعت ووصلت إلى حدود فينّا في أوروبا. وطراز هندي في الهند الإسلامية. وهناك طراز آخر هو الطراز الصقلي النورماندي في جزيرة صقلية[١٥]، وفي دراسة موسعة عن الفنون الإسلامية في الصين أكدت الدلائل الآثارية والفنية بلوغ مراكز الفنون الإسلامية إلى مناطق واسعة في الصين، وجنوب شرق آسيا، وأثر ذلك على اليابان وكوريا وأصبح فيهم طراز صيني إسلامي مميز واسع الانتشار، وكذلك مناطق الحكم الذاتي على الحدود الصينية، حيث وصلت الحضارة والفنون الإسلامية إلى الفلبين، وسيبريا، ومنغوليا، وروسيا، وسريلانكا، وهونغ كونغ، وتايوان، وسنغافورة، وتايلاند، وبروناي، وغيرهم، مما يؤكد على عالمية واتساع الحضارة والفنون الإسلامية[١٦].

كما استطاع الإسلام أن يؤلف بين قلوب وعقول هذه الشعوب المترامية الأطراف، والذي كان سببا في خلق وحدة أخرى هي وحدة التعبير الحضاري والفني العالمي. فعبرت الشعوب الإسلامية عن حياتها في كافة جوانبها لا سيما الفنية والجمالية منها تعبيرا متجانسا ومترابطا ومتكاملا بطريقة منقطعة النظير على كل بقاع العالم الإسلامي[١٧]. لدرجة أن من يحاول معالجة التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ ديني يدفعنا- كما قال المؤرخ "مونتجومري وات: "إلى عدم القدرة عن التوقف عن الضحك لسذاجة هذا التفكير لأن الدين الإسلامي يدفع المسلم إلى إعمال ذهنه والتفكير في كل شيء .."أفلا يعقلون".. "أفلا يتفكرون".. "أفلا ينظرون". ولا شك أن العمائر والفنون الإسلامية التي تركها فنانو عالم الإسلام في العصور الإسلامية المختلفة، تعد شواهد ثابتة على فكرة عالمية الحضارة والفنون الإسلامية[١٨] وخصوصيتها في الوقت نفسه.

ويصف المستشرق "روم لاندو" مؤلف كتاب (الإسلام والعرب) عالمية الفن الإسلامي بقوله: "في تاريخ جد مبكر اكتسب الفن الإسلامي صفة دولية أكثر منها قومية، فليس من الضروري أن تكون خبيرا لكي تتبين لأول وهلة أن اللوحة التي رسمتها ريشة الفنان فراغونار Fragonard (١٧٣٢-١٨٠٦م) فرنسية، وأن اللوحة التي رسمتها ريشة الفنان تيتيان Titian (١٤٧٧-١٥٧٦م) إيطالية، وأن اللوحة التي رسمتها ريشة الفنان كونستابل constable (١٧٧٦-١٨٣٧م) إنجليزية. ولكن عليك أن تكون خبيرا لكي تستطيع أن تقول: ما إذا كانت نماذج الفن الإسلامي التي نجدها في مبنى بعينه أو تحفه خزفية- وبخاصة في فن العمارة- نشأت في فارس أو مصر أو المغرب أو تركيا أو الهند؟،

فقد خلع الفن الإسلامـي طابعه المميز على الفن الإسلامي في أسبانيا كما خلعه على الفن الإسلامي في الهند، وصقلية، والقسطنطينية، وفي شبه الجزيرة العربية، وآسيا الصغرى، وحيثما واجهك استطعت أن تتبينه في الحال وتعرفه بسيماه"[١٩].

ولعل من أظهر النماذج الدالة على عالمية الفنون الإسلاميـة المساجد ورمزها الأبـرز وهو المآذن الشاهقة متعددة الطوابق والطرز والعصور التاريخية في شتى بقاع المعمورة (مآذن مصر، مآذن الشام ، مآذن العراق، مآذن إيران، مآذن جمهوريات روسيا الإسلامية، مآذن الهند، مآذن تركيا، مآذن المغرب والأندلس، ومآذن دول البلقان وغيرها) (يبلغ عدد المساجد في الصين فقط ٣٥ ألف مسجد[٢٠]). والمآذن مثال واضـح على عالمية العمارة والفنون الإسلامية[٢١]. لوحة(١، ٢، ٣). وتتعدى عالمية المآذن العالم الإسلامي إلى أوروبا، وفي ذلك يذكر "روم لاندو" عن دور المئذنة في أوربا: "لقد أصبحت المآذن نموذجا يحتذى به في تشييد برج الأجـراس النصراني، وبرج جيرالدا في أشبيليه، وهو واحد من أروع أبراج الكنائس في العالم المسيحي، إنما بناه في الأصل حكام مراكش الموحدون ليكون مئذنة مسجد. وهناك أثرٌ من المئذنة لا يخطئه المرء في بعض أبراج الكنائس الأوربية الشهيرة كبرج بالاتزو فيتشييو (Palazzo Vecchio) في فلورنسا، وبرج ديل كومون (Torre del commune) في فيرونا. كما نجد أثر المآذن الإسلامية في الأبراج الأنيقة التي شيدها المعماري السير كرستوفر دين في بعض كنائس لندن"[٢٢].

كما يقف "فن الأرابيسك" بتصميماته وسعة انتشاره في العالم الإسلامـي شرقًا وغربًا في قارات العالم القديم الكبرى شاهدًا على عالمية الفنون الإسلامية. فمن خلال لوحات فنية رائعة شارك في إنتاجها فنانو عالم الإسلام من مختلف الأقطار والجنسيات، في ضوء أمثلة ونماذج لا يمكن حصرها من روائع زخارف فن الأرابيسك التي نراها منتشرة في العمائر الإسلامية والفنون الإسلامية والمنتشرة في المتاحف في جميع أنحاء العالم[٢٣]. لوحة (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١).

٢- قيـم الحضارة الإسلاميـة وأثرها في الفن الإسلامي:

كان لطابع الحضارة الإسلامية أثرها الكبير على جميع جوانب الفنون الإسلامية. ويندر أن توجد أية عمارة أو بناية خاصة أو قطعة فنية في أي بلد إسلامي لا تتوافق مع قيم الحضارة الإسلامية، ولهذا ومن خلال مبادئ الحضارة الإسلامية التي تقوم على التوحيد الخالص لله، وأن اسم الجلالة "الله" في الإسلام من صفاته: "ليس كمثله شيء"، وهو العظيم الذي لا يمكن أن يظهر في شكل معين ومحدد، ولا يمكن الإحاطة بـه، والنهي نهيا باتا عن تصويره وتجسيده[٢٤]. وهذا النهي ظهر جليا في زخرفة العمائر الدينية، والأدوات الخاصة بالعبادات، مع تأثيرها الواضح على تطور الفن الإسلامي فالتزم الفنان بمنع نحت التماثيل، وعمل الصور الدينية والأيقونات، كما نهى عن صدق تمثيل الطبيعة وخاصة فيما فيه روح[٢٥]. ومن هنا نفهم الزخارف الإسلامية بشكل عام من حيث بعدها عن تجسيد الإله، وتصويره وضد عبادة الأوثان في العالم العربي والإسلامي[٢٦].

وأصبح بعد "التصوير الإسلامي" عن أصول تصوير الهيئة البشرية القريبة من الواقع، إنما تستدعيه نية مستقرة في الطبع، مبعثها الاستهانة بعظمة الإنسان. هذا الإنسان الذي ركّزه في قلب العالم فلاسفة اليونان، وأهل الأدب والفن في إيطالية الناهضة، أولئك الذين فخموا منزلة البشرية، ومجدوا العُري الصريح في مصوراتهم ومنحوتاتهم، فجاء الإنسان معهم جميعا "مقاس الأشياء" كلها، كما قال "بروثاغورس". ولم يكن من الإسلام إلا أن ينكر هذا الشطط والمنكر[٢٧]. وجاء بنظرة مختلفة تقوم على عقيدة الوحدانية التي تمثلت بالإيمان المطلق بعظمة الله، وأنه الخالق البارئ المصور. من هنا اتجه الفن الإسلامي للتحوير، والتجريد، والبعد عن التمثيل الواقعي والتجسيد، والبعد الثالث، والظل والنور، والنسبة والتناسب، في رسم وتصوير الكائنات الحية تحاشيا لمضاهاة خلق الله"[٢٨].

كما كان للآداب الإسلامية أثرٌ في تطور هذه الفنون والعناية بها. وانبثقت من هذا الطابع الإسلامي تقاليد أثرت على الروح المعمارية والفنية والإنسانية؛ فتخطيط المسجد قد صمم ليلائم العبادات ومحققا الهدوء والسكينة وروح الجماعة وملائما لكثير من الأنشطة الإسلامية. كما يتضح أثر الطابع الإسلامي على الفنون الإسلامية في ضوء ما فرضه الاسلام على المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب عند السير في الطريق، فقد لزم أيضا ذلك سترها عند بناء الحرملك (الجزء الخاص بالنساء) في عمارة المنازل والقصور فتطابق الاثنان، فأصبح السكن يتضمن أماكن ذات ستائر ومشربيات لاستقلالية النساء ومنغلقًا عن العالم الخارجي، حيث يُمنع الأغرابُ اختراقه، وذلك حفاظاً على خصوصية الحياة الخاصة[٢٩].

ويظهر الطابع الإسلامي في كثرة وجمال وتنوع تحف المباخر في الفنون الإسلامية، حيث كان التطيب محببًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في الحديث ما نصه:" عليكم بالعود الهندي" وقد فسر البعض بأنه العود الذي يتبخر به. كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة: "ومجامرهم الألوة (الألوة العود الذي يبخر به) وبخورهم العود الهندي غير مطري"[٣٠]. وكان لهذا أبلغ الأثر في كثرة الاستعمال الواسع للبخور في المجتمع الإسلامي والعناية بأدواته وهي المباخر. وقد كانت هذه المباخر تصنع عادة من المعدن، كما اتخذت أشكالا مختلفة، وزخرفت بطرق شتى كالنقش والحفر والتفريغ والتكفيت والترصيع وغير ذلك، واستخدمت في تجميلها أنواع كثيرة من الزخارف كمناظر الكائنات الحية والرسوم النباتية والهندسية وأشرطة الكتابات[٣١]. لوحة (١٢، ١٣، ١٤).

ومن الأمثلة على أثر الدين الإسلامي في الفنون الإسلامية دوره في ابتكار الخزافين المسلمين لنوع جديد من الخزف معروف باسم "الخزف ذي البريق المعدني" الذي يعتقد أن توجيهات الدين الإسلامي أدت إلى ابتكاره. ذلك أن بعض الأحاديث النبوية الشريفة دعت المسلمين إلى عدم استخدام الأواني المصنوعة من الذهب والفضة ومن هذه الأحاديث. "لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة[٣٢]". فدفع الفنان الخزاف المسلم إلى ابتكار طريقة

يصنع بها أواني خزفية، لها بريق الذهب، فكان أن خرج الخزف ذي البريق المعدني منذ القرن الثاني الهجري، وقد انتشر هذا النوع رويدا رويدا في أرجاء العالم الإسلامي[٣٣]. لوحة (٤، ٥، ٦).

ولعل من أبرز الأمثلة على أثر الطابع الإسلامي في الفنون الإسلامية **المصابيح الزجاجية** البديعة المعروفة بـ"المشكاوات"، وهي أكبر مجموعة وصلتنا من التحف الزجاجية المملوكية المتعددة الألوان، والمشكاة هي الزجاجة أو الإناء الذي يوضع بداخله المصباح أو القنديل بهدف المحافظة على الشعلة من هبات النسيم ويضئ أرجاء المكان وذلك نقلا عن الآية الكريمة: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة النور، آية:٣٥). وأهم وأجمل مجموعة مشكاوات يحتفظ بها متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ومتحف المتروبوليتان بنيويورك، وتتخذ هذه المشكاوات شكل إناء الزهور ذات بدن منتفخ تعلوه رقبة منفرجة وقاعدة شبة مخروطية الشكل[٣٤]. لوحات (١٥، ١٦).

٤- الطابع المدني في الفن الإسلامي:

يمكن إلقاء الضوء على الطابع المدني في التصوير الإسلامي بتوضيح الفرق بين الفن الإسلامي والفنون السابقة عليه، فقد كانت دور العبادة ومقابر الدفن في العصر الفرعوني، تذخر جدرانها وأعمدتها وسقوفها بمناظر التصوير الدينية[٣٥]، ونفس الشيء كانت دور العبادة ومقابر الدفن في بلاد الرافدين وفى العصر اليوناني والروماني والبيزنطي[٣٦]، وفى دور العبادة والأضرحة اليهودية[٣٧] والقبطية[٣٨]. وعلى العكس تماما نجد المساجد الإسلامية منذ بدايتها وعلى مدار العصور الإسلامية وفى مختلف البلاد الإسلامية خالية من تصاوير الموضوعات الدينية ليس هذا فحسب بل ومن صور الكائنات الحية[٣٩].

وهذا التقليد بدأه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بنفسه، فمن المعروف أن الكعبة حين أعيد بناؤها قبل الإسلام زوقت دعائمها وسقفها وجدرانها من الداخل بصور تمثل بعض الأنبياء والملائكة والشجر، ومن تلك الصور صورة تمثل إبراهيم وإسماعيل، وأخرى تمثل المسيح ومريم عليهما السلام. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة بمحوها وإزالتها جميعا[٤٠]. وقال بن حجر في "فتح الباري" ما نصه:" أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب أن يأتي الكعبة ليمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور، وكان عمر هو الذى محا هذه الصور، والذى يظهر أنه محا ما كان من الصور مدهونًا وأخرج ما كان مخروطًا"[٤١]. وما يقال عن المساجد يقال أيضا عن الأضرحة والمقابر في العصر الإسلامي، فقد خلت من تصاوير الموضوعات الدينية والأخروية ورسوم الكائنات الحية[٤٢]، بالرغم من أن الكثير من هذه الأضرحة يمتاز بالفخامة والضخامة وكثرة

وثراء الفنون التي تحتويها.

هكذا كان لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في التصوير والرغبة في السمو بالإسلام كدين عن الماديات، وجعل الصلة بين العبد وربه صلة روحية لا مادية، أثر كبير في بُعد التصوير الإسلامي عن الموضوعات الدينية. وقد أدى ذلك إلى أن أصبحت الفنون والتصوير الإسلامي مميزا ومختلفا عن الفنون السابقة، مثل الفن القبطي والفن البيزنطي وفنون عصر النهضة، فأصبح مدنيا في طابعه وموضوعاته ينظر إليه كفن من فنون الدنيا لا كعمل من أعمال الآخرة[٤٣]. ومن أهم هذه الموضوعات المدنية موضوعات الموسيقى والطرب وأدواتها[٤٤]. وموضوعات الرياضة وأنواعها[٤٥] وأدوات الصيد أيضا[٤٦]، ومن الموضوعات الهامة الموضوعات الخاصة بالمرأة وأدوات الحلى والزينة[٤٧] وغيرها من الموضوعات المدنية.

كذلك أصبح من أهم خصائص الفنون الإسلامية ندرة اللوحات الدينية المستقلة الخاصة بالشخصيات والرموز الدينية (مثل الأيقونات المسيحية) التي تعلق في الأماكن الدينية والمدنية. كما خلت الفنون التطبيقية والأساسات المرتبطة بدور العبادة والأماكن المخصصة للدفن من المناظر التصويرية لا سيما الدينية، سواء كانت أبواب أو نوافذ أو سجاجيد صلاة أو أدوات إضاءة (تنانير أو مشكوات أو شمعدانات أو مسارج) أو كراسي مصاحف، والتي يستعان بها على شرح العقائد الدينية وتوضيح تاريخ الدين وحياة أبطاله، كما في المسيحية[٤٨].

كما خلت المخطوطات الدينية في العصر الإسلامي على كثرتها وأهميتها وعلى رأسها القرآن الكريم[٤٩] أو كتب التفسير أو الأحاديث النبوية أو كتب الفقه أو غيرها من المؤلفات الدينية[٥٠] من التصاوير بشكل عام، وتصاوير الموضوعات الدينية بشكل خاص، كما لم يستخدم التصوير كوسيلة للإرشاد والتهذيب الديني. وفى المقابل نجد كثرة التصاوير في المخطوطات المدنية مثل المخطوطات الأدبية والتاريخية والحربية والعلمية (جراحة وصيدلة وبيطرة وفلك وغيرها) لا سيما المخطوطات التي أنتجت على يد العرب والفرس والترك والهنود المسلمين.

وقد كان ذلك الاتجاه إلى الطابع المدني البعيد عن الطابع الديني في فن التصوير الإسلامي تحولاً تاريخيًا عظيم الأثر على تطورات الفنون الإسلامية بشكل عام وفن التصوير بشكل خاص، وأثر ذلك على الفنون الأوربية تأثيرا كبيرا[٥١]، وذلك إذا وضعنا في الاعتبار الارتباط الوثيق والتاريخي لفن التصوير بالطابع الديني. ومما أعطى لهذا التحول تأثيره المهم هو قوة الدولة الإسلامية والاتساع الجغرافي الواسع الذى وصلت إليه. وقد هيأ ذلك للتصوير الإسلامي ميزة لم تتهيأ لغيره في الفنون التاريخية الأخرى فأصبحت السمة الأبرز لفن التصوير الإسلامي هي الطابع المدني، ومن ثم صار أقرب من غيره إلى فنون التصوير الأوربي المعاصر[٥٢].

٥- الطابع العربي والوحدة مع باقي الجنسيات في الفن الإسلامي:

من أهم العوامل التي ساعدت على وحدة الفنون الإسلامية كان الطابع العربي، وأهم ما

يميزه اللغة العربية والخط العربي اللذين أصبحا لسان غالبية المسلمين من الشعوب والجنسيات المختلفة على الرغم من بعد المسافات وتنوع الثقافات، فظهر فن الخط العربي في كل المدارس الفنية الإسلامية، كما دون به المثقفون من الهند إلى المغرب كتاباتهم ومخطوطاتهم لأنها لغة القرآن الكريم، والتي نزل بها الوحي مما أثر على العمائر الإسلامية فطبعت بطابع الوحدة الذي يشبه طابع "روح العائلة"، وأصبحت زخارف الخط العربي العامل المشترك في كل الفنون المعمارية والتطبيقية على السواء[٥٣].

فقد وجد الفنان المسلم في كل بقاع المعمورة في الخط العربي التعبير الحقيقي عن شخصيته وإبداعه وفنه. فأصبح الخط العربي العنصر الأبرز والحقيقي الذي أعطى للفنون الإسلامية الخصائص والسمة التي تميزها عن غيرها من الفنون الأخرى في العالم. وقد شملت استعمالات الخط العربي فن العمارة وجميع الفنون التطبيقية مثل الزجاج، والمعادن والنقش على الخشب، وتزيين الكتب، والرخام والعاج والنسيج والسجاد وغيرها[٥٤].

وقد عبر الشاعر الفرنسي "لامارتين" عن توحيد الشعوب العربية مع الشعوب الإسلامية غير العربية وتغلغل اللغة العربية والخط العربي بينها جميعا حينما قال: إنّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) "قد أقام على أساس كتاب واحد جنسية روحية جديدة تنضوي تحت لوائها شعوب تتكلم لغات شتى وتنحدر من أجناس متنوعة، هي الجنسية الإسلامية[٥٥]".

وتمتاز المنمنمات (التصاوير المصغرة) في المخطوطات الإسلامية في مدارس التصوير الإسلامي المختلفة جميعا (العربية، والأندلسية، والإيرانية بمختلف مدارسها، والمغولية الهندية، والتركية) بظهور الأثر العربي الواضح، والذي يظهر جليا في الملابس العربية ولعل من أبرزها العمائم ذات الطيات المتعددة فوق الرؤوس- في جميع مدارس التصوير الإسلامي- ولا جدال أن العمائم من أهم ما يميز اللباس العربي. وقد تعددت العمائم العربية وتنوعت تنوعا كبيرا. ومنذ العصر العباسي أصبحت العمائم متنوعة بتنوع منزلة الناس على حسب مكانة الشخص السياسية والاجتماعية فكان لكل من الخلفاء وكبار رجال الدولة والفقهاء والبقالين والأعراب ولمن سكن البلاد العربية والإسلامية من الروم والفرس وأهل الذمة عمائم خاصة تميز كلا منهم عن غيره[٥٦].

ومن السمات التي تدل على الطابع العربي وارتبطت بطبيعة الحياة العربية في الفنون الإسلامية بشكل وفي تصاوير المخطوطات بشكل خاص، كثر ظهور الحيوانات التي ارتبطت بالحياة العربية مثل الجمال والخيول[٥٧]، وهي من الحيوانات ذات الشهرة العربية الواسعة.

٦- الطابع العلمي في الفن الإسلامي:

ومن القيم المهمة التي تميز الفنون الإسلامية هو الجانب العلمي. ويشير المستشرق "روم لاندو" إلى حقيقة الوحدة بين الفنان والمفكر والعالم في الحضارة الإسلامية بقوله: "إن الفنان المسلم شارك المفكر والعالم المسلميْن شغفهم بالنظام والجدولة والتناغم. فنجد الرياضيين وعلماء الفلك قد التمسوا أكمل شكل من أشكال

التناغم، أي المعادلة الرياضية، وبطريقة مماثلة اهتم الفنان المسلم بتنسيق التصاميم والأنماط التي كانت صفتها الهندسية طاغية وتساعد بصورة رائعة على النظم والتناغم"[٥٨].

كما اعتمد الفنان المسلم في فنونه وزخارفه على أساس منطقي عقلي يقوم على علاقات رياضية هندسية مادتها الدوائر والمربعات والمعينات والمساقط والمثلثات تتسم بصرامة التكوين والتفعيل القصدي العالي من الفنان، والتي لا تخلو من تأكيدات الفنان على قدرة في معالجته الفنية للزخارف بأنواعها المختلفة من نباتية وحيوانية وكتابية ومختلطة وهندسية. فالتشكيلات الهندسية عبارة عن ثمره لتفكير علمي رياضي قائم على الحساب الهندسي الدقيق والذي قد يتحول إلى نوع من الرسوم البيانية[٥٩].

كما تعد المخطوطات العلمية المزينة والمصورة[٦٠] المجال الأوسع التي يظهر فيها دورا واضحا للفنان المسلم، وقد أصبح من أهم المجالات التي لم يقتصر فيها على جانب واحد فقط. فقد صور الكتب الطبية والصيدلانية والجغرافية والميكانيكية وغيرها. ومن الدارسات العديدة التي تناولت مثل هذا الجانب دراسة تتناول التصاوير العلمية في المخطوطات العثمانية[٦١]. ويقدر عدد المخطوطات التاريخية العلمية الإسلامية الموجودة في مكتبات العالم بعشرات الألاف أكثرها يضم رسوما وصور توضيحية[٦٢]. وهناك أيضا المخطوطات التاريخية والأدبية المصورة. ولنأخذ لذلك مثلا يدل على دور المصورين في مجال كالصيدلية، فقد ذكر ابن أبي اصيبعة في كتابه عيون الأنباء عند وصفه لكتاب في الأدوية المفردة للرشيد الدين ابن الصوري (٥٧٣: ٦١٢هـ/ ١١٧٧: ١٢٤١م): بدأ بعمله في أيام الملك المعظم وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة، وذكر أيضا الأدوية التي اضطلع على معرفتها ومنافعها، ولم يذكرها المتقدمون وكان يستصحب مصورا معه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها.

وكان يتوجه رشيد الدين بن الصوري إلى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي اختص كل منها بشيء من النبات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ويصورها ويجتهد في محاكاتها ثم إنه سلك في تصوير النبات مسلكا مفيدا، وذلك أنه كان يرى النبات للمصور إبان نباته وطراوته فيصوره، ثم يريه إياه أيضا وقت كماله وظهوره فيصوره بعد ذلك، ثم وقت زاوية ويبسه فيصوره، وبذلك يشاهده الناظر إليه في الكتاب[٦٣] وهو على أطوار ما يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ومعرفته أبين أوضح.

وقد كان هذا الاتجاه في كل العالم الإسلامي ونقل أيضا إلى جزيرة صقلية حتى بعد سقوطها على يد النورمانديين، فقد كان العالم الشهير الإدريسي يرأس (الدائرة الجغرافية) في بالرمو (Palermo) في عهد روجر (Roger) "رُجار" كما يذكره العرب. ومن أعماله الفنية أنه قام برسم صورة للأرض في دائرة من الفضة. ويذكر إحسان عباس: أن الملك رجار بمساعدة الإدريسى وقع اختياره على أناس ألبّاء فُطناء جهزهم إلى أقاليم الشرق والغرب، وسفّر معهم

قومًا مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عيانًا[٦٤].

٧- رعاة الفن من الحكام والأثرياء ووحدة الفن الإسلامي:

مما لا شك فيه أن تاريخ تطور الفنون الإسلامية قد تأثر وطبع برعاة الفن وتطور أنظمة الحكم السياسية، فالإبداع والتطور الفني يلزمه دائما نوع من الاستقرار الاجتماعي والازدهار الاقتصادي المرتبط برعاة الفن في الأسرات الحاكمة المختلفة[٦٥]. فكل أسرة حاكمة جديدة كانت تتبنى تيارات فنية جديدة يظهر فيها إحياء وتطور كامل أو جزئي للطرز الفنية السائدة، وقد عرف الطراز الفني باسم الأسرة الملكية الحاكمة. فقد ارتبط الفنانون في العصر الإسلامي بخدمة الحكام والأمراء والأثرياء، ومن حولهم في الغالب، ولذلك شيد المعماريون لهم المدن والمساجد والقصور والقلاع وغيرها. وصنع لهم الفنانون السجاد والنسيج والتحف المعدنية والزجاجية والخزفية والخشبية والرخامية وكتبوا لهم المصاحف والمخطوطات والمكاتبات والأثاثات وغيرها. وكل هذا لا يحمل أسماءهم في الغالب[٦٦].

وكان للتقاليد المتبعة في العالم الإسلامي من حيث استدعاء العمال والفنانين المهرة من شتى بقاع العالم الإسلامي وانخراطهم في العمل مع بعضهم البعض في وحده متجانسة مميزة (دار الحكمة، ومراكز فنون الكتاب ومراكز كتاب خانه) طبعت بها مدارس الفنون الإسلامية الجديدة[٦٧]. ويرى البعض أن دور راعي الفن (وهم الحكام وأهل الثراء) يمثل أحد أهم العوامل في صبغ خصائص الفن الإسلامـي بالوحدة والعالمية. ولكونه حاكمًا مسلمًا كان لإسلامه أكبر الأثـر في تغييب العناصر الفنية التي ميزت أعمال الفنانين في العصور السابقة على الإسلام. وقد حاول الفنان المسلم أن يتخلص من الرموز المتوارثة التي لها علاقة بمعتقدات دينية أو فكرية مخالفة لما يعتقده راعي الفن الجديد[٦٨]. وقد تعاون الحكام ورجال البلاط والـوزراء وأهل الثراء في رعايتهم للفن، فهم تارة يستقدمون الفنانين من مختلف البقاع التي تحت حكمهم، وتارة ينشؤون المجامع الفنية التي تشرف على صياغة الفن والعمارة في عصرهم، وعلى الأغلب نجد الفنان يحاول استرضاء زوق راعي الفن واتباع توجيهاته وفي حالات انصراف الحاكم عن رعاية الفن والفنانين، كان الفنان يبحث عن رُعاة فن جدد[٦٩].

ويذكر "روم لانـدو" كيفية معالجة الفنان المسلم عملية الأخـذ من الفنون الأخـرى أو الاستعانة بفنانين غير مسلمين بقوله: "كان من دأب الأمويين والعباسيين جميعا أن يستقدموا الأجانب من المهندسين والمعماريين والصناع، الذين تربوا على العقائد الرومانية أو البيزنطية أو الفارسية، ولكن المستخدمين العرب وفقوا في غير ما استثناء إلى إشعار أولئك المعماريين بروح دينهم الخاص. وهكذا أبدعوا – مستفيدين أحسن الإفادة من عوالم مختلفة- آثارا إسلامية خالصة وليست رومانية أو بيزنطية. وهنا، كما في كثير من مجالات الحضارة الإسلامية الأخرى، تجد العبقرية الإسلامية عرفت كيف تتشرب عناصر منبثقة من أشد الينابيع تنافرا لتدمجها في تركيب جديد متجانس"[٧٠].

على سبيل المثال فقد أثر حكام المغول كثيرًا

في المسيرة الفنية للفن الإسلامي التي كانت في سبيلها نحو التكامل، فظهرت مراكز ونتاجات فنية جديدة في مدينة "تبريز" "وشيراز" و"مرو"، كما شيد المغول في العراق العجمي مدينة سموها "سلطانية" عند خط تقسيم المياه بين نهري زنجان وإبهر[٧١]، وكانت هذه المدينة أهم المراكز لصناعة الفن وتصوير المخطوطات في عصر المغول[٧٢].

ومن الأمثلة على ذلك أيضا في عهد الإمبراطور الهندي همايون الذى خلف الإمبراطور بابر سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م. والذي اضطر إلى ترك عرشه سنة (٩٤٦هـ/١٥٣٩م) وظل منفيا في إيران إلى سنة (٩٦٣هـ/١٥٥٥م)، حيث استضافه الشاه طهماسب الإيراني، في هذه المدة التي سمحت له بالتعرف على كثير من أعلام المصورين الإيرانيين في البلاط الإيراني، لا سيما "مير سيد على" و"خواجه عبدالصمد الشيرازي"، اللذين أصبحا بعد ذلك مصورين في البلاط الهندي. وطلب منهما همايون أن يوضحا قصة "أمير حمزة" حتى أنجزت المهمة بعدد ألف وأربعمائة صورة كبيرة على القماش في البلاط المغولي الهندي[٧٣].

وفى عهد الإمبراطور "جلال الدين أكبر" أُسست المراسم الملكية (كتاب خانة)، حيث طلب من المصوريْن الإيرانيين عبدالصمد ومير سيد أن يترأسا الورشة الفنية، ويقوما بتدريب وتعليم مصوري المركز الملكي لفنون الكتاب الأقل خبرة ودراية بالأساليب الفنية الفارسية، وطلب منهما بعد زمن أن يتحررا من الأساليب الفارسية والهندية للخروج بأساليب خاصة بالمدرسة المغولية الهندية، ولم يكتف أكبر بذلك بل كان يشرف على المرسم بنفسه، فذكر أبو الفضل كاتب جلال الدين أكبر: "أن أعمالهم كانت تعرض عليه أسبوعيا كي يدلى برأيه فيها، ويحدد بناء على ذلك مكافآتهم طبقا للمهارة الفنية[٧٤].

٨- انعدام الفواصل السياسية بين شعوب العالم الإسلامي

من العوامل التي ساهمت في وحدة وعالمية الفنون الإسلامية الترابط الجغرافي بين أقاليم العالم الإسلامي وعدم وجود حدود وفواصل سياسية بينها مما سهل انتقال الفنانين والعلماء والصناع وكل فئات المجتمع بحُرية في كل أرجاء العالم الإسلامي. ذلك أن أقاليم العالم الإسلامي تمتد من أسبانيا والمغرب حتى جنوب شرق آسيا على شكل شريط يكاد يحزم الأرض من وسطها. ويقع هذا الحزام الجغرافي بشكل عام بين خطي عرض (٢٠ و٤٠) شمال خط الاستواء. وساعدت هذه الحقيقة على تقارب وترابط أقاليم العالم الإسلامي بعضها ببعض برباط جغرافي زاد من الترابط الديني والحضاري والفني فتشكلت نتيجة لكل هذه العوامل حضارة وفن واحد امتازا بالعالمية والتجانس، عبرت عن نفسها بانسجام منقطع النظير[٧٥].

ولا أدل على ذلك من المنافسة التي تمت بين اثنين من المصورين الشهيرين أمام الخليفة الحاكم في العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٧٣-١١٧١م) أحدهما عراقي هو "ابن عزيز العراقي"، والآخر مصري وهو "قصير"، وذلك بأن تحدى أحدهما الآخر بأنه يستطيع أن يرسم راقصة وكأنها تدخل في الجدار. والآخر رد عليه بأنه يستطيع أن يرسمها

وهي تخرج من الجدار. إذ استطاع القصير أن يعبر عن العمق بأن صور راقصة كأنها داخلة في حائط حنية وذلك بأن رسمها بثياب بيضاء على أرضية باللون الأسود، أما ابن عزيز فقد صورها كأنها خارجة من الحنية وذلك بأن رسمها بثبات حمراء على أرضية باللون الأصفر(٧٦). ومما يدل على انعدام الفواصل بين مكونات العالم الإسلامي أيضا طلب السلاطين العثمانيين لصناع السجاد في القاهرة السفر إلى العاصمة استانبول والعمل هناك في مصانعها، وقد سافر فعلا في عهد السلطان مراد الثالث أحد عشر صانعا قاهريا أخذوا معهم كميات وافرة من الصوف المصبوغ وتشير السجلات الخاصة بمسجد الوالدة باستانبول إلى السجاجيد القاهرية التي كانت في هذا الجامع(٧٧).

٩- الفنان المسلم وإنكار الذات وأثره على وحدة الفن الإسلامي

تمتاز الفنون الإسلامية بقلة عدد توقيعات الفنانين بوجه عام ويتفق ذلك مع ما تتميز به جميع الفنون الإسلامية من قلة عدد "توقيعات" الفنانين والمهندسين والمعماريين وفناني الخزف والمعادن والخشب والنسيج والخطاطين وغيرهم. وذلك في إطار مميزات الفنون الإسلامية العامة. وربما يعود ذلك إلى أن "الأنا" الخاصة بالفنان في الفنون الإسلامية، تمتاز بالإيمان بالعمل والأسلوب الجماعي في إطار رؤية راعي الفن من الحكام وغيرهم، حيث كان الفنانون يعملون في الغالب في اطار مؤسسي في (دار الحكمة، ومراكز فنون الكتاب ومراكز الكتاب خانه). مما كرس الأسلوب الجماعي واشتراك أكثر من فنان في العمل الفني(٧٨).

وقد ساهم ذلك في "إنكار الذات" عند الفنان المسلم في إطار وحدة الفنون الاسلامية في إطارها العام، وقد عبر جاك ماريتان (Jacqies Maritain) عن ذلك بقوله: إن فن الشرق هو النقيض المباشر للنزعة الفردية الغربية، فالفنان الشرقي يحجم عن التفكير في نفسه والأنا الذاتية له أو تعمد إظهار ذاتيته والتفاخر بها في عمله(٧٩). حتى أنه عندما يذكر المصور اسمه لا يذكره مفاخرا بنفسه، بل يذكره بصيغة التواضع، وإنكار الذات، مثل توقيع المصور "محمود الواسطي" عاش (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) في مخطوط مقامات الحريري، المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس، ونصه: (العبد الفقير إلى رحمة الله وغفرانه وعفوه يحي بن محمود بن يحيى الواسطي بن أبي الحسن كوريها الواسطي بخطه وصوره)(٨٠).

هذه النظرة معاكسة لنظرة الفن الأوربي، فالمتأمل لأعمال الفنان الشهير ليوناردو دافنشي توفي (١٥١٩م) وهو صاحب الموناليزا (Leonardo da Vinci)، أو الفنان الهولاندي رامبرنت فان راين (Rembrandt van Rijn) توفي (١٦٦٩م)، أو الفنان الأسباني الفرنسي بيكاسو (Pablo Picasso) توفي (١٩٧٣م) يجد أن كل واحد منهم له خصوصية وحالة مستقلة وأسلوب ينفرد به وتوقيعه الخاص على أعماله(٨١).

لكن نظرة الفنان المسلم في عدم تدوين اسمه على أعماله الفنية انتقلت إلى الفنون الأوربية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مدرسة فنية شهيرة هي مدرسة "الدادا" التي ترى أن الفن زائل ولحظي وكذلك الفنان، فلم يدونوا اسم الفنان على

اللوحة. وقد أحدثت حركة "الدادا"[٨٢] نقلة نوعية في الفن المعاصر بل إن الكثير من النقاد يعدها البداية الحقيقية للفن المعاصر[٨٣].

١٠- قواعد فنية ساهمت في وحدة الفن الإسلامي:

اتخذ الفنان المسلم لنفسه قواعد فنية أحدثت تغيرًا جذريًا في القواعد الفنية للفنون والتصوير الإغريقي والكلاسيكي الغربي في أنه ومنذ البداية لا يقر تجسيد الإله في صورة وثن حسي ملموس، ولا يقر الصراع بين الإله والإنسان في القدرة على تصوير الكائنات، ولا يؤمن المسلم بتعدد الآلهة كما في التصور الغربي[٨٤]، ومن أجل ذلك بَعُد فن التصوير الإسلامي عن تصوير الكائنات الحية تصويرًا واقعيا صادقًا، ولم يهتم الفنان بالنسب التشريحية، ولا قواعد الظل والنور، ولا البعد الثالث اهتمامًا حقيقيًا مثل الفن اليوناني الروماني، وفن عصر النهضة، واهتم في مقابل ذلك بالناحية الجمالية البعيدة عن الطبيعة وإبداع أشكال مخالفة للطبيعة، واتجه الفنانون في العصر الإسلامي إلى التجريد، فقلّ أن نجد عناية بجسم الإنسان ونسب الأعضاء، وقوة التعبير في الوجوه للدلالة على المشاعر المختلفة. ويتفق في ذلك مع مميزات فنون التصوير المعاصر[٨٥].

ولهذا فإن المستشرق الفرنسي (أوستاش دي لوري) في دراسته الهامة، وهو يفسر أعمال الفنان بيكاسو ويقارنها بالفن الإسلامي يذكر: "بعدما ألغى- يقصد بيكاسو- من الفن أي تجسيد فإنه بدأ من جديد مغامرة تشبه مغامرة الإسلام، فنحن نعلم كره المسلمين للتجسيد والواقعية، وقد بعدوا شيئا فشيئا عن فن التقليد الذى يحل محل الطبيعة، ولم يتحاشوا فقط تمثيل وجه الإنسان، ولكنهم أبدعوا فنا غير مادي يخاطب النظر والفكر والعقل، ففي الزخارف الإسلامية حيث لا يوجد قرب من الطبيعة وتكثر لفائف ومنحنيات الأرابيسك والتي تزود العين بمتعة الاختراع المطلق (التام)، الذى نكتشف فيه نظاما لا يمكن تحديده سوى بالرياضيات، والأعمال من هذا النوع لها وحدة فكرية خالصة بالضبط مثل تلك التي دعي إليها رواد التكعيبية. فهذا الطابع العام للفن الإسلامي يمكن شرحه في ضوء الأوامر الدينية فالقرآن في الحقيقية لا يمنع تمثيل الأشكال ولكن الأحاديث التي جمعت للرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) تحمل تحفظات ضد صانعي الصور، ففي يوم القيامة سوف يفرض عليهم الله المهمة المستحيلة في أن يحيوا هذه الصور التي استلهموها من عمل الخالق. ولكي يهرب الفنانون المسلمون من مثل هذا الاختبار رفضوا أن ينصاعوا إلى المثالية التصويرية في الفن"[٨٦].

١١- العناصر الزخرفية بين الوحدة والتنوع والتكرار في الفن الإسلامي:

من أهم العوامل التي ساهمت في صبغ خصائص الفنون الإسلامية بالوحدة والعالمية هي وحدة العناصر الزخرفية من حيث وحدة مصادرها في جميع طرز الفنون الإسلامية المختلفة، وتشمل عديد من المصادر، وهي عناصر الكائنات الحية (الآدمية والحيوانية) والكائنات المركبة والخرافية؛ والعناصر الهندسية، والعناصر النباتية، والعناصر الطبيعية (الجبال والصخور، البيئة المائية، البيئة السماوية

وغيرها) والعناصر الخطية. هذه الوحدات والعناصر تطورت تطورا غير مسبوق على يد فناني العالم الإسلامي. فقد أبدع هؤلاء الفنانين أشكالاً جديدة في الزخرفة بأنواعها، أو في تحوير الزخرفة النباتية والكائنات الحية من الرسوم الآدمية والحيوانية والطيور وغيرها. ولم يتم ذلك في فترة قصيرة من الزمن، إنما استغرق ذلك منهم في بداية التحول أكثر من قرنين من الزمن لا سيما في الطرز الفنية الثلاثة لمدينة سامراء في عهد الخليفة المعتصم العباسي(٢٢١هـ/ ٨٣٦م) حتى وصل إلى الفن الإسلامي الخالص الذي يمتاز بخصوصيته وانفراده وعالميته[٨٧].

كما أنه على الرغم من أن جميع العناصر واللوحات الفنية في العصر الإسلامي سواء هندسية أو نباتية أو تصويرية وحتى كتابية تمتاز بوحدتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي، إلا أنها تمتاز بالإبداع في نفس الوقت فيندر أن نجد شكلين أو منظرين فنيين متشابهين تشابهًا كاملاً، والدليل على ذلك أن مسجد أحمد بن طولون الشهير بالقاهرة يحيط بجدرانه الخارجية الأربعة من أعلى (١٢٩) شباكًا من الجص المفرغ بأشكال هندسية ونباتية محورة غاية في الدقة والإبداع وليس بينها اثنان متشابهان[٨٨].

وتعد "ظاهرة التكرار" من أهم سمات الفن الإسلامي، والتي ساهمت في تناسق ووحدة الفن الإسلامي، حيث تتكرر الوحدة الجمالية بلا نهاية وهو ما يثير في النفس إحساسا جماليا لا يتحقق عند إدراكها منفردة. ويشيع التكرار في التصميم إحساس بالحركة والمتعة والسيميترية واللانهائية. والتكرار مبدأ أصيل ومتجدد في حيات المسلم فالصلاة وذكر الله والصيام والصدقة والزكاة وكل أعمال الخير متكررة ومتجددة في حياة المسلم، ولذلك فإن التكرار صفة أصيلة وعميقة الجذور في الذهنية الإسلامية[٨٩]. وبذلك خرج الفنانون في العصر الإسلامي بفن رائع هو "فن الأرابسك"، وهو من أهم الفنون التي بنيت على ظاهرة التكرار. فمن خلال تكرار العنصر الزخرفي تجددا واستمرارا لا نهائيا منقطع النظير يعبر عن الحياة نفسها وعن نظرة المسلم لها[٩٠].

١٢- الألوان الساطعة والبراقة في الفنون الإسلامية:

أقبل الفنان المسلم على استعمال الألوان البراقة والساطعة، وكانوا يميلون إلى هذه الألوان الأخاذة والخلابة دون النظر إلى قواعد التجسيم والتعبير عن العمق، وقد استغنى الفنان المسلم عن الظلال في عملية التلوين؛ لأن من شأن الظلال أن تشوب الدرجات النقية للون، ثم إن الفنان المسلم يتجنب إبراز الأجسام متجسدة، وقد استمالته نوعية الألوان التي تذيب حجوم الأجسام، مما يفسح المجال لإبراز القيم الجمالية اللونية بأفضل ما تكون. لذلك نجده يستغل الألوان الزاهية للتمتع بضوء ذاتي في التلوين المتميز لأوراق الشجر الأخضر على الأرضية الزرقاء، وفي المناظر التي تصور العمائر من الداخل وكل أدوات الحياة اليومية[٩١].

والألوان في الفنون الإسلامية لها مكانة بارزة واهتمام كبير. اتفق في ذلك الأطباء والفنانون على حد سواء، فقد اهتم الأطباء في العصر الإسلامي بدراسة الألوان وأثرها النفسي

والعلاجي اهتماما كبيرا. وقد ألف في ذلك كثير من الأطباء ومن أهمهم أبو القاسم الزهروى (ت:٤١٣هـ) الطبيب والجراح الأندلسي الشهير، وهو من كبار الأطباء في العصر الإسلامي الذي يذكر في المقال (٢٧) من كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" أفضل الألوان للبصر اللون الأرجواني ثم الأخضر ثم الأسود[٩٢].

فالنفس تبتهج بما كان من الأجسام له اللون الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض، إما بسيط أو مركب بعضها من بعض فنظر هذه يوجب راحة النفس[٩٣]، ولذة القلب وسرور العقل ونشاط الذهن وتوفر القوى وانبساط الأرواح، وإنما قلنا ذلك لأنها ألوان مشرقة نيرة فالنفس لإشراقها ونورانيتها تميل إلى ما ناسبها فتحدث هذه الحالات المذكورة، لأن النور محبوب ومشوق، وانظر إلى فرحك وانبساطك وانشراحك وحركتك وتصرفك بالنهار وفراغك وسكونك وتجمعك بالليل[٩٤].

فقد تميزت فنون وتصاوير المخطوطات وفنون العمارة والفنون التطبيقية في الفنون الإسلامية بزخم الألوان المشرقة والمبهجة والبراقة. ففي مدرسة بغداد في التصوير في العصر العباسي كثر استعمال الألوان البراقة وأهم الألوان هي الذهبي والأحمر والأزرق والأخضر والأسود والعاجي والوردي والبنفسجي. وما من شك في أنهم أصابوا في تنظيمها نجاحا كبيرا[٩٥]. كما تميزت المدرسة المظفرية في إيران من حيث استخدام الألوان البراقة والزاهية مثل الأحمر والأصفر والأخضر والبنفسجي والذهبي والأزرق، وابتعد المصور عن موضوعات الكآبة على عكس المدرسة المغولية[٩٦]. وفى المدرسة الجلائرية في إيران حدث بها تطورٌ ملحوظٌ في عهد هذه الأسرة، وذلك في مزج الألوان بكل عناية ودقة. ومن أهم هذه الألوان اللون الذهبي والأحمر والأخضر والأزرق والأصفر والبنفسجي والبرتقالي[٩٧].

كما اتسمت الألوان في تصاوير المدرسة التيمورية بجمالها[٩٨]، حيث استخدم الفنان الألوان الزاهية كالبرتقالي والأحمر والأخضر والأزرق اللازوردي بدرجاته، حيث استخدمه الفنان في تلوين السماء، والذهبي بدرجاته ومحاولة المزج بينهم بمهارة وعناية ودقة فائقة والتي تنبئ عن التطور والازدهار الذى وصلته المدرسة التيمورية[٩٩] وهكذا باقي مدارس الفنون الإسلامية.

وقد أثرت هذه الألوان الساطعة على مدارس التصوير الأوربية المعاصرة، ومن الجدير بالذكر أن هذه الألوان الساطعة الخالية من الظلال من مميزات المدرسة التأثيرية، والمدرسة الوحشية الغربيتين، وغيرها من المدارس الفنية التي ظهرت في القرن التاسع عشر من مدراس الفن الحديث والمعاصر. وقد بدأت المدرسة التأثيرية، كنوع من الهجوم على القوالب الكلاسيكية القديمة التي سيطرت على الفن التشكيلي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، فقد تحولت هذه القوالب إلى قيود قاسية تحد من انطلاقة الفنان الغربي وتجبره على تقليد من سبقوه بدلا من إضافة الجديد المبتكر. وتقوم المدرسة التأثيرية على تقليد الضوء عندما ينعكس على أسطح الأشياء والألوان الساطعة الخالية من الظلال[١٠٠].

كما اهتم الوحشيون أيضا -على سبيل المثال- بالضوء المتجانس والبناء المسطح فكانت سطوح ألوانهم تتآلف دون استخدام الظل والنور، وتقوم على المبالغة في استعمال اللون، واعتمدت هذه المدرسة أسلوب التبسيط في الأشكال، فكانت أشبه بالرسم البدائي إلى حد ما، فقد صورت في أعمالهم صور الطبيعة إلى أشكال بسيطة، فكانت لصورهم صلة وثيقة من حيث التجريد أو التبسيط في الفن الإسلامي، خاصة الفنان الشهير (هنري ماتيس) الذي استخدم عناصر زخرفية إسلامية في لوحاته مثل الأرابيسك والزخرفة النباتية الإسلامية والألوان الخالية من الظلال[١٠١].

١٢- من أثـر قيم الفنون الإسلامية على الفنون الأوربية:

لم يقف تأثير الفنون الإسلامية عند حدود العالم الإسلامي بل انتقلت هذه القيم والأساليب المعمارية والزخرفية، ومعظم أساليب الفنون التطبيقية إلى بلاد الغرب، وبدأ تأثير الفنون الإسلامية واضحا جليًا في الحضارة الغربية، فتشير عدد من الحقائق إلى وضوح المصدر الإسلامي لكل من الفكرة والشكل في كثير من الفنون التشكيلية الأوربية[١٠٢]. واستمر التبادل الحضاري بين أوربا وبلدان العالم الإسلامي بشكل كبير، والـذي انعكس بصورة واضحة في شتى المدارس الفنية الغربية (البيزنطية- القوطية- عصر النهضة- الباروك- الروكوكو- ومدارس القرن العشرين) وهو ما يؤكد عملية التأثير المتبادل بين شعوب هاتين الحضارتين، والذي لم يتوقف[١٠٣].

وفي هذا الإطار يذكر "جوستاف لوبون" عن أثر فن الخط العربي على أوربا فيقول: "وقد بلغ الخط العربي من الإبـداع الفني ومناسبته للزينة، ما جعل رجال الفن من النصارى في القرون الوسطى وفي عصر النهضة يكثرون من استنساخ ما كان يقع تحت أيديهم من نماذج فنية للكتابات العربية على المبان المسيحية تزيينا لها، وقد شاهد مسيو لنجبريه، ومسيو لافوا وغيرهما الشيء الكثير منها في إيطاليا، ومما شاهده "مسيو لافوا" في مكان الأمتعة من "كاتدرائية ميلانو" بابًا مبنيا على طراز رسم البيكارين(نوع من العقود العربية) يحيط به إفريز حجري مؤلف من كلمة عربية مكررة عدة مـرات، وكتابة عربية حول رأس المسيح المصور فوق أبواب القديس بطرس التي أمر بإنشائها البابا أوجين الرابع (١٣٨٣:١٤٤٧م)[١٠٤]، وخطوط كوفية طويلة على قميص القديس بطرس والقديس بولس"، ثم يتابع فيقول: "ومن دواعي الأسف عدم ترجمة الكاتب لهذه الكتابات، فلعل الكتابة التي حول رأس المسيح هي كلمة: (لا اله إلا الله محمد رسول الله)!"[١٠٥].

وقد كان للفن الإسلامـي أثر لا ينكر على فنون مدينة البندقية الإيطالية، ويصور لنا هذا الجانب المستشرق الألماني "جورج يعقوب" بقوله : "قد يصعب على الإنسان أن يتصور أن الإسلام الذى حرم التصوير ترك أثرا بعيدا في الرسم الأوربي ولكن العلاقة بين الرسوم الشرقية والغربية قوية جدا، ولا يستطيع أحد إنكارها. وليس مصدر هذا الشبه اتفاقهما في الأصول فنحن نعلم تركيز الرسم المصغر الإسلامي في

الماء والسحاب والنار وغيرها من العناصر الشرقية، وقد ألقت حفائر (ترفان) أضواءً جديدة على هذه المسألة[١٠٦]" وعندما أشار إلى فنون البندقية ذكر: "أن هذه المدينة كانت في يوم ما الباب الذى تدخل منه إلى أوروبا الآثار الفنية الشرقية الجميلة (الفنون الشرقة الإسلامية) مثل سجاد برجاما (إحدى مقاطعات أزمير التركية، وهي مشهورة بالسجاد في العصر الإسلامي) وغيره من الآيات الفنية ذات الألوان البديعة. وقد أثر موقع البندقية في مدرستها الفنية فمكنها من التفوق على المدارس الأخرى التي كانت تعني لا بالألوان فحسب بل بالذوق والجمال أيضا، خاصة في عصر النهضة"[١٠٧] .

وهناك عامل هام كان له أثر كبير على العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي هو ظهور الدولة العثمانية بعد سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية. وساعد على ذلك كثرة الصراعات السياسية والاقتصادية بين الدويلات الإيطالية فيما بينها، وبين الدول الأوربية (أسبانيا، هولندا، فرنسا، ألمانيا)، وأخذت جميعها في التنافس فيما بينها لعقد الاتفاقات والمعاهدات الثنائية التجارية مع الدولة العثمانية من أجل السيطرة على مراكز النفوذ في حوض البحر المتوسط[١٠٨]. وبخاصة بعد أن عقدت البندقية معاهدة الصلح عام (١٤٧٤م)، مع الدولة العثمانية، والزيارة التي قام بها الفنان البندقي جنتيللو بلليني للقسطنطينية عام (١٤٧٩-١٤٨٠م) بناءً على دعوة رسمية من السلطان محمد الثاني(٨٤٨ - ٨٤٩هـ/ ١٤٤٤ - ١٤٤٦م). ولعل أهم ما تميز به الموضوع الشرقي في أعمال فناني هذه المرحلة (كارباتشو، فيرونيز، وغوزولى، بنتوروكيو، تيتسيان، وتنتورتو، مانسويتى غيرلانداى..وغيرهم) النزوع نحو تقليد الصورة الشرقية المميزة لفن المنمنمات الإسلامية من حيث أسلوب بناء هيكل الحدث التاريخي أو محاكاة الصور والشخصيات وأسلوب العمارة الإسلامية والأزياء وعناصر الطبيعة والميل إلى استخدام أسلوب الأرابيسك الزخرفي[١٠٩].

وبالمجمل نجد أهم ما أثرت به الفنون الإسلامية على الفنون الأوربية هو تراجع موضوعات القرون الوسطى الدينية الكلاسيكية وحلول الموضوعات الإحتفالية الدنيوية وصور الحياة والبيئة وازدهار فن البورترية والمنظر الطبيعي، صاحب ذلك تراجعٌ في استخدام الموضوع (الموتيف) الشرقي في الموضوعات الدينية ذات الأيدلوجية المعادية للإسلام، كالدين الذى فرضته علاقة الوصاية والتبعية من قبل الكنيسة والإقطاع على رجال الكنيسة على فناني هذه المرحلة[١١٠].

أهم النتائج لهذه الدراسة:

تناولت هذه الدراسة أهم ما تمتاز به الفنون الإسلامية من سمات وقيْم، والتي ارتبطت بالحضارة الإسلامية والدين الإسلامي والثقافة الإسلامية. وقد تفاعلت هذه الفنون مع كبرى الفنون السابقة عليها وأخذت ما يناسبها وطورته ورفضت ما يتعارض مع مبادئها وشخصيتها، وأصبحت لها خصائصها التي تميزها ومن أهمها

قواعدها الفريدة التي تميزها ووحدتها وعالميتها ومن أهم نتائج هذه الدراسة:

أكدت الورقة البحثية على عديد من قيم الفنون الإسلامية التي ساهمت في وحدة الفنون الإسلامية وترابطها وتميزها في مختلف المراكز الفنية للعالم الإسلامي والتي صبغت هذه الفنون بالصبغة العالمية.

أوضحت الدراسة أن من أهم خصائص وطبيعة الفن الإسلامي كان الطابع المدني الحياتي البعيد عن التوظيف لخدمة الدين والعقيدة وكان لذلك أبلغ الأثر على الفنون الأخرى وخاصة الفن الأوربي.

كشفت الدراسة أن سمة الوحدة والترابط في الفنون الإسلامية من أهم القيم التي ميزت الفنون الإسلامية وكان لذلك العديد من المظاهر والأسباب التي أدت لذلك، وكيف أثر ذلك على استقلالية الفن الإسلامي وتميزه وتأثيره في الفنون الأخرى.

أوضحت هذه الورقة البحثية أن سمة العالمية كانت السمة الأوضح للفنون الإسلامية سواء جغرافيًا أو ثقافيًا أو حضاريًا أو فنيًا، وكان لذلك العديد من الشواهد التي تثبت قدرة الفنون الإسلامية على تشرب جميع الفنون السابقة الكبرى والتأثر والتأثير في الحضارات العالمية المعاصرة الأخرى.

أبرزت الدراسة أن طابع الحضارة الإسلامية كان من أهم القيم والمحاور التي ساهمت في تطور ووحدة وعالمية الفنون الإسلامية.

أبرزت الدراسة على أن الطابع العربي كان من أهم القيم والسمات التي صبغت الفنون الإسلامية بصبغة الوحدة وميزتها عن الفنون الأخرى.

أوضحت الدراسة على أن الطابع العلمي كان من أهم سمات الفنون الإسلامية، التي ساهمت في تميز الفنون الإسلامية ووحدتها.

أكدت الدراسة على أن وحدة العناصر الفنية من خطية ونباتية وهندسية وكائنات حية, بالإضافة إلى وحدة القواعد الفنية التي اتبعها الفنان المسلم في كل بقاع العالم الإسلامي كانت من الأسباب التي ساهمت في وحدة الفنون الإسلامية وتميزها عالميا.

أوضحت الدراسة على أن دور رعاة الفن من الحكام على وحدة وتميز الفنون الإسلامية على مر العصور الإسلامية.

أكدت الدراسة على أهم سمات الفنون الإسلامية وهو إنكار الذات الذي تمتع به الفنان المسلم، وميزه عن الفنان الأوروبي، مما جعل الفنون الإسلامية تتميز وتدرس في طرز عامة وليس طرز فردية خاصة بالفنانين، وهو ما أدى إلى تميز ووحدة الفنون الإسلامية.

أوضحت الدراسة أن القواعد الفنية التي تميزت بها الفنون الإسلامية كانت من أهم عوامل الوحدة والعالمية لهذه الفنون.

كشفت الدراسة أن قيم الفنون الإسلامية لم تقتصر على فنون العالم الإسلامي، بل أثرت على الفنون الأخرى لا سيما الفنون الأوربية.

لوحة (1) مجموعة من طرز المآذن من مناطق مختلفة ومن أزمنة مختلفة مما يوضح عالمية الفنون الإسلامية

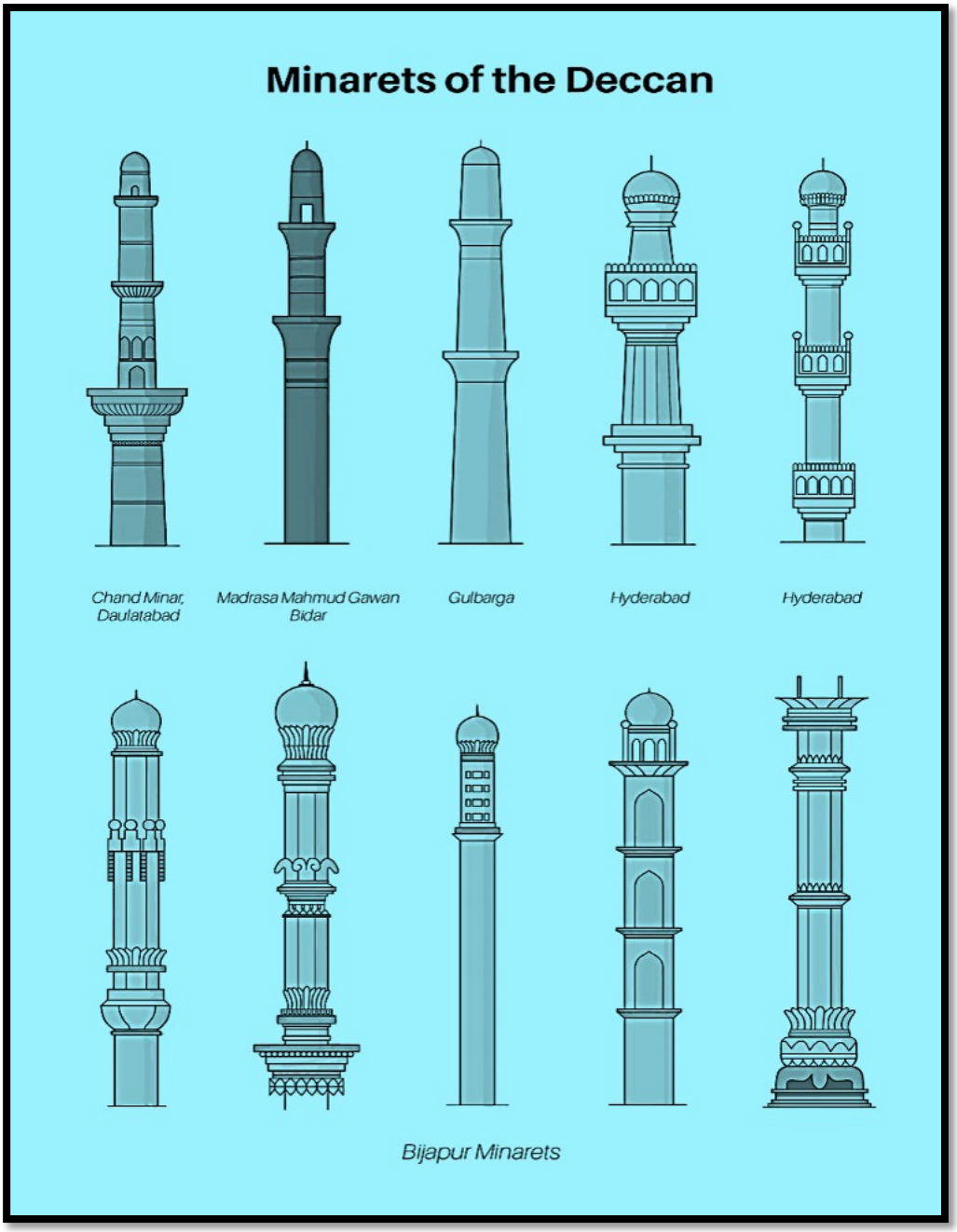

لوحة (2) مجموعة من المآذن المختلفة في أقليم الدكن وبيجابور بالهند مما يبين التنوع والجمال في المآذن

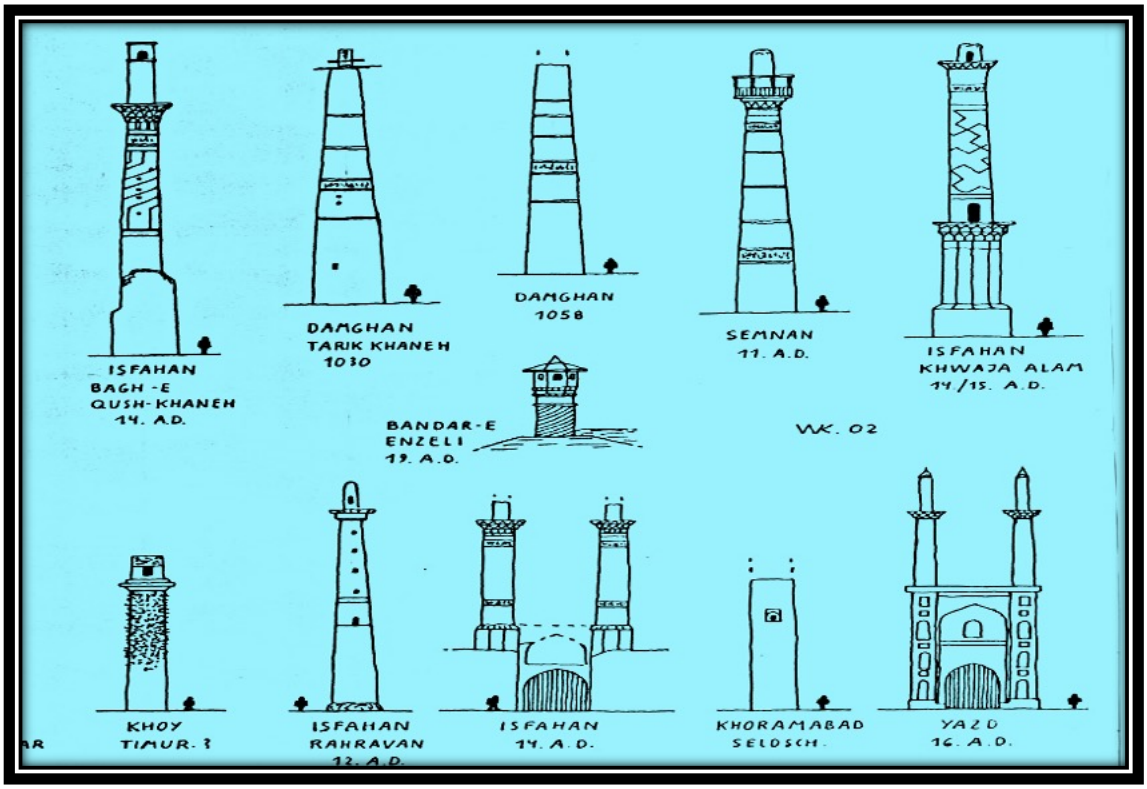

لوحة (3) مجموعة من المآذن المختلفة في أقليم مختلفة في إيران توضح جمال وعالمية الفن الإسلامي

لوحة (4) طبق من الخزف ذي البريق المعدني، 3هـ/ 9م، العصر العباسي. متحف المتروبوليتان، رقم سجل 41.165.1

لوحة (5) طبق من الخزف ذي البريق المعدني، 10هـ/ 16م، فالنسيا الأندلس. متحف المتروبوليتان، رقم سجل 53.225.74 .

لوحة (6) طبق من الخزف ذي البريق المعدني، 6هـ/ 12م، سوريا- الرقة. متحف المتروبوليتان، رقم سجل 48.113.5

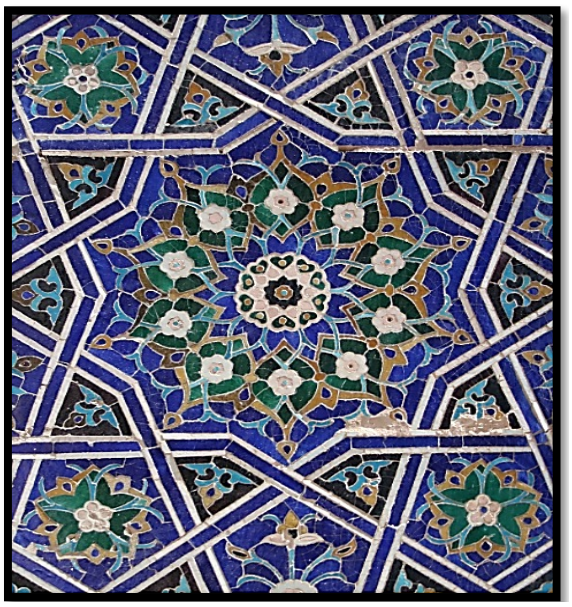

لوحة (7) زخارف نباتية على طراز الأرابيسك على بلاطة خزفية، صناعة مدينة أزنيك – تركيا، سنة 1561م، الأبعاد،(25× 24.5 سم ، متحف أغا خان. رقم 583, 584, 862

لوحة (8) زخارف فسيفسائية على الطراز الإسلامي وهي من الخزف المزجّج الملون في قصر الحمراء في الأندلس.

لوحة (9) زخرفة نباتية وهندسية على الطراز الإسلامي في شاه زنده بسمرقند في أوزبكستان

لوحة (10) زخرفة ألأرابسك من الجامع الأموي بدمشق.

لوحة (11) جزء من بلاطة خزفية مزخرفة بالأرابسك، من سمرفند بأزبكستان قرن 15م ،

لوحة (12) مبخرة من النحاس المكفت بالفضة، مصر العصر المملوكي القرن 8هـ/ 14م، متحف فرير جالري للفن بواشنطن، رقم الحفظ (DSC04663)

لوحة (13) مبخرة من النحاس المكفت بالذهب والفضة، مصر- العصر المملوكي القرن 8هـ/ 14م، متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، رقم الحفظ 15109 .

لوحة (14) مبخرة من النحاس المكفت بالفضة، مصر العصر المملوكي القرن 8هـ/ 14م، متحف آسيا الوطني بواشنطن ، رقم الحفظ .

لوحة (15) مشكاة من الزجاج المزخرف بالمنا متعدد الألوان من العصر المملوكي، القرن 8هـ / 14م. متحف الفن الإسلامي، في متحف برجامون ببرلين.

لوحة (16) مشكاة من الزجاج المزخرف بالمنا متعدد الألوان من العصر المملوكي، القرن 8هـ / 14م. متحف الوطني بسكوتلاند، في أدنبرج

الهوامش

١. مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ترجمة عبلة عبد الرازق، المركز القومي للترجمة، العدد ٢٦٤٨، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص١٩.

٢. كونل، أرنست، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ترجمة أحمد موسى، وكالة الصحافة العربية(ناشرون)، الجيزة- مصر، ص١١.

٣. هناك كثير من المستشرقين لم يفهم الفن الإسلامي بشكل وفهم صحيح ويقيس الفن الإسلامي بمقياس الفنون الأوربية. وفي المقابل رد على هؤلاء الكثير من النقاد والمستشرقين الغربيين ووضعوا الفنون الإسلامية في مكانة بالغة الأهمية مع تفسير يتميز بالعمق وفهم للثقافة الإسلامية. ص ٢١. خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، جمعية المسلم الصغير، مجلد ١٣، عدد ٥٠، ١٩٨٨م، ص ٢١.

٤. لاندو، روم، الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م، ص ٣١٥.

٥. لاندو، روم، الإسلام والعرب، ص ٣١٥؛ خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، ص ٢٣.

٦. كونل، أرنست، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ص١١.

٧. مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٤.

٨. الرفاعي، أنور، النظم الإسلامية، دار الفكر، دمشق ١٩٧٣م، ص ٢٩٢.

٩. مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٩.

١٠. عصمان، زينب عبد الحميد عبد اللطيف، خصائص الفن الإسلامي، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، (العدد ٥)، ج١، سنة ٢٠٢١م، ص ١٤٨؛ طالو، محي الدين، تاريخ عباقرة الفن التشكيلي في العالم وأشهر ما خلفوه من روائع خالدة عبر العصور، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٧؛ الرفاعي، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ص١١.

١١. من الثابت تاريخيا أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أرسل رسائل إلى أشهر ملوك ورؤساء الأرض في بداية دعوته، يدعوهم فيها إلى الإسلام. من أبرز هذه الرسائل تلك التي أرسلها إلى: النجاشي ملك الحبشة، وهرقل عظيم الروم، والمقوقس عظيم القبط، وكسرى ملك فارس. وتضمنت هذه الرسائل البسملة وأن هذه الرسائل من محمد رسول الله، ودعوة عامة للإسلام. محمد شاكر، وعبد الوهاب طويلة، عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق، ص٥: ٢٠

١٢. البحيري، صلاح الدين سيد، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، حوليات كلية الآداب، الحولية (٣)، الرسالة (١٢)، ١٩٨٢م، ص٨، ١٧، ١٩.

١٣. مدينة كشجار (أو كاشغر) هي مدينة تاريخية تقع في منطقة "شينجيانغ" ذاتية الحكم في غرب الصين. كانت كشجار نقطة مهمة على طول طريق الحرير القديم وتشتهر بتاريخها الغني وتراثها الثقافي.

١٤. مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص٢١.

١٥. حسن، زكى محمد، في الفنون الإسلامية، مطبوعات اتحاد اساتذة الرسم،(د.ت)، ص١٠؛ مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص٢٠.

١٦. عبد السلام، محمد أحمد، الفنون الإسلامية في الصين وأثرها على فنون اليابان

وكوريا في الفترة (٨- ١٣هـ/ ١٤- ١٩م)، مخطوط. أطروحة دكتوراة، جامعة حلوان كلية الآداب، ٢٠١٧م، ص ١٤٨٩.

١٧.البحيري، صلاح الدين سيد، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص ١٧، ١٩.

١٨.البحيري، صلاح الدين سيد، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص ٨ .

١٩.لاندو، روم، الإسلام والعرب، ص ٣١٥- ٣١٨؛ خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، ص ٢٣.

20. http://arabic.china.org.cn/arabic/101575.htm

٢١.البحيري، صلاح الدين سيد." عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص ٨.

٢٢.لاندو، روم، الإسلام والعرب، ص ٣٢٥؛ خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، ص ٢٤.

٢٣.البحيري، صلاح الدين سيد."عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص ٥٤ .

٢٤.فارس، بشر، الزخرفة الإسلامية، مؤسسة هنداوي ٢٠١٧م، ص ٢٥- ٢٧.

٢٥.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٨.

٢٦.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٨.

٢٧.فارس، بشر، الزخرفة الإسلامية، ص ١٥.

٢٨.شريقي، زكريا، الفن العربي الإسلامي الجذور والمؤتمرات، ص ١١٣، ١١٤.

٢٩.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٧.

٣٠.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج٣، ص ١٩٣، باب جمر.

٣١.الباشا، حسن، المباخر، بحث في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٠م، ص٦٠٢، ٦٠٤.

٣٢.صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم : ٧٣٣٥ ، خلاصة حكم المحدث : صحيح.

٣٣.البحيري، صلاح الدين سيد." عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص ٥٤ .

٣٤.أحمد، عبد الرازق أحمد، الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٢٦٤- ٢٦٥ .

٣٥.كان الارتباط وثيقا بين الدين والكهانة والفن في العصر الفرعوني، فقد رعى الكهان الفنون في المعابد الكبرى حيث تأسست "الورش الفنية" لإنتاج التماثيل ومختلف أنواع الانتاج الفني للأغراض الكهنوتية، وكان ذلك واضحا في الدولة القديمة حيث كان كبير الفنانين هو نفسه كبير كهنة "بتاح"، وقد استمر هذا الارتباط على مدى التاريخ المصري القديم، كما كان الكثير من الفنانين الذين عملوا في إنشاء المقابر الملكية في طيبة شغلوا أيضا وظائف كهنوتية في العبادات المحلية. ويأتي المعبد على قمة المجالات التي تجلى فيها التراث الفني في مجالات الرسم والنقش والنحت. ألدريد، سيريل، الفن المصري القديم، ترجمة أحمد زهير، مطابع هيئة الآثار المصرية، مشروع المائة كتاب رقم (١٣)، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٣٠- ٣١ ؛ ابراهيم، بهاء الدين، المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٩٩)، ص٨٣.

٣٦.كانت فنون العصر البيزنطي قد نمت وتألقت في أحضان الكنيسة وأشربت فكرها وأصبحت تعبر عن عقيدتها الدينية وما فيها

من جنوح إلى الحكم الاستبدادي المطلق ونـزوع إلى التصوف. عكاشة، ثروت، الفن البيزنطي، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ١٦٠.

٣٧. هناك العديد من المعابد اليهودية التي تحتوى تصاوير دينية منها معبد دورا على نهر الفرات، ويرجع إلى عام ٢٤٥م، وبه عدة نقوش حائطية، تمثل حوادث من العهد القديم كالنبي حزقيال، وهو في وادى العظام راكبا حصانا. وقصة الفداء وحوادث من قصة موسى مثل العثور عليه وخروجه من مصر. والمعبد الثاني في نورا "عين دوق" بالقرب من تل السلطان، تمثل المجموعة الفلكية، ورسم لقصة النبي دانيال في جب الأسد. وثمة معبد ثالث في مدينة جـراش من القرن الرابع أو الخامس الميلادي. وبه فسيفساء تمثل فلك نوح والحيوانات، وفى بيت بالقرب من بيت شان معبد يرجع إلى القرن السادس الميلادي، ومن رسومه رسم للشمس على هيئة وجه آدمي في عربة تجرها أربعة جياد، ورسـم آخـر لقصة الـفـداء. وذكر بنيامين التطيلى من نافارا بإسبانيا الذى زار القسطنطينية ومصر وبلاد الجزيرة وإيران في القرن ١٢م أنه رأى بقرية الكفل جنوب الحلة بالعراق صورتين في ضريح النبي حزقيال، إحداهما تمثله والأخرى للملك يهوياكيم، وقال: إنهما صورتان كبيرتا الحجم، وأن القبر مزار لليهود من مختلف البلاد. محرز، جمال محمد، التصوير الإسلامي ومدارسه، المكتبة الثقافية ٦١، دار القلم، القاهرة ١٩٦٢، ص٩-١٠ .

٣٨. أقام الأقباط الكنائس والأديرة للعبادة على نمط الكنائس البيزنطية، وتمتاز الكنائس القبطية بما تحويه من تصاوير منفذة بالفرسكو تزين جدران ومحاريب الكنائس، وهذه التصاوير مستمدة من قصص الأنبياء والأحداث الدينية. علام، نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط القديم، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٢٦٥.

٣٩. هناك نموذج لا يمكن القياس عليه حيث نجد في جامع هارون " ولي عهد" بأصفهان، حيث يرى فوق المدخل لوح من الخشب المزين بالزخارف المحفورة على شكل ملكين يطيران. وهناك نموذج نادر جدا كذلك للأضرحة كضريح فتح على شاه بمدينة قم حيث نرى ستائر قد طرزت فيها صورة صاحب الضريح، وكذلك توجد صورة بالحجم الطبيعي للإمام رضا في ضريحة بمشهد. حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٠م، ص ٧٧ .

٤٠. صحيح البخاري جزء ١، ص ١٣٨. ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري جزء ٧ ، ص٣٨. الباشا، حسن، مدخل إلى الآثـار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢٦٥.

٤١. وفتح الباري بشرح صحيح البخاري جزء ٧ ، ص٣٨. الباشا، حسن، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، دار النهضة العربية القاهرة (د. ت)، ص١٠-١١ .

٤٢. هناك نموذج نادر جدا كذلك للأضرحة كضريح فتح على شاه بمدينة قم حيث نرى ستائر قد طـرزت فيها صـورة صاحب الضريح، وكذلك توجد صـورة بالحجم الطبيعي للإمام رضا في ضريحة بمشهد. حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٠م، ص ٧٧ .

٤٣. الباشا، حسن، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، صـ ١٩.

٤٤. البهنسى، صلاح أحمد، مناظر الطرب في العصرين التيمورى والصفوى دراسة

آثارية فنية رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩م .

٤٥.سالم، عبد العزيز صلاح، الرياضة وأدواتها في مصر الإسلامية في ضوء مجموعتي المتحف الإسلامي والقبطى بالقاهرة، دراسة آثارية وفنية ، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م .

٤٦.شحاته، سومه عبد المنعم إبراهيم، مناظر الصيد والقنص على التحف التطبيقية وفى تصاوير المخطوطات من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي، دراسة فنية آثارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٩٣م

٤٧.حسن، حسنى عبد الشافي محمد، تصاوير المرأة في ايران في العصرين التيموري والصفوي من خلال المخطوطات والفنون التطبيقية، دراسة اثرية حضارية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٨.حسن، زكي محمد، في الفنون الإسلامية، ص٢٧ .

٤٩.عثر على مصحف وحيد ينسب إلى إيران في عصور متأخرة كتب (١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م) يتضمن خمس صور توضح مناظر في قصص الأنبياء ، وأكبر الظن أن مصوره تأثر بفكرة التصوير الديني في الغرب، ومن المحتمل أن الصور المرسومة في هذا المصحف أحدث عهدا منه ، لأن الخطاط لم يترك لها مكانا فعمد المصور إلى حذف بعض الآيات وتغطية مكانها بالصور. وقد يكون هذا كله من عمل أحد تجار العاديات أو المشتغلين بها ؛ أراد أن يجعل لهذا المصحف ميزة فنية فأضاف إليه بعض الصور. حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية، ص ٧٨ . مرزوق، محمد عبد العزيز، المصحف الشريف دراسة تاريخية فنية، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٠م، ص ٤٣- ٤٥. R. Gottheil,"An Illustrated Copy of the Koran" search in: Revue des Etude Islamique, 1931, pp. 22-24.

٥٠.الباشا، حسن، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، ص١٨- ١٩ .

٥١.عبد الرحيم، عبد الرحيم خلف، الطابع المدني لفن التصوير الإسلامي وأثره على الفنون الأوربية، كتاب المؤتمر العالمي الرابع للعمارة والفنون الإسلامية، ج١، الطبعة الأولى، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر، الجيزة ٢٠١٧م، ص ٣٤٩- ٣٦٧

٥٢.الباشا، حسن، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ص١٩، الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٢٦٤.

٥٣.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٤.

٥٤. شريقي، زكريا، الفن العربي الإسلامي الجذور والمؤثرات، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،٢٠١٢م، ص١١.

٥٥.البحيري، صلاح الدين سيد." عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، حوليات كلية الآداب، الحولية٣، الرسالة ١٢، ١٩٨٢م، ص ٨ .

٥٦.رشدي، صبيحة رشيد، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة المعاهد الفنية – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٨

٥٧.الباشا، حسن، التصوير الإسلامي، ص ٢٧ ؛ فرغلي، أبو الحمد محمود، التصوير الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٨٤ .

٥٨.لاندو، روم، الإسلام والعرب، ص ٣١٥؛ خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، ص ٢٦.

٥٩.عكاشة، ثروت، التصوير الإسلامي بين الحظر والإباحة ، سلسلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،١٩٨٤م، ص ٣٩.

٦٠.ومن الدارسات في ذلك : حسن، محمد عواد، تصاوير العيون في المخطوطات الطبية الإسلامية دراسة آثارية فنية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م ،

٦١.قشطه، هيام زكريا السعيد، التصاوير العلمية في المخطوطات العثمانية في ضوء مجموعة دار الكتب المصرية ، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.

٦٢.كينج، ديفيد أ.، الرسوم التوضيحية في المخطوطات العلمية الإسلامية وبعض أسرارها، بحث في كتاب: الكتاب في العالم الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، ٢٩٧، الكويت ٢٠٠٣م، ص ١٢٧.

٦٣.عيسى بك، أحمد، تاريخ النبات عند العرب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٤٤م صـ ٥٦.

٦٤.لعيبي، شاكر، الفن الإسلامي والمسيحية العربية رياض الريس للكتب والنشر،٢٠٠١م، صـ ٤٣، عباس، إحسان ، العرب في صقلية، دار الثقافية، بيروت، طبعة ١، ١٩٧٥م، صـ ١٤١.

٦٥.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٩.

٦٦.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص٢٠.

٦٧.مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ص١٤.

٦٨.حسين، محمود ابراهيم، الأنا الفاعلة في الفن والعمارة الإسلامية (دراسة في الفكر)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد (٥٢)، السنة (١٣)، جامعة الكويت، ١٩٩٨م، ص ١٨٣.

٦٩.حسين، محمود ابراهيم، الأنا الفاعلة في الفن والعمارة الإسلامية (دراسة في الفكر)، ص ١٩٣.

٧٠.لاندو، روم، الإسلام والعرب، ص ٣٢٥؛ خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، ص ٢٤.

٧١.للمزيد عن مدينة السلطانية انظر، دويدار، مصطفى، تصاوير المدن في ضوء مدرسة التصوير العثمانية، مخطوط رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٦م، ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ، لوحتى رقم ٦٩، ٧٠.

٧٢.حسن، زكى محمد ، التصوير في الإسلام عند الفرس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، ط١ ،١٩٩٣، ص ٣١.

٧٣.حسن، زكي محمد، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٤م، ص ٢٢٠.

٧٤.حسن، منى سيد على، التصوير في الهند، الصور الشخصية في المدرسة المغولية الهندية، دار النشر للجامعات- مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢هـ، ص ٣٦٧.

٧٥.البحيري، صلاح الدين سيد، "عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص٨.

٧٦.الباشا، حسن، التصوير الإسلامي، صـ ٧٧، أحمد تيمور، التصوير عند العرب، صـ ١٠٨؛ جوستاف لوبون حضارة العرب، صـ ٥٠٨

٧٧.فهمى، عبد الرحمن، السجاد، بحث في كتاب "القاهرة تاريخها وآثارها وفنونها"، ص٥٨٥.

٧٨. آل قماش، قماش بن على حسين،

خصائص الفن الإسلامي كمصدر لنشأة بعض اتجاهات الفن الحديث والمعاصر، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج١٣، عدد ٢، ٢٠٢١م، ص ١٤٩.

٧٩. آل قماش، قماش بن على حسين، خصائص الفن الإسلامي، ص ١٥٣؛ غازي مكداشي، وحدة الفنون الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، طبعة ١، ١٩٩٥م، ص١٤٧، نقلا عن Stolnits Jerome: Aesthetics and Philosophy of Art Criticism ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١م، ص٢٣٨، فرغلي، أبو الحمد محمود، التصوير الإسلامي، ص٩٣.

٨٠. يذكر الباشا، حسن، "لقد كان المصور أقل مكانة من الخطاط بل أقل مكانة من المذهب". الباشا، حسن، التصوير الإسلامي في العصور الوسطي، ص١٨. ويذكر أبو الحمد محمود فرغلي: "تأثر المصورون بما كان شائع من كراهية التصوير فأصبح دورهم يأتي بعد الخطاط". فرغلي، أبو الحمد محمود، التصوير الإسلامي، ص٢٧.

٨١. آل قماش، قماش بن على حسين، خصائص الفن الإسلامي، ص١٥٣.

٨٢. في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، بدأت أوروبا تفقد قبضتها على الواقع، فكان عالم أينشتاين أشبه بالخيال العلمي. حيث قام الكاتب (هوغول بول) بتأسيس الحركة الدادية عام ١٩١٦م. بملهى في زيورخ سويسرا فكانت الدادية حركة فنية وأدبية نشأت كرد فعل على الحرب العالمية الأولى، وقد تأثرت بحركات حديثة أخرى كالتكعيبية والتعبيرية والمستقبلية وكان إنتاجها متنوعا من فن الشعر والتصوير والنحت والرسم والكولاج.

https://elakademiapost.com/%D8%B1%AD%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D9%8-A9%D8%A7%D9%AF%D8%A7%AF%D8%A7%D8%D9-A9%8A%D8%

٨٣. أل قماش، قماش بن على حسين، خصائص الفن الإسلامي، ص١٥٣.

٨٤. قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي، منبر التوحيد والجهاد، ص١٩، ٢٠.

٨٥. عبد الرحيم، عبد الرحيم خلف، الطابع المدني لفن التصوير الإسلامي وأثره على الفنون الأوربية، ص ٣٥٥.

86. De lorey E, Picasso et L'orient Musulman, Gazette des Beax Arts, Paris 1932, p. 314 -298.

٨٧. حسن، زكي محمد، في الفنون الإسلامية، ص ٢٥ ؛ شريقي، زكريا، الفن العربي الإسلامي الجذور والمؤتمرات، ص١١,

٨٨. سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،ج١، صـ ١٤٨.

٨٩. عصمان، زينب عبد الحميد عبد اللطيف، خصائص الفن الإسلامي، ص ١٥٢؛ حجازي، محمد عبد الواحد، فلسفة الفنون في الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية(د.ت)، ص ١٧٠-١٧١

٩٠. البحيري، صلاح الدين سيد، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، ص ٥٣.

٩١. عصمان، زينب عبد الحميد عبد اللطيف، خصائص الفن الإسلامي ، ص ١٥٤

٩٢. عبد الرحيم خلف عبد الرحيم، الصيدلة وأدواتها ومكاييلها في العصر الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ٢٠٠٣م

ص ٢٥ .

٩٣. بشر فارس، سر الزخرفة الإسلامية، ص ٣١-٣٥٩٣

٩٤. بشر فارس، سر الزخرفة الإسلامية، ص ٣١-٣٥٩٤

٩٥. حسن، ذكي محمد، مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي، ص ٤١.

٩٦. عن السمات الفنية العامة للمدرسة المظفرية .انظر، الباشا، حسن، التصوير الإسلامي ، ص ٢٦٣ ؛ فرغلي، أبو الحمد محمود، التصوير الإسلامي، ص ١٩٦-١٩٩ .

٩٧. عن السمات الفنية للمدرسة الجلائرية في التصوير انظر ، أبو الحمد محمود فرغلى ، التصوير الإسلامي، ص ، ٢١٩ ـ ٢٢١، ثروت عكاشة ، التصوير الفارسي والتركي ، ص ص ٦٦ ـ ٦٧ .

٩٨. ثـروت عكاشة ، التصوير الفارسي والتركي ، ص ١١١.

٩٩. أبـو الحمد محمود فرغلي، التصوير الإسلامي ، ص ٢٤٤

١٠٠. الدحاني، بـدر، في فلسفة الفن وعلم الجمال : مداخل وتصورات، دائرة الثقافة – حكومة الشارقة، ص ٢١.

١٠١. عليوه، منى مصطفى، أثـر الفنون الإسلامية في أعمال فن التصوير الحديث والـمـعـاصـر، مجلة الـعـمـارة والفنون الإسلامية، العدد الثامن، القاهرة، ص ١٠

١٠٢. السرجاني، راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج١، الطبعة الثانية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ص ٧٢٢؛ ديونيسيوس آجيوس، وريتشارد هيتشكوك، التأثير العربي في أوربـا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٦٤.

١٠٣. بيطار، زيـنـات، أثـر فـن المنمنمات الإسلامية ، دراسة مقارنة بين محمد راسم الجزائري وأوجين ديلاكروا ، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي ، ١٩٩٧م، ص١٠٨

١٠٤. البابا يوجين الرابع البابا يوجين الرابع (مواليد ١٣٨٣) البابا يوجين الرابع (لاتيني: أوجينيوس الرابع ؛ إيطالي: أوجينيو الرابع ؛ ١٣٨٣-٢٣ فبراير ١٤٤٧)، ولد غابرييل كوندولمر، وكان رئيسًا للكنيسة الكاثوليكية وحاكم الولايات البابوية من ٣ مارس ١٤٣١م حتى وفاته. كان كوندولمر من البندقية وابن أخ البابا غريغوري الثاني عشر. في عام ١٤٣١ انتخب بابا. تميزت فترة ولايته بالصراع أولاً مع كولوناس ، أقارب سلفه مارتن الخامس، ولاحقًا مع حركة كونسيلار. في عام ١٤٣٤م).

https://www.calendarz.com/ar/pope-/٢٣/on-this-day/february eugene-iv

١٠٥. السرجاني، راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج١، ص ٧٢٣؛ جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٥٣١.

١٠٦. يعقوب، جورج، أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى ، ترجمة فؤاد حسين على ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ، القاهرة ١٩٤٦م، ص٧١.

١٠٧. يعقوب، جورج، أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ص٧١.

١٠٨. بيطار، زينات، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي ، سلسلة عالم المعرفة ١٥٧، الكويت ١٩٩٢، ص ٣٠ . نقلا عن : ف. بارتولد ، أعمال في تاريخ الاستشراق ، الأعمال الكاملة، (٩) أجزاء ، موسكو ، ١٩٧٧م ، ج٦، ص٢٨٠، ٢٨١،

٣٦٠، ٣٦٤، ٤٣٢، ٤٦١.

١٠٩. بيطار، زينات، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، ص ٣٠.

١١٠. بيطار، زينات، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، ص ٣١ .

المصادر والمراجع

- إبراهيم، بهاء الدين، المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم (١٩٩).
- أحمد، عبدالرازق أحمد، الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة،
- ألدريد، سيريل، الفن المصرى القديم، ترجمة أحمد زهير، مطابع هيئة الآثار المصرية، مشروع المائة كتاب رقم (١٣)، القاهرة ١٩٩٠م.
- آل قماش، قماش بن على حسين، خصائص الفن الإسلامي كمصدر لنشأة بعض اتجاهات الفن الحديث والمعاصر، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج١٣، عدد ٢، ٢٠٢١م.
- الباشا، حسن، المباخر، بحث في كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٩٧٠م.
- الباشا، حسن، التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية القاهرة (د. ت).
- الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩م.
- بارتولد ف.، أعمال فى تاريخ الإستشراق، الأعمال الكاملة، (٩) أجزاء، موسكو، ١٩٧٧م، ج٦.
- البهنسى، صلاح أحمد، مناظر الطرب فى العصرين التيمورى والصفوى دراسة آثرية فنية رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م .
- البحيري، صلاح الدين سيد، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، حوليات كلية الآداب، الحولية (٣)، الرسالة (١٢)، ١٩٨٢م.
- بيطار، زينات، أثر فن المنمنمات الإسلامية، دراسة مقارنة بين محمد راسم الجزائري وأوجين ديلاكروا، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، ١٩٩٧م.
- بيطار، زينات، الإستشراق فى الفن الرومانسى الفرنسى، سلسلة عالم المعرفة ١٥٧، الكويت ١٩٩٢م .
- حجازي، محمد عبدالواحد، فلسفة الفنون في الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية(د.ت).
- حسن، حسنى عبد الشافى محمد، تصاوير المرأة فى ايران فى العصرين التيموري والصفوى من خلال المخطوطات والفنون التطبيقية، دراسة اثرية حضارية مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦م.
- حسن، زكي محمد، الفنون الإيرانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٠م .
- حسن، محمد عواد، تصاوير العيون فى المخطوطات الطبية الإسلامية دراسة آثرية فنية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م،
- حسن، زكى محمد، فى الفنون الإسلامية،

مطبوعات اتحاد اساتذة الرسم،(د.ت).

- حسن، زكى محمد، التصوير فى الإسلام عند الفرس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، ط١، ١٩٩٣م.
- حسن، زكي محمد، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م.
- حسن، منى سيد على، التصويرفى الهند، الصور الشخصية فى المدرسة المغولية الهندية، دار النشر للجامعات- مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢هـ.
- حسين، محمود ابراهيم، الأنا الفاعلة في الفن والعمارة الإسلامية (دراسة في الفكر)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد (٥٢)، السنة (١٣)، جامعة الكويت، ١٩٩٨م.
- الدحاني، بدر، في فلسفة الفن وعلم الجمال، مداخل وتصورات، دائرة الثقافة – حكومة الشارقة.
- دويدار، مصطفى، تصاوير المدن فى ضوء مدرسة التصوير العثمانية، مخطوط رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٦م.
- ديونيسيوس آجيوس، وريتشارد هيتشكوك، التأثير العربي في أوربا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والإجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩م.
- خليل، عماد الدين، قراءات في الفكر الغربي حول الفن الإسلامي، جمعية المسلم الصغير، مجلد ١٣، عدد ٥٠، ١٩٨٨م.
- رشدي، صبيحة رشيد، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية،الطبعة الأولى، مؤسسة المعاهد الفنية – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، القاهرة، ١٩٨٠م.
- الرفاعي، أنور الجندي، النظم الإسلامية، دار الفكر، دمشق ١٩٧٣م.
- سالم، عبد العزيز صلاح، الرياضة وأدواتها فى مصر الإسلامية فى ضوء مجموعتى المتحف الإسلامى والقبطى بالقاهرة، دراسة آثرية وفنية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م .
- السرجاني، راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج١، الطبعة الثانية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- شحاته، سومه عبد المنعم إبراهيم، مناظر الصيد والقنص على التحف التطبيقية وفى تصاوير المخطوطات من العصر الفاطمى حتى نهاية العصر المملوكى، دراسة فنية آثرية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.
- شريقي، زكريا، الفن العربي الإسلامي الجذور والمؤثرات، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،٢٠١٢م.
- طالو، محي الدين، تاريخ عباقرة الفن التشكيلي في العالم وأشهر ما خلفوه من روائع خالدة عبر العصور، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
- عباس، أحسان، العرب في صقلية، دار الثقافية، بيروت، طبعة ١، ١٩٧٥م.
- عبدالرحيم، عبدالرحيم خلف، الطابع المدني لفن التصوير الإسلامي وأثره على الفنون الأوربية، كتاب المؤتمر العالمي الرابع للعمارة والفنون الإسلامية، ج١،

الطبعة الأولى، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر،الجيزة ٢٠١٧م.

- عبدالسلام، محمد أحمد، الفنون الإسلامية في الصين وأثرها على فنون اليابان وكوريا في الفترة (٨- ١٣هـ/ ١٤- ١٩م)، مخطوط أطروحة دكتوراة، جامعة حلوان كلية الآداب، ٢٠١٧م.
- عصمان، زينب عبدالحميد عبداللطيف، خصائص الفن الإسلامي، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، (العدد ٥)، ج١، سنة ٢٠٢١م.
- عكاشة، ثروت، الفن البيزنطى، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- عكاشة، ثروت، التصوير الإسلامي بين الحظر والإباحة، سلسلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،١٩٨٤م.
- عـــلام، نـعـمـت إسـمـاعـيـل، فـنـون الشرق الأوسط القديم، دار المعارف بمصر١٩٦٩م.
- عليوه، منى مصطفى، أثر الفنون الإسلامية في أعمال فن التصوير الحديث والمعاصر، مجلة العمارة والفنون الإسلامية، العدد الثامن، القاهرة.
- عيسى بك، أحمد، تاريخ النبات عند العرب، القاهرة،الطبعة الأولي ١٩٤٤م.
- غازي مكداشي، وحدة الفنون الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، طبعة ١، ١٩٩٥م.
- فارس، بشر، الزخرفة الإسلامية، مؤسسة هنداوي ٢٠١٧م.
- فرغلي، أبو الحمد محمود، التصوير الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية،الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- قشطه، هيام زكريا السعيد، التصاوير العلمية فى المخطوطات العثمانية فى ضوء مجموعة دار الكتب المصرية، رسالة ماجستير، كلية الآثـار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
- لانـدو، روم، الإسـلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.
- عبد الرحيم خلف عبد الرحيم، الصيدلة وأدواتها ومكاييلها في العصر الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة ٢٠٠٣م.
- كونل، أرنست، الفن الإسلامي من العصر الأموي إلى العصر العثماني، ترجمة أحمد موسى، وكالة الصحافة العربية(ناشرون)، الجيزة- مصر.
- كينج، ديفيد أ.، الرسوم التوضيحية في المخطوطات العلمية الإسلامية وبعض أسرارها، بحث في كتاب: الكتاب في العالم الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، ٢٩٧، الكويت ٢٠٠٣م.
- لعيبي، شاكر، الفن الإسلامى والمسيحية العربية، رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠١م.
- مارسيه، جورج، الفن الإسلامي، ترجمة عبلة عبدالرازق، المركز القومي للترجمة، العدد ٢٦٤٨، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- مـرزوق، محمد عبدالعزيز، المصحف الشريف دراسـة تاريخية فنية، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٧٠م.
- محرز، جمال محمد، التصوير الإسلامى ومدارسه، المكتبة الثقافية ٦١، دار القلم، القاهرة ١٩٦٢م.

- محمد شاكر، وعبد الوهاب طويلة، عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، ج٣، ص ١٩٣، باب جمر.
- يعقوب، جورج، أثر الشرق فى الغرب خاصة فى العصور الوسطى، ترجمة فؤاد حسين على، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٩٤٦م.
- De lorey E., "Picasso et L'orient Musulman",Gazette des Beax Arts, Paris 1932, pp. 314 -298
- R. Gottheil" An Illustrated Copy of the Koran" search in : Revue des Etude Islamique , 1931.
- Stolnits Jerome, Aesthetics and Philosophy of Art Criticism,
- ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١م.
- https://www.calendarz.com/ar/on-this-day/february/23/pope-eugene-iv
- http://arabic.china.org.cn/arabic/101575htm.

إبراهيم الفجيجي: أميرُ الطَّرَدِيّات في المغرب القديم والحديث

فجيج: محمد بوزيان بنعلي
المغرب

شعر القنصِ، أو فنُّ الطَّرَديّاتِ، جمع طَرَدِيَّة بفتح الطاء والراء، تُطلَقُ على القصائد التي يكون موضوعها الصيد. نظمها شعراءُ مولعون بالقنص بالصقر والكلاب المدرّبةِ وما أشبَهَهُما. نشأ هذا الفنُّ في العصرِ الجاهلي وترعرع في العصر العباسي، وبرع فيه شعراءُ كُثْرٌ كأبي نواس وابن المعتز وسواهما.

ولئن ضعُفَ الإبداعُ القولي في هذا الفنِّ في راهننا، فإنه عمليًا لا يزالُ متوهِّجًا قويًا، ولا سيّما في بعضِ دول الخليجِ العربيِّ، التي أولتْه اهتمامًا عظيمًا، بفضلِ ما يحتجِنُه من منافعَ مادّيّةٍ ومعنويّةٍ، على نحو ما قال إبراهيم الفجيجي صاحبُ الترجمةِ شخصيًا:

يلومونني في الصيد والصيْدُ جامــع ... لأشيــاءَ للإنسانِ فيها منافـــــعُ

فمن هو إبراهيم الفجيجي هذا؟

موجزٌ من ترجمة حياته:

إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد بن موسى الفجيجي البرزوزي الورتدغيري، ولد بفجيج نحو عام ٨٦٠هـ/١٤٥٦م. نشأ وترعرع في بيت عزٍّ وشرَفٍ وعلمٍ وصلاحٍ: فوالدُه هو الإمامُ عبد الجبار العالمُ الرحلةُ المفسّرُ المحدّثُ الحافظُ الفقيهُ الأديبُ، صاحب خزانةِ **"دار العُدّة"** التي سارَ بذكرِها الركبان، وتهافتَ على زيارتِها الرحالون والعلماءُ.

أخذ العلم على يديْه، ونشأ على غراره يعنى بتحصيل العلوم، ورحل فى سبيل العناية بها إلى فاس وتلمسان ولقى علماءهما وأخذ عنهم، ورحل إلى مصر وأخذ عن علمائها. وتنقل بين حواضرَ علميّةٍ أخرى للاستزادةِ وتوسيع المدارِك، كتوات وتونس وطرابلس والقاهرة ومكة والمدينة. جلَسَ في كلٍّ منها إلى شيوخٍ مبرّزين نبهاءَ، له منهم إجازاتٌ ومُناولاتٌ، نذكر منهم على سبيل المثال أبا العباس الونشريسي صاحب المعيار (ت: ٩١٤هـ/١٥٠٩م)، والعلّامة الطائرَ الصيت

ابن غازي المكناسي (ت: ٩١٩هـ/١٥١٣م) في فاس، ومحمد بن يوسف السنوسي (ت: ٨٩٥هـ/١٤٩٠م) ومحمد بن مرزوق الكفيف (ت: ٩٠١هـ/١٤٩٦م)، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: ٩٠٩هـ/١٥٠٤م) في تلمسان. ولقي في مصر كلًا من الأشموني جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، وفي الحجاز جلس إلى حلقاتِ شمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)، صاحب الضوء اللامع، وأحمد بن موسى بن عبد الغفار المالكي (ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٤م) وغيرهم...

تخرّجَ عليه تلامذةٌ جهابذةٌ أفذاذٌ، لعلّ أبرزَهم أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي الأندلسي المتوفى عام (٩٣٨هـ/١٥٣٢م). ذَكَرَه بكثيرٍ من الاحترامِ والتقدير والإعجاب في ثَبَتِه الحافِل، المشتمِل على بعضِ إجازاتِه وإجازاتِ والِده عبد الجبار المذكورِ آنفًا غير بعيدٍ.

مواقفُه:

كان الشاعر صاحبَ مبدأ راسخٍ يمتاحُ من مقتضياتِ شريعتنا العظيمة، مبدأٍ يعكسه عددٌ من المواقف المشهودةِ المشرِّفَة، حمدَه عليها نظراؤُه وورثَها منه بعضُ تلامذتِه، من ذلك:

١/ موقفه من مقتل صديقه عبد الحق السكوني:

وعبد الحقِّ السكوني الفجيجي هذا، من أغزرِ شيوخ فجيج علمًا، وأكثرِهم زهدًا وورعًا في زمانِه. كان من القضاةِ الصادعين بالحقِّ الملائمِ، ولا يخافُ في الله لومةَ لائم، بتعبير العلّامةِ أبي القاسم الفجيجي.

قتلَه أحدُ الرعاعِ غيلةً حينا أصدرَ حكما لم يصادِفْ هواهُ. ولما علمَ المترجَم بذلك، أقسمَ بالأيمان المغلّظةِ أن يهاجر من أرضٍ يقتَلُ بها العماءُ الرّبّانيّون. وقد برّ بقسَمِه ولم يتأخّرْ، بَيْدَ أنه لم يخرُجْ إلا بعدما نظمَ قصيدةً لاميّةً مؤثِّرَةً يهجو فيها القاتلين، ويحمّلُ الجميعَ مسؤوليّة ما حصلَ؛ معتبرًا أن سكوتَهم تواطُؤٌ مع الشّرِّ والظلمِ، ومطلعُ القصيدة:

تغيّرتِ البــلادُ واخْلَــوْلَكَ الليــلُ

وشبَّ ضرامُ الشّرِّ وانْهَمرَ السّيْـلُ

وآنَ الرحيــلُ مــن بلادٍ تأمّـرتْ

بهـا المفسدون واستمرَّ بها الهـولُ

إلى أن قال رحمه الله:

نهينــا عن الرهبان من غيرِ ديننـا

فكيف بأهلِ الدين، جاءكمُ الويْلُ؟

فتكتُــم بعبدِ الحقِّ لا دَرَّ دَرُّكُــم

على قولِـه للحقِّ وهْوَ لـه أَهــلُ

هنيئًــا له نَيْـلُ الشهـادةِ منكــمُ

وويْـلٌ لكـم من حاكمٍ حكمُه العدلُ

٢/ موقفه من يهود توات:

من أبرزِ العلماءِ الذين أخذ عنهم المترجَمُ في حاضرةِ توات أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت:وفي ٩٠٩هـ/١٥٠٣م). وقصّتُه مشهورةٌ مع يهودِ توات، فقد قام عليهم وألزمهم الذُّلّ، بل قتلهم وهدم كنائسهم، وعارضه في ذلك الفقيه العصنوني، حتى أمرهم إلى قضيّةٍ ونازلةٍ فقهيّةً سالَ حولها مدادٌ كثيرٌ شارك فيه علماءُ تلمسان وفاس

وتونس، ليس هذا محلّ تناولِها، إلا أن نُثَمِّنَ الدورَ المحوريّ الذي اضطَلَعَ به إبراهيم، وكان فيه مسانِدًا قويًا لشيخه المغيلي، على نحو ما أكّدَه الونشريسي في المعيار من جهة، وتؤكِّدُه قصيدتُه الطويلةُ من جهةٍ أخرى، ومطلعها:

أيا قاطني تْـواتَ فاصغَوْا إلى قوْلـي
فـقـد آنَ أنْ أبـحَ بالبَـعْضِ والـكُـــلِّ
أَأَنْـتُـمْ علـى دينِ النَّـبـيِّ مُـحـمّـــدٍ
أم الـقَـوْمُ والـيَـهـودُ شَـكْـلٌ إلى شـكْـلِ
فـمـا بالُـكُـمْ شَـرَّفْـتُـمـوهُـمْ علَـيْـكُـمُ
وَالإِسْلامُ أَوْلـى أنْ يُشَرَّفَ في الأصـلِ
فـإنْ كان هذا الرأْيُ رأْيَ فقيهكـــم
فما الظَّنُّ بالسفيـه والناقِصِ العقْـل؟!

قال أبو القاسم معلِّقا على هذه الأبيات : "إلى آخرها ، فلم يبق فيها - رحمه الله - ولم يذر، ما يزيح عنهم وعن غيرهم غياهب الظلم والكدر، أو يصيرهم عبرة لمن اعتبر."

هجرتُه إلى السـودان:

لم يعد إبراهيم راغبا في الاستقرارِ بمدينة توات بعدما شاهد ما عليه أهلُها من الخضوعِ لهيمنةِ اليهودِ الاقتصاديّةِ والتجاريّةِ، فأخذَ عصا تسيارِه وواصل طريقَه إلى السودان الغربي (مالي حاليا)، فَحَطّها بمدينة تومبوكتو، وهي آنذاك من أكثرِ عواصمِ إفريقيا نهوضًا وازدهارًا في شتّى المجالاتِ.

وكأني به وهو يتعجل الرحيلَ إلى تومبوكتو أراد أن يقطع الطريقَ أمام التأثيرِ اليهوديّ المتسارعِ حتى لا تمتدّ شرارتُه إلى تومبوكتو، وقد كانت تجمعهما علاقاتٌ استراتيجيّة قويّةٌ في الجانبيْن العلميّ والاقتصاديّ.

أقامَ بها إبراهيمُ زمانًا يشارِك بهمّةٍ ونشاطٍ في حركتها العلميّةِ وخطَطِها الشرعيّةِ مدرّسًا وإمامًا وقاضيًا ومؤلِّفًا، قبل ينزاحَ منها إلى مدينة "جَنّي/ Djénné"، حيث واصلَ عملَه بنفْسِ الصفةِ وذاتِ الوتيرةِ، وزادَ عليها إنشاءَ "زاوية" تجمع بين نشر العلم والتربيّةِ الروحيّة.

ويستفادُ من آخرِ الرسائل التي يحتفِظُ بها الأرشيفُ الاستعماري لفرنسا أن هذه الزاوية كان لها اتصالٌ وثيقٌ بزاويةِ بني عبد الجبّارِ الأمّ بفجيج إلى غاية ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.

وفاته رحمه الله:

توفي إبراهيم الفجيجي في مدينة "جَنّي" عام ٩٥٤هـ/١٥٤٧م. وفي هذا السياقِ حاولنا مرارًا أن نتعرّفَ إلى المكانِ الذي دُفِنَ فيه، لكننا لم نعد إلا بخُفّيْ حُنَيْنٍ. بل إن حياته على مدى نحو نصفِ قرْنٍ، في هذه المدينةِ وقبلَها تومبوكتو لا تزالُ مجهولةً إلينا مقارنةً بمسيرتِه العلميّة في فجيج قبل الهجرةِ.

أعمالُه:

ترك إبراهيم خلْفه ذخيرةً معتبرَةً من المؤلفاتِ النثريّةِ والإبداعاتِ الشعريّةِ، ضاعَ بعضُها، وعمِيَ علينا أمرُ بعضِها، ووصلَنا بعضُها، من ذلك:

عقيدة إبراهيم:

سمّاها: مقدمات في العقائد: عرض فيها حقائق التوحيد حقيقة حقيقة، مع الإشارة إلى الإيمان والإسلام والنية، وقواعد الإسلام، ومحل الإسلام، وإسلام البداية، وإسلام النهاية، وإسلام الوسط ..

أولها قوله بعد الحمدلة والتصلية: "فمما يجب لمولانا جل وعز عشرون صفة، وتنقسم على أربعة أقسام...". وآخرها: "...وشهادة النهاية من الصلاة والصيام والزكاة والحج..."

قواعدُ الإسلام:

أخذها عنه تلميذه الوادي آشي المذكور إجازةً، وأثنى عليها أطيبَ الثناء وأعطرَه فقال: "سمعتُ من لفظِ شيْخي، الشيخِ الفقيه الإمـامِ، القاضي الأجلّ، الصدْرِ الأوحدِ الفاضلِ، الأديبِ البليغِ الحافلِ الكاملِ، سيدي إبي إسحاق إبراهيم بن سيدي الشيخِ الإمـامِ، الأستاذِ المقرئِ، البركةِ الصالحِ، سيدي عبد الجبار، المذكور فوق هذا – نفع الله بهما – كافّةَ تأليفِه الذي وضعَه على قوله صلى الله عليه وسلّم: بُنِيَ الإسلامُ على خمْسٍ. ومثّلَ فيه هذا البيتَ المبنِيّ المستعارَ في الحديثِ ببيْتِ شَعَرٍ، له أعمدةٌ وعمادٌ، وحِبالٌ وأوتادٌ، على مثالٍ لم يُسْبَقْ إليه، ومنهاجٍ لم يسلُكْ أحدٌ قبلَه عليْه... إلخ.

مفيدة اللبيب:

أرجـوزةٌ رائعةٌ جمعت بين ثقافته الفقهيّةِ وروحِـه الصوفيّةِ، بلغ بها ٩٦٤ بيتًا، وفي تسميتها يقول:

سمَّيْتُها مُـفيدةَ اللـبيــــب

وعَـملَ الطبيبِ للحـبيـبِ

وهي مما يحتاجُ إليه المبتدي، ويرجعُ إليه المنتهي، إذ ضمّنَها من عيونِ الفقه، ونوادرِ المسائلِ ما لم يوجدْ في غيرِها.

شرح دلائل الخيرات:

القصد إلى كتاب: دلائل الخيرات وشوارق الأنوارفي ذكر الصلاة على النبي المختار، من تأليف الشيخِ محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م. ذكر هذا الشرح المؤرخ الكاتب عبد العزيز بنعبد الله رحمه الله في موسوعته، وأشار إلى أنه موجودٌ في خزانة..... ولم نقفْ له على أثرٍ.

فتاوى فقهيّة:

لا ندري إن ضمّها بين دفّتيْ تأليفٍ مستقلٍّ أو لا، لكنّنا وقفنا عل بضعِ نماذجَ منها في المغارسةِ والأحباس وغيرهما من النوازل التي كانت تدور بين أهلِ فجيج بصفةٍ خاصّةٍ.

روضة السلوان:

وهي القصيدة التي جعلت منه أمير شعراء الطرَديّاتِ بالمغرب لا في العصر الوطّاسي الذي أظلّه، ولكن على عمومِ الإطلاقِ والتعيين. ولهذا سنفرِدُ لها كلمةً واصفةٍ، فنقول:

تسميتُها:

سماها بعضهم "العينيّة" نسبةً إلى رَوِيّها، وسماها بعضُهم "قصيدة الصيد" أخـذًا من موضوعها، وأطلقوا عليها السلوانيّة، وسلوانة الصيْد... ووصفَها شوقي ضيف بالملحمة. ولها تسميّاتٌ أخرى، على الرغم من أن صاحبها حسم في أمرِها فقال:

فقلْ روضةَ السلوان إنْ شِئْتَ في اِسمِها

وقُل رحـــمَ الرحمنُ من هو ساجــعُ

سبب نظمها:

لم يكن شاعرُنا من القضاةِ المتزمتين، وإنما كان منفتحًا على الحياةِ ومباهجِها، مولعًا بالقنص،

وتربية الصقور. قسم حياته بفجيج بين وظيفته الشرعيّةِ، والخروج إلى الفضاءات الواسعة، والمروجِ المعشوْشِبَةِ، والأدغال الملتفّة، لا بحثًا عن طريدةٍ يقتنصُها فحسبُ، ولكن أيضًا هروبا من ضغوط المعيشِ اليوميّ وإكراهاتِه، ورغبةً في خلوةٍ يفرغ فيها للتفكر في خلق السماواتِ والأرض.

وقد جرّ عليه ذلك انتقادات الأعيانِ والدهماءِ على السواء، فنالوا منه بألسنتهم، ونقموا منه هذا الانفتاح، معتبرين أنه لا يليقُ بالعلماءِ والقضاةِ. بيْدَ أن إبراهيم أعرضَ عنهم مدّةً، حتى إذا بالغوا وأغرقوا في اللومِ والعتاب، والغيبة والنميمة، سلّ عليهم من إبداعِه حسامًا، أشبعهم به توبيخًا وإيلامًا.

قدّم لقصيدته بديباجةٍ حسنةِ السبْك، رائعةِ النظم، جزلةِ الأسلوب، جمع فيها الظروفَ المحيطة بميلادِها، ومما ورد فيها قولُه:

"فلما ألفت السياحة في البراري، وقنصَ الوحوش في مهامه الصحاري، والتفكرَ في مصنوعات الباري، فلا قيلَ ولا قالَ، ولا همجَ ولا ثقال، ولا جمام يسلب الهيبة كما قال:

وطول جمام الماء في مستقره

يغيِّره لونا وريحا ومطعمـــــا

كان مما اخْـتَـرْتُ الاصطيادَ به، لنزاهته وطهارته، ودَرابته ونَجابته: الصقرُ دون الكلب، لِحَقارته وقَذارته، وقِلّة نباهته، وسُرعة إجابته؛ وكنت أقول: "صَقْرٌ وَقور، خير من كَلْب عَقور"، لاسيما وقد يدل على مُقْتنيه بنباحه، في موضع يَخاف فيه سوءَ صياحه؛ فأَطلَقَ الغوغاءُ ألسنتَهم، وشنّ الجفاةُ غارتَهم، وسنّ الحُفاةُ العُراةُ أسِنّتَهم، فَقُلْتُ على جهة التعْريض، وإن كنت لا أُحْسِن القَريض، مُسْتفْتِحا بحمد الله، ومُسْتنْجِحا بالصلاة والسلام على خير خلق الله، سيدِنا ونبيّنا ومولانا محمدٍ بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبِه أبدا ما دام ملك عدد خلق الله..."

موضوع القصيدة:

تتكون القصيدة من مائتيْ وسبعة عشرَ (٢١٧) بيتًا من بحر الطويل وروِيّ العين، خصّها إبراهيم لموضوعِ القنصِ بعناصِرِه الثلاثة:

الصائد: وهو الشاعر، ومعه الرفاق الذين قاسموه تجربته..

المصيد: الحبارى، وما أشبه ذلك من الطرائد التي كانت موجودة في صحراء فجيج آنذاك، كالأرانب...

المصيد بـه: الصقر، وقد سبقَ معنا في الديباجة سببَ تفضيلِه القنص بالصقور على القنص بالكلاب.

ولم يفت الشاعر أن يرصِّعَ قصيدته بقسمٍ خاصٍّ بفقه الصيْد، دلّ تناولُه له على طولِ باعِه في العلومِ الشرعيّة، وأكّد لنا تشبعه بقيمِ التيسير وثقافةِ الانفتاح، أليس هو القائل في نفس القصيدة معاتِبًا عُذّالَه الذين تمالأوا عليه:

فمن لم يحركْـــه الربيـــعُ وزهـــرُه

ولا العود حين تعتريـــه الأصـــابـــــعُ

ولم يتأثر بالسمـــاع .. ونحـــــــوه

ولم يستمله الصقر إذ هو دافـــــــع

ولم تستفزه الظبـــاء ولا المـهـــــا

إذا اعترضت أو ألجأتها الهـجـــارع

ولا أهتز إذ رأى الحبارى بـدت لــه

تميس .. وفوقها البزاة طوالـــــــع

فترقص طورا .. ثم تبدي ذوائبـــــا

وتومي بكميها .. وطورا تبايـــــــع

ولم يدر قط ما الغــرام ولا الهـوى

ولا موجعات القلب إذ يتـواجـــــــع

فذلك مختَـلُّ المزاج حقيـقـــــــة

ولا شــك للحمار فيع طبائـــــــــع

أقسامُها:

نظم الشاعر قصيدته على غـرار غيره باسترسالٍ واتصالٍ. ثمّ جاءَ محقِّقُها الشيخ نور الدين عبد القادر الجزائري، فقسمها إلى خمسةَ عشرَ قسمًا، تسهيلاً للوقوفِ على موضوعاتِها الرئيسةِ والفرعيّة. وهذا التقسيم سنفرغُه في الجدول الآتي:

ر/ت	عنوان القسم	حدوده	عدد أبياته
١	منافع الصيد	من ١ إلى ٢٠	٢٠
٢	القانص	من ٢١ إلى ٢٧	٧
٣	الذكرى	من ٢٨ إلى ٣٢	٥
٤	الصقر	من ٣٣ إلى ٤٧	١٥
٥	الحبارى	من ٤٨ إلى ٥٧	١٠
٦	التمني بعودة أيام الصغر	من ٥٨ إلى ٧١	١٤
٧	العاذل	من ٧٢ إلى ٩١	٢٠
٨	الحسود	من ٩٢ إلى ٩٥	٤
٩	التأسف على الماضي	من ٩٦ إلى ١٠٢	٧
١٠	مَنْ لا يعاشره القناص	من ١٠٣ إلى ١١٢	١٠
١١	خيْلُه وجيرانه	من ١١٣ إلى ١١٥	٣
١٢	التضرع إلى الله	من ١١٦ إلى ١٣٠	١٥
١٣	فقه الصيد وواجبات القناص	من ١٣١ إلى ١٨٨	٥٨
١٤	الشاعر في حال اصطياده	من ١٨٨ إلى ١٩٩	١١
١٥	مناجاة القارئ	من ٢٠٠ إلى ٢١٧	١٨

احتفاء النقاد بها:

حظيت روضـةُ السلوان باهتمامِ مجموعةٍ من أبرز الكتّابِ والنقادِ، نوّهوا بها، وفضلوها طرَدِيّاتِ جمهرَةٍ من فحول الشعر القديم كابي نـواس، وابـن الـرومـي، وابـن المعتز، وبالغَ المرحوم شوقي ضيف فسماها "ملحمةً". أما محققُها الشيخ نورالدين عبد القادر الجزائري، فله

فيها رأيٌ مُعَلّلٌ يقول فيه: "إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي له قصيدة في الصيد عنوانها روضة السلوان، ليس لها نظير - فيما نعلم - في الآداب العربية بما امتازت به، ولقائل أن يقول: قد عرفنا أن كثيرا من الشعراء فيما مضى من الزمان، وفي العصور المتأخرة قد اعتنوا بالطرديات، وهم ما هم من التوفق والنبوغ، فالجواب هين: عصرهم غير عصر شاعرنا الإفريقي، وبيئتهم غير بيئته، وأوطانهم غير وطنه. وبعد، فابن عبد الجبار قصيدته فيها ألوان من الأساليب، فهي مشتملة على أبيات في منافع الصيد المادية والعقلية، وفي فقهه وأحكامه الشرعية، وفيها أبيات أدبية محضة، كوصفه لمجالي البادية ومناظرها، وفيها ما يتعلق بأحوال المصيد، وكيفيات الاصطياد، وذكر الطيور والجوارح التي يستعملها القناص. فهي في آن واحد منظومة فنية علمية، وقصيدة أدبية فلسفية من الطراز الأول".

وبعد ما فرغ الدكتور عبد الهادي التازي من إشاراته إلى قابصة من شعراء المشرق ممن أبدعوا في فن الطرديات خلص إلى القول التالي: "لقد تعمدت الإشارة إلى بعض الذين سبقوا أبا إسحاق الفجيجي لأتخلص إلى القول بأن قصيدة الشاعر المغربي كانت تفوق القصائد المشرقية بما كانت تتوفر عليه من تنوع في العناصر التي تطرق إليها، مما جعل لها طابعا أصيلا خاصا بها، ويكفي أن يستعرض القارئ فصول القصيدة ليقف على سرد للمنافع المادية والروحية للصيد مما يغري حقا بأن يمسي المرء في عداد الصيادين! وعندما يتحدث عن خلال القانص يرسم له لوحة ناطقة بالطهر والبراءة والعفة .. وهو عندما يتحدث عن الصقر تشعر بأنه يؤدي وصفا دقيقا للطير الحر المثالي الذي ينشده البيازون الماهرون ...وهكذا رأينا أن هذه الطردية المغربية كانت بالفعل تتميز عن غيرها من الطرديات المشرقيات بما تناولته من نقاط أخرى متنوعة ممتعة.

مكانتها في الشعر العربي:

عدها الدكتور عبد الهادي التازي من المبادرات الأدبية المغربية الفريدة ذلك أنها تناولت موضوعا طريفا لم يكن من المعهود طرقه ولا علاجه بالمغرب الأقصى على ما في علمنا. ولعله لهذا السبب من جهة وللسبب المذكور أعلاه من جهة ثانية أقبل عليها أهل الأدب إقبالا منقطع النظير، وأعاروها اهتماما عزيزا. فقرظوها وقرأوها، وحفظوها، ودرسوها، وعارضوها، وشرحوها، وعلقوا عليها منذ ميلادها إلى عصرنا. ولعلّ أولَ من قرّظها وأثنى على محاسنِها شارحُها أبو القاسم الفجيجي، يقول: "...تنشرح باطلاعها صدور نوع الإنسان، وتتضح من طيها مهمات العلوم على مر الملوان، ويستحسنها المباشر لمعانيها أي استحسان، ويقتبس منها مع صغر جرمها علوما لا تكاد توجد بأكبر ديوان ... فقد جمع فيها بين عذوبة الألفاظ، والسجع من غير تكلف ولا إحفاظ، فقمين أن يعتنيَ بها جهابذة الحفاظ، إذ ضمنها معاني غريبة نادة، وتسرح بها أفكار كل منتهج سواء الجادة، فما إخال في فنها أبدع من نظمها، ولا أجمع لمغزاها من لفظها.

وأبرزَ قيمتَها عددٌ من المعاصرين نذكر منهم المرحوم عبد القادر زمامة قائلاً: "ولأن صاحبها

يملك شخصية أدبية وثروة لغوية وبيانية، جعلت نظمه أقرب إلى ذاتية الأدب منه إلى موضوع رياضة الصيد."، وقريبٌ من هذا قول المرحوم أبي القاسم سعد الله: "وتدل متانتُها ولغتها على تمكنه من نظم الشعر." ، ورأيناهُ في موضعٍ آخرَ يقرّرُ أن سمعتَها والاهتمامَ بها تجاوزت الأدباءَ إلى دائرةِ السياسيّين والولاةِ.

إن شهرة هذه القصيدة جنتْ عليها في بعضِ الأحيانِ، حيث تقاعس بعضُ المؤرخين عن إثباتِها في ترجمةِ صاحبِها، وهو ما فعله الشيخُ ابن عسكر الحسني في دوحتِه: "وكوْنُها موجودة بأيدي الناس أغنى عن ذكرها ها هنا.

بيْد أن ذلك الصنيع لم يؤثِّرْ عليها بتاتًا، نظرًا لِكثرةِ المعجبين الذين ما فتئوا ينقلون منها في مختلف المصادر منذ العصر السعدي إلى يومنا هذا. بل تجاوز النقل منها إلى المصادر الغربيّة، إذْ أورد منها (ميرسييه Mercier) أبياتا في ترجمتها الفرنسية، وحلّى بها كتابه الصيد والرياضة عند العرب.

وفي سياقٍ مشابهٍ استمتع الدكتور عبد الهادي التازي رحمه الله، وهو يشارك في المؤتمر الدولي للبيزرة في دجنبر عام (١٩٧٦م) بالإصغاء إلى عدد من الصقّارين الغربيّين، وهم يتكلمون بلغات مختلفة، وخاصة الإسبانية والإنجليزية والألمانية عن سلوانية أبي إسحاق مستشهدين بأبياتها على بعض ما يتناولونه من حديث.

ومن المعاصرين اعتنى بالنقل منها نخبةٌ من أهلِ العلم والأدبِ كالشيخ عبد الحي الكتاني في التراتيب الإدارية، والعلاّمة عبد الله كَنون في كتابه النبوغ المغربي، والمؤرخ الأدبي الشهير شوقي ضيف في موسوعته الموسومة بتاريخ الأدب العربي وآخرون سواهم.

ومن الدلائل الساريةِ على شهرتِها كثرةُ استنساخها ومعارضتُها من قبَل بعضِ المتأدبين في موضوعات مغايرةٍ، كقولِ بعضهم:

يلومونني في الصّمت والصمتُ دافــــعٌ

لأشـيــــاءَ للإنـسـانِ فـيـهـا موانـــــعُ

وقد وردتْ في الصمت في غير ما يعني

أحاديثُ للمختـــارِ، وهْـيَ قـواطِـــعُ

شروحها:

ومن أشدِّ الدلائل على أهميّة القصيدة وقيمتِها، أنْ تناولها عدد من النقاد بالشرح والتعليقِ، عثرْنا منها لحدِّ الآن على أربعةٍ، نشير إليها باختصارٍ:

١- الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد:

وهو أول كتابٍ تناولها بالشرح السديد، والتعليق المفيد. وضعه ابنُ أخيه العلاّمةُ الجهباذُ أبو القاسم بن مَحمد بن عبد الجبار، المتوفى عام ١٠١١هـ/١٦٠٣م. وهو كتابٌ حافلٌ حفيلٌ متداولٌ، لا يحتاجُ منا إلى تعريف. .

٢- تكميل الفريد:

لأبي القاسم بن الهاشمي بن قاسم بن عثمان الشريف العمراني الفزكاري، وضعه عام (١٢١١هـ/١٧٩٦م). توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة الحسنية، ضمن مجموع يحمل رقم: (٥٠٦). ويلاحظ أن الفزكاري ظل في أغلب الأحيان يحذو حذو سابقه أبي القاسم، ولكن شخصيته رغم كل هذا ظهرت بارزة من خلال بعض المقاطع لولا ضعفه في اللغة والنحو.

٣- شرحا المعسكري:

محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد الراشدي المعسكري، المشهور بأبي راس، توفي سنة (١٢٣٨هـ/١٨٢٣م)، متأدبٌ ومؤرخ ورحالة. له على القصيدة شرحان هما:

الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية:

منه نسخة فريدة في دار الكتب المصرية بالقاهرة "كتب تيمور – ٣ – فروسية"، وهذه النسخة في (١٦٠) صفحة. وقد اهتم في مقدمة هذا الشرح بذكر معلومات عن أبي إسحاق، ومنهاج أبي راس في شرحه هذا مبني على ذكر الفوائد العلمية واللغوية والأدبية، والإكثار من ذ كر ما يسميه باللطائف والتنبيهات.

واعتذر في آخر شرحه اعتذار المتواضعين عما يكون قد فاته من إدراك المعاني الحقيقية لبعض الكلمات والعبارات والأبيات.

الوصيد في شرح سلوانة الصيد:

ذكره المؤرخ الجزائري الشيخ الجليلُ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي المتوفى عام ٢٠١٠م، إلا أنه لم يُشِرْ إلى مكان وجودِه، كما لم

نتيجةُ الدراسة:

استطاعت روضةُ السلوان أن تفرضَ نفسَها كصوتٍ أدبيٍّ إبداعيٍّ مغربيٍّ متميّزٍ بدءًا من العصر الوطاسي الذي شهد ميلادَها، ومرورًا بالعصر السعدي، ولم تقف شهرتُها عند العصور العلويّةِ الأولى، بل نراها مسترسلَةً إلى يومِنا هذا، حيث لم يظهرْ شاعرٌ برَع في هذا الفنِّ، وفرضَ نصّه على المصادرِ والمقرراتِ الدراسيّةِ كما فعلت الروضةُ.

وسبب ذلك كما أكّدَ دارسوها هو طرافة موضوعها.. وتعدد مضامينها.. وحسنُ سبكِها، وروعة أسلوبها، فهي قصيدة حياة.. وطبيعة.. ووصف.. وعتاب.. وهي مدرسة تربية وتعليم وحسن تدبير. وهذا الكم من الأغراض والخصائصِ والمحاسن لم يجتمع في أيِّ قصيدةٍ قبلَها.

وتأسيسًا على ذلك، فإنه لن يكون من بابِ المحاباة التي قد يفرضُها الانتماء أن نبادرَ إلى تلقيب هذا الشاعر القناص بأمير شعر الطرديات في المغرب، حتى يظهر من ينازعه المكانة واللقب. ولا نرى ذلك يتحقّقُ نظرًا لانصرافِ شعراءِ الوقتِ عن هذا الفنِّ الحضاريِّ الأصيل، إلى فنونٍ وألوانٍ شعريّةٍ جديدةٍ مرتبطةٍ بالتحولات العالميّةِ، وما تستتبعه من همومٍ إنسانيّةٍ تهز ضمائرَ الشعراء، وتستثير حسهم المرهفَ الدقيقَ، فينساقون وراءَها بمواهبهم وملكاتهم، كلٌّ بأسلوبِه وما يمتلك من أدواتٍ تعبيريّةٍ وفنّيّةٍ.

الهوامش

١. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: ١٠/١٨٩.
٢. ثبت الوادي آشي: ٤٠٠ – ٤٠٢.
٣. الفريد: ٤٨.
٤. ديوان الفجيجيين: ١٩١.
٥. أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني التلمساني: فقيه عالم، تولّى خطة قضاء توات ما يزيد على ربع قرنٍ. اتُّهِمَ بموالاةِ اليهود. توفي عام ٩٢٧هـ.
٦. المعيار المعرب: ٢/ ٢١٤- ٢١٦ - ٢١٧ (الونشريسي – دار الغرب الإسلامي – ط/١٩٨١).
٧. الفريد: ٤٩.
٨. نفسه.
٩. رسالة باللغة الفرنسية، مؤرخة في: ١٨/٠٤/١٩٣٢م (انظر أصلَها وترجمتها في كتابنا: فجيج بوّابة المغرب إلى إفريقيا- السودان الغربي نموذجا: ٢٠١ و٢٠٢)

١٠. منها نسخ متعددة في الخزانة الحسنية: ١٠٩٩٤ و ٨٤٣٧ و ١٢٧٣٦ وهذه النسخة تميزت بفقرة في آخرها عن مراتب الإحسان، وهي مكتوبة بخط مغربي لا بأس به مشوب بالحمرة ..
١١. خالد زهري وعبد المجيد بوكاري، فهرس الكتب المخطوطة في العقيدة الأشعرية بالخزانة الحسنية: ٢ / ٧٦٧ (نشرته الخزانة الحسنية – ٢٠١١م)
١٢. ثبت الوادي آشي: ٤٠٠.
١٣. حققها صاحبُ المقال، ولم تطبَعْ بعد.
١٤. ديوان الفجيجيين: ٢٩٤.
١٥. مجلة المناهل، عدد ١٩٩٦/٥١، عبد القادر زمامة: أبو إسحاق إبراهيم الفجيجي، ص: ٦١.
١٦. الفريد: ٤٨.
١٧. الموسوعة المغربية: ٩/٢.
١٨. ديوان الفجيجيين: ١٨٤.
١٩. ديوان الفجيجيّين: ١٦٩.
٢٠. ديوان الفجيجيّين: ١٧٥ و١٧٦.
٢١. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: ٧/١٠.
٢٢. روضة السلوان: ١١.
٢٣. الفريد: ١٣ – ١٥.
٢٤. الفريد: ١٢.
٢٥. الفريد: ٤٦.
٢٦. مجلة البحث العلمي عدد : ٢١ - ٢٢ – ص ١٢٧.
٢٧. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: ٢٩٦/٢.
٢٨. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: ١٧٩/٢.
٢٩. دوحة الناشر – ص ١٣٢.
30. Mercier: la chasse et le sport chez les arabes – Rivière –P.2 - ed. Paris 1927.
٣١. الفريد: ٣١.
٣٢. التراتيب الإدارية ج٢ ص ٦٦-٦٧.
٣٣. النبوغ المغربي في الأدب العربي – ص ٧٥٥ وما بعدها
٣٤. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: ١٨٩/١٠.
٣٥. مخطوطةٌ خاصّة.
٣٦. حققه المرحوم عبد الهادي التازي، ونشره المعهد الجامعي للبحث العلمي – ط١/١٩٨٣م.
٣٧. حققه مؤخراً الأستاذ حمدادو بن عمر، ونشرته دار الكتب العلمية – بيروت – ط١/٢٠١٠م.
٣٨. مجلة المناهل - عدد ١٩٩٦/٥١ – ص: ٦٢.
٣٩. تاريخ الجزائر العام: ٥٧٤/٣

المصادر والمراجع

١- المخطوطات:

- إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي: مفيدة اللبيب – مخطوطة خاصة.
- إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي: مقدمات في العقائد – مخطوطة الخزانة الحسنيّة رقم: ١٢٧٣٦.
- مجهول: قصيدة في معارضة روضة السلوان من ٢٥ بيتا – مخطوطة خاصّة.

٢- المطبوعات:

- أبو القاسم بن محمد بن عبد الجبار: الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد – تحقيق: عبد الهادي التازي - المعهد الجامعي للبحث العلمي – الرباط – المملكة المغربيّ - ط١/١٩٨٣م.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر العام – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط/ ١٩٨٠م.
- أحمد بن علي البلوي الوادي آشي الأندلسي: ثبت الوادي آشي – تحقيق عبد الله العمراني – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط١/ ١٩٨٣م.
- أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب – تحقيق بإشراف: محمد حجي - دار الغرب

الإسلامي – بيروت – لبنان - مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة المغربية.

- شعراء فجيج: ديوان الفجيجيين – تحقيق: محمد بوزيان بنعلي – مطبعة الجسور – وجدة ت المملكة المغربيّة – ط١/ ٢٠١٠م.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - دار المعارف – القاهرة – مصر – ط/١٩٩٥م.
- عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة للأعلام البشريّة والحضاريّة – مطبعة فضالة – المحمديّة – ط/ ١٩٨١م - مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة المغربية.
- عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي– دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان - ط ١٩٧٥/٣م.
- محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبويّة المسمّى التراتيب الإداريّة - تحقيق عبد الله الخالدي – دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – لبنان – ط٢.
- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر – تحقيق: محمد حجي – دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط – المملكة المغربية – ط١٩٧٧/٢.

٢- المجلات:

- مجلة البحث العلمي عدد: ٢١ – ٢٢ – يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس – الرباط – المملكة المغربيّة.
- مجلة المناهل - عدد ٥١ – سنة ١٩٩٦ – تصدرها وزارة الثقافة المغربية.

المراجع الفرنسية:

- Mercier: la chasse et le sport chez les arabes – ed. Paris 1927.

نموذج مخطوط لروضة السلوان

نموذج آخر من مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض

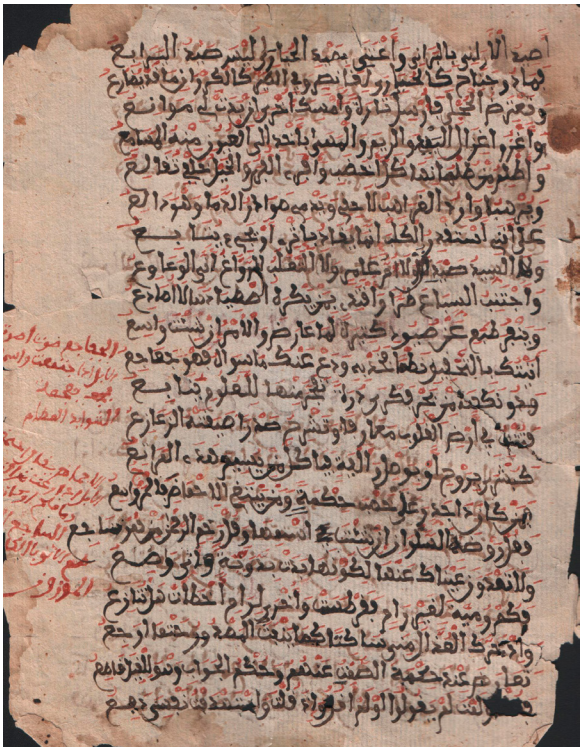

نموذج ثالث من إحدى الخزائن الخاصة بفجيج

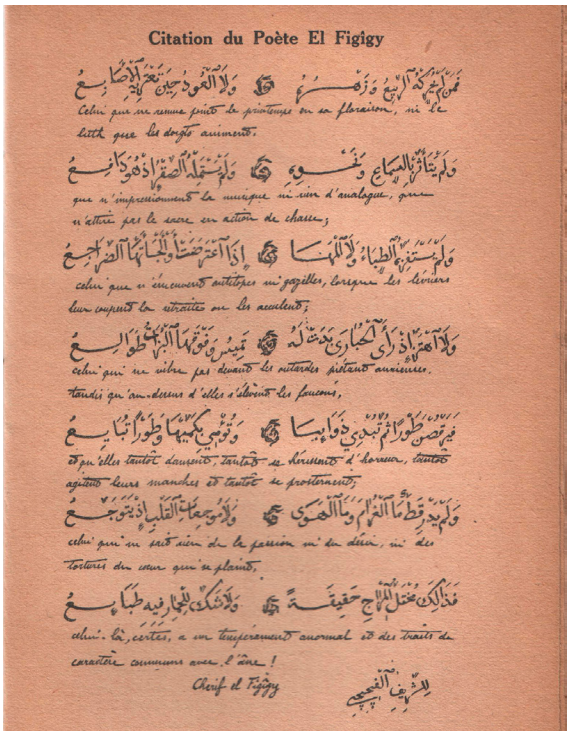

Citation du Poète El Figigy

وَلَا الْعُودُ حِينَ تَعَانِقُ الْأَصَابِعُ ... وَلَمْ يَثْنِهِ لِلسَّمَاعِ وَنْمُ

celui que ne remue point le printemps en sa floraison, ni le luth que les doigts animent;

وَلَمْ يَسْتَفِزَّهُ الطِّبَاءُ لِأَلْفِهَا ... وَلَمْ يَسْتَمِلْهُ الصَّهَا إِذْ هُوَ دَامِعُ

que n'impressionnent la musique ni rien d'analogue, que n'attire pas le sexe en retour de chaleur;

وَلَا آنِسَاتٌ إِذَا آنَسَتْ ... وَلَا آنِسَاتٌ إِذَا آنَسَتْ

celui que n'émeuvent artistes ni gazelles, lorsque les premières leur inspirent les attraites ou les accueils;

وَلَا آنِسَاتٌ إِذَا رَأَى الْحِبَارَى يَمْشِي ... وَلَا آنِسَاتٌ إِذَا رَأَى الْحِبَارَى يَمْشِي

celui qui ne vibre pas devant les virtuoses artistes, tandis qu'ondoient d'elles s'ébattent les fauves,

فَيَقْصُرُ طَوْرًا ثُمَّ تُبْدِي ذَوَابِلًا ... وَتُوفِي بِكَفَّيْهَا وَطَوْرًا تُبَايِعُ

et qu'elles tantôt dansent, tantôt se livrent à l'horreur, tantôt agitent leurs manches et tantôt se prosternent;

وَلَمْ يَدْرِ قَطُّ مَا الْغَرَامُ وَمَا الْهَوَى ... وَلَا سَمِعَتْ أُذُنَاهُ قَلْبًا إِذَا تَوَجَّعُ

celui qui ne sait rien de la passion ni de désir, ni des tortures du cœur qui se plaint,

فَذَاكَ مُخَالِفُ النَّاسِ حَقِيقَةً ... فَذَاكَ مُخَالِفُ النَّاسِ حَقِيقَةً

celui-là, certes, a un tempérament anormal et des traits de caractère communs avec l'âne!

Cheikh el Figigy

للشيخ الفجيجي

نموذج من ترجمة ميرسييه لروضة السلوان

الصفحة الأولى من مخطوطة الفريد لأبي القاسم الفجيجي، بالمكتبة الوطنية بباريس

الصفحة الأولى من مخطوطة أخرى من الفريد لأبي القاسم الفجيجي.

صورة بَيّاز(صقّار) من منطقة فجيج (من أرشيف الأستاذ إدريس بحار)

عبدالملك بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي (ت: ٥٣٩ هـ)
حياته وماتبقى من نثره
جمع وتوثيق

أ. م. د. ازاد محمد كريم الباجلاني
الجمهورية العراقية - إقليم كردستان العراق
جامعة كرميان - كلية التربية الأساسية -
قسم اللغة العربية

هذا جمع وتوثيق لنثر عبد الملك بن أبي الخصال، أبو مروان بن مسعود الغافقي، أحد كتاب الأندلس، وهو من الأعلام المغمورين غير المشهورين، ممن عاش في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس للهجرة. والذي لم يعط حقه من البحث والدراسة قديمًا وحديثًا، وقد أتت عوادي الزمن على أكثر نثره، إذ نجزم أن هذا ليس كل نثره. وعلى كلٍّ فقد رتّبنا ما تبقى منها في هذا المجموع، وقدمنا لهذا المجموع دراسة موجزة عن حياته، وأبرز السمات الفنية والموضوعية لنثره، ومن الله التوفيق والسداد.

القسم الأول

عبد الملك بن أبي الخصال الغافقي، دراسة في حياته ونتاجه النثري

١ـ حياته (الهوية والمكونات المعرفية):

هو عبد الملك بن مسعود بن طيب بن فرج بن مجاهد بن خُلصة الغافقي، أبو مروان، المشهور بـ عبد الملك بن أبي الخصال[١]. وقد ذُكر أن جده الأكبر - خلصة - هو المكنى أبا الخصال، وبذلك يكون هذا اللقب مشتركًا بين أبيه وجده[٢].

وأصله من جيان من جهة شقورة، في قرية تسمى (فرغليط)، وأسرته إليها تنتسب، وبها نشأ وتلقى علومَهُ الأولى. وقد سكن قرطبة فنسب إليها، وكذلك غرناطة و مراكش و فاس[٣]. ولا تذكر المصادر التي ترجمت له الشيء الكثير عن حياته، ولسنا نعرف شيئًا واضحًا عن نشأته،

وكحال الكثير من الأدباء والعلماء الأندلسيين لم يصلنا نتاجه النثري مجموعًا.

كان من أهل الأدب والتقدم في الكتابة والبلاغة والفصاحة، ذا حظ من قرض الشعر، وله رسائل بديعة، وقد استعمله الأمـراء في الكتابة. إذ كتب عن بعض رؤساء لمتونة بمراكش وفاس وغيرهما [٤]. وقد ضاع نظمه (شعره)، ولم يصلنا منه شيء، كذلك ما وصل من نثره فهو قليل، حاولنا إثبات ما وجدناه في هذا المجموع.

أمـا الأخبـار عـن حياته فلا تكاد تُذكر، فالمصادر التي ترجمت له اكتفت بالاسم والثناء عليه، وفي أَفضل الأحوال إيراد شيء من نثره. لذا لا يمكننا رسم ملامح شخصيته مع هذه الشحة في المعلومات حوله. لكن مع ذلك تَذكر بعضها أنه روى عن أبي بحر بن العـاص[٥]، وسمع وروى عنه أبو عبد الله ابن العَويص[٦] وغيره. وأنه تخلى عن الكتابة وانقطع إلى الله وأقبل على ما يغنيه من أمر معاده [٧].

أُسرته:

تذكر المصادر التي ترجمت لعبد الملك بن أبي الخصال أنه كان له أخ أكبر منه عمرًا، وهو الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال، والذي اشتهر في زمانه من خلال نثره وشعره توفي بعده سنة (٥٤٠ هـ) [٨].

ولابي عبد الله بن أبي الخصال ابن اسمه (عبد الملك)، وكنيته (أبو مـروان)، وهما نفس اسم وكنية أخيه، وهذا ما أشار إليه في شعره الذي قاله في رثاء أخيه عبد الملك حين موته والذي يفصح فيه أنه فقد قبله ابنه الذي يشابِهُهُ في الاسم: (من الكامل)

ولقد فَقَـــدْتُ سَمِيَّـهُ مِنْ قبلِـــهِ
مُتضرِّجًـــا بدَمِ الفؤادِ مُقَتّـــلا [٩]

وقد روى ذلك الابن عن أبيه، وعمِّه أبي مروان. وكان فاضلاً دينًا من نجباء الأبناء، نشأ على صونٍ وعفاف وانقطاع إلى طلب العلم وفنون الخير، وقد رحل عن الأندلس ذاهبًا للحج. وكانت له أَسماع وجدت في نسخة من رسالة أَبيه رد فيها على ابن غرسية في سنة (٥٢٨ هـ)، وبعد هذه السنة كانت وفاته، فقد مات مقتولاً في حدود (٥٣٠ هـ) وقد دفن بالمرية [١٠]. رثاه أبوه بقصيدة طويلة يقول في أولها: (من الطويل)

جزِعتُ وقد كان التجلُّدُ بي أحرى
ولكنَّ زَنْدَ الـوجد في كبِـدي أورى
وما فاض هذا الدَّمـــعُ إلا لزفْرةٍ
أُحِسُّ لها في كلِّ جارحـــةٍ مَسْـرى
رُزئت بمن لا أملكُ العيـــن بعده
ففي كلِّ ما حينٍ لها عَبْرةٌ تَتْرى [١١]

وله أخ آخر اسمه أحمد، والمكنى بـ (أبي جعفر)، و(كان من أهل الحفظ للفقه والتقدم في البصر بالمسائل والمعرفة بالنوازل، وتولى خطة الأحكام زمنا وارتسم بجودة النظر فيها)[١٢]، سكن قرطبة مع أخويه، لكن لا يُعلم سنة وفاته.

أبرز ما قيل فيه:

-(ذُو الخُلُقِ الأرج، والرُّواء البَهِج، والسّنَنِ القويم، والصّدْرِ السّليم، والعَهْدِ الذي ليس بذميم، لا تتلقّاهُ إلّا باسِما، ولا ترودُ رَوضهُ إلّا يانِعًا ناسِما، لم يـزدهُ تواضعُهُ إلّا استحواذًا على المآثِرِ واسْتِيلاءَ، السّكينةُ ملءُ أبرادِه، والتّقوى دَلْوُ أَصْدارِه وإيرادِه، وظانُّ الحكمةِ بينَ لِسانِه

عبدالملك بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي (ت: ٥٣٩هـ)

وفُؤادِه، ذو المشاهدِ الطّيبة، والخواطِر الصّيبة، والبدائِع المُشْرِقَةِ المُغْرِبَة، صَدرتْ عنْهُ عن علي ابن يوسف كُتُبُ إيعاد، تُزَعْزِعُ الأطواد، وإبدارٌ يهزمُ الرّامي الجَرّار، وعتابٌ كأسواطِ عَذاب، ومن كلامِه الرائع، ما يُـزْرِي على الـرّوْضِ اليانِع، وَتَوَدُّ الجَوارِحُ أن تكونَ بَدَلَ المسامِع)[١٣].

- (كان من أهل الأدب والتقدم في الكتابة والبلاغة والفصاحة، ذا حظ من قَرْض الشعر[١٤].

- (كان حميد الخصال، سديد النصال شديد المصال، ولهذا رسائل كبيرة، ومحاسن أثيرة[١٥].

- (كان أديبًا، حاذقًا، فصيحًا، مفوهًا، بليغًا، مدْركًا، له رسائل بديعة)[١٦].

- (كان أديبًا حافلاً كاتبًا بليغًا فصيحًا...، وله رسائل بديعة)[١٧].

وفاته:

(توفي لست بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وخمس مئة ابن نحو ستين سنة[١٨]، في مراكش[١٩]. وقد رثاه أخوه أبا عبد الله بقصدة طويلة نورد منها هذه الأبيات: (من الكامل)

الصَّبْرُ أجْمَلُ لو أطَقْتُ الأجْمَلا
وأخفُّ لو صَدق التجُّملَ مَحْمَلا
يا واحِدًا عَمَّ الجميعَ مُصَابُهُ
ما كنتَ إلا عارِضًا مُتَهلّلا
قُدّمت قبلي في الوَفاة وهكذا
يتقدّم الأخْيار أوَّلَ أوّلا
ولقد تَخَرَّمتِ المَنِيّةُ شَطرنا
وبَقِيْتُ في شطْرٍ فكان الأفْضَلا
فَليبكينَّكَ كلُّ نادٍ صَالحٍ
وليَنْدُبَنَّكَ مَنْ أحَبّ ومَنْ قَلى
وليبقيَنَّ عليكَ ذِكرٌ ناصِعٌ
ما أدْبَرَ اللَّيْلُ البَهيمُ وأقْبَلا
جَمّلت عِشْرَتِنا وطُولَ زَمانِنا
لَمّا تَفَرَّطِنا فكَان كَلا ولَا
يا مَنْ تَواضع قَدْرُهُ عن رِفْعَةٍ
ما فَوْقَ ما أصْبحْتَ فيهِ مُعْتَلى
فاستَوْفِ حَظَّكَ عند ربِّكَ كُلَّه
واحْطُطْ لَدَيْهِ فقدْ بَلغتَ المَنزلا
فَلهُ تركْتَ الغَانِيَات ولم تَزلْ
بالبَاقِياتِ الصَّالحاتِ مُوَكَّلا
ما مَرَّ يومٌ من حياتِك عاطِلاً
بل كانَ بالتَّقْوى مُحلّىً مُخْملا
واللّيلُ يعرفُ منكَ نِضْوًا خاشِعًا
للّهِ يَسْكُبُ فيه دَمْعًا مُسْبَلا
ما ذاقَ طعمَ النّومِ إلا خِلْسَةً
بخِلتْ على أجْفانِهِ أنْ يُكْحَلا
فطَواه بينَ رُكوعِه وسُجودِه
بدموعِ تَقْواهُ مُنَدًّى مُخْضَلا
أحْشَاؤه مَوْقُوذةٌ ولِسَانُه
يُهْدِي إلى الله الكِتابَ مُرَتَّلا
ماذَا أؤَمِّلُ بعدَ وضْعِكَ في الثَّرى
هيهاتَ أخْطأ آمِلٌ ما أمّلا
عُذْرًا أبا مَروان عِشْتُ ولم أمُتْ
كمَدًا عليكَ وكان مَوتي أسْهَلا
فاذْهَب كما ذهَب الحَيا أحْيِ الرُّبا
عُلوًا وغادَر كل خَفضٍ منهلا
فلقد تركتَ بناءَ صِدقٍ خالدًا
يبقى جَديدًا، والجَدِيدُ إلى بِلى

يا ليتَنـــي قَدْ مِـــتُّ قَبْـــلكَ سابِقًا
وبقيـــتَ بَعْـــدي ثابتًـــا مُتَهَـــلّلا
صـلّى علـــيكَ اللهُ مـــن مُتَقَـــدّم
ظـــهرَتْ كرامَتُـــهُ فكـانَ الأمْثَـــلا
وسَقْتـــكَ دِيمـــةٌ مُزنَـــةٍ هَطَّالةٍ
تَرْوي مع العِلْـــم المُنيـف المُجْملا
ووَدِتُّ إذْ عِشْـــنَا معًـــا أنّـا مَعًا
إذْ فاتَ صنْوَك أنْ يَكونَ الأعْجَلا(٢٠)

٢- نثره:

لم يصل من نثر عبد الملك بن أبي الخصال، إلا الشيء القليل، فقد كان أَقل حَضًا من أخيه في ذلك، فما وصلنا - على قلته - من نصوص نثرية كانت بعضها مبتورة ناقصة، لذا يصعب استخراج المعلومات منها، وبيان سبب كتابتها. كذلك قلت المصادر التي ذكرت نتاجه النثري.

وقد تنوعت رسائله، بين رسائل ديوانية و إخوانية، والجزء الأكبر منها كان ديوانيًا، إذ كتب عن علي بن يوسف بن تاشفين (٢١)، وابنيه تاشفين بن علي، وأبي يعقوب يتنان بن علي (٢٢). كذلك نجد له رسائل إخوانية قصيرة ذكرها العماد الأصفهاني في الخريدة. وهذا يثبت تنوع أُسلوبه، وأن الكتابة كانت ملازمة له في حالة الأُنس كما في حالة الجد (٢٣).

أما عن القالب الذي صاغ فيه أبو مروان رسائله، فلم تكن في مجملها تخرج عما اعتدناه من رسائل كُتبت في عصر الطوائف والمرابطين، فكانت رسائله موجزة غير طويلة - بحسب ما وصلنا منها -، دون مقدمات طويلة تُبعدنا وتنسينا الغرض الأساس من كتابة الرسالة. بل نجده يحدد في بعضها صاحب الرسالة والتأريخ الذي وجهه فيه، والسبب أيضا (٢٤).

وعند التأمل في الرسم الذي اتبعه في بناء رسائله، نلمس أنه كان يعتمد صيغة واحدة في إطارها العام، مع اختلافٍ بسيط، يحدث في ترتيب عناصرها ورسومها، وهذه الصيغة تقوم على الشكل الآتي:

إن رسائله - في أَكثرها - لم تكن على منوال القوالب المتداولة في كتابة الرسالة، وهي الابتداء بالبسملة، والصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وإنما كان يدخل بشكل مباشرٍ صلب الموضوع، مقرونًا بالدعاء لصاحب الرسالة - إن كانت عن غيره -، وللمرسل إليه ايضًا.

ويأتي بعد ذلك، ذكر اسم المرسل إليه، أو صفته، وقد تشير إلى مكان إقامته، والتأريخ - أَحيانًا -، ثم الدعاء. كقوله الذي كتبه عن علي ابن يوسف إلى يحيى بن علي بولاية بلنسية، والذي يقول فيها: (كتابُنا - أعزّك اللهُ بتقواه، ورفعَ قدرَك وأسماه، وأيّد عزمَك في ذاتِهِ وقوّاه، ولازلت تتقلّبُ في عوافهِ المقيمةِ ونُعماه، من حضرةِ مراكش - حَرَسها اللهُ - لأربعٍ خلون لجمادي الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة؛ وإنّا نعرفُه من صفوِ ولائِك، وصدقِ عنائِك، وطاهرِ استقلالِك واكتفائك، نرى أنّ نرفعَك بمقتضى حقِّك في الأحوال، ونُوسعَ لك في الأعمال،...) (٢٥).

وكقوله من رسالة أُخرى: (...، من حضرةِ مرّاكش - حرسها اللهُ - منتصف جمادي الآخرة سنة خمسٍ وثلاثين وخمسمائة، ونحن نحمدُ إليك اللهَ الذّي لا إلهَ إلاّ هو كِفاءَ ما أوجب من حقوقِه

وألزم،...) [٢٦].

أما الشكل الثاني، فكانت تفتقر إلى هذه المقدمة، فالرسالة تبدأ بقوله (كتبانا) أو (كتبناه) - وهذا إن دل على شيء فتدل على أنها مبتورة غير كاملة -، ومن ثمّ الدعاء للمرسل إليه، والدخول للغرض من كتابة الرسالة. كقوله: (كِتابُنا أدامَ اللهُ احْتِماءَكَ، وأنارَ لِنُجومِ السّعْد سماءكَ، وجعل إلى طاعَتِه اعْتِزاءكَ وانتماءك. وقدْ وردَ كتابُكَ الأثير، ووَقَفْنا على ما حواه، وعَرَفنا سرّه ونجْواه، وما كانَ لفلانٍ أنْ يعْتَرِضَكَ ويَرْمي غَرَضكَ،...) [٢٧].

وقوله في رسالة أُخرى: (كتابُنا - أَبقاكم اللهُ وعَصَمكم بتقواه، وأجزلَ حظوظَكم من حُسناه، وجعلكم سابقين إلى طاعتهِ ورِضاه، متقلّبين في عوارفهِ ونُعماه، من حضرةِ مراكش - حرسَها اللهُ - في تاريخ كذا من سنة كذا، وقد وليّنا أمركم أبا زكريا يحيى بن علي...)[٢٨]. ومثلها قوله: (كَتَبْناهُ، أبْقاكَ الله وأكْرَمَكَ بِتَقْواه، واعْتَمَدَكَ بسَوابغ نُعْماه، ونحن بحمد الله على مذاهِبِهِ الحُسْنى،...)[٢٩].

كذلك قد يبدأها بالدعاء، كقوله: (أطال الله بقاءَك وعزُّك منيعٌ، وجنابُك وَسِيع، وألزّمان بمحاسِنِكَ رَبيع، كتبتُه وقد وصلت معجزاتُك، وبهرتْ آياتُك، مع بُشرى تخلُّصِك للوَطَن،...[٣٠].

أما تأريخ الرسالة فإننا نلاحظ أن أبا مروان كان يغفل ذلك في أَكثر رسائله، سوى رسائل قليلة، كقوله في رسالته التي كتبها عن تاشفين بن علي إلى صاحب فاس[٣١]، وقوله في رسالةٍ أُخرى كتبها عن علي بن يوسف إلى أهل بلنسية، (كتابُنا - كتبَ اللهُ لكم تمهُّدَ الأحوالِ والجهات، وأمدّكم بسوابغِ الأجمال والهِبَات، ويسّركم للأعمالِ الصّالحاتِ والمساعي المُرْضِيات، من حضرةِ مراكش - حرسَها اللهُ - لأربعٍ خلون لجمادِي الأولى سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائة....)[٣٢].

وفي هذه الرسائل يتبين أنه أَورد التأريخ في بداية الرسالة، لا في نهايتها كما كان شائعًا في كتابة الرسائل.

قصة الرسالة التي نـال فيها من كرامة المرابطين:

ومفاد هذا الخبر، أن المراكشي صاحب كتاب المعجب، يورد قصة رسالة ينسبها لأبي مروان عبد الملك بن أبي الخصال، وفيها سب وحط من مكانة بعض المرابطين، ونص الرواية كالآتي: (فلم يزل أبو عبد الله هذا وأخوه كاتبَيْن لأمير المسلمين، إلى أن أخّر أميرُ المسلمين أبا مروان عن الكتابة لموجِدةٍ كانت منه عليه؛ سببها أنّه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبا عنه إلى جُنْد بَلَنْسِيَة حين تخاذلوا وتواكلوا حتّى هزمهم ابن رذمير - لعنه الله - هزيمةً قبيحة، وقتَل منهم مَقْتلةً عظيمة؛ فكتب أبو عبد الله رسالتَه المشهورة في ذلك؛ وهي رسالة كادَ أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها أحسنَ فيها ما شاء، منعني من إيرادها ما فيها من الطول، وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض، أفحشَ فيها على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة؛ فمن فصولها قوله: ((**أيْ بني اللئيمة، وأعيارَ الهزيمة، إلامَ يُزَيِّفكم الناقد، ويردُّكم الفارس الواحد؟ فليتَ لكم بارتباط الخيول ضَأنًا لها حالبُ قاعد، لقد آن أن نُوسِعكم عقابًا، وألّا تَلُوثوا على وجه نقابًا، وأن نُعيدكم إلى صحرائكم ونُطهّرَ الجزيرة من رْحَضائكم...**)). في أمثالٍ لهذا القول؛ فأحنقَ ذلك

أميرَ المسلمين وأخـرّه عن كتابته، وقال لأبي عبد الله أخيه: كنّا في شكّ من بُغْض أبي مروان والمرابطين، والآن قد صحّ عندنا، فلمّا رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه، ورجع إلى قرطبة بعدما مات أخوه أبو مروان بمراكش) [٣٣].

وقد نقل ابن سعيد في المغرب هذا المقطع من الرسالة ونسبها لأبي مروان أَيضًا، دون ذكرٍ لسبب كتابة الرسالة [٣٤]. كذلك يورد ابن الإمام الشلبي الإستجي في كتابه المقتضب من كتاب سِمط الجمان هذه الحكاية بشكل مختصر، وفيها ينسب الرسالة لأبي مروان أَيضًا [٣٥].

ويمكن دحض نسبة الرسالة لأبي مروان، وصحة نسبتها لأخيه أبي عبد الله، من خلال تحقيقين لنص الرسالة:

(الأول)، قام به الدكتور حسين مؤنس، الذي حقق مجموعًا فيها رسائل عـدة، كانت هذه الرسالة ضمنها منسوبة لـأبي عبد الله بن أبي الخصال، وقد وردت كاملة وفي نهايتها إشارة لصاحبها، وهذا نصه: (...، كَمُل ما كتب به الفقيه الأديب، الكاتب البليغ الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال عن أمير المسلمين)[٣٦].

و(الثاني)، تحقيق للدكتور عبد الله كنون يدحض رواية ونسبة الرسالة لأبي مروان، بل ينسبها لأخية أبي عبد الله أَيضًا. وذلك من خلال تحقيقه لنص الرسالة كاملة عن مخطوط محفوظ في مكتبة الأسكوريال، إذ كانت هذه الرسالة ضمن مجموع فيها رسالة أخرى لأبي عبد الله بن أبي الخصال. وفي نص الرسالة المحققة المقطع الذي ذكره المراكشي وابن سعيد من الرسالة.

كذلك يقدم الدكتور عبد الله كنون تعليلاً علميًا جميلاً، لنفيه نسبة الرسالة لأبي مـروان [٣٧]. مردفًا للعبارة التي وردت في نهاية الرسالة - المخطوط - والتي تدحض الشك باليقين: (كَمُل ما كتب به الفقيه الأديب، الكاتب البليغ الأريب ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال عن أمير المسلمين)[٣٨]

إذًا، الذي خَمُلَ ذكره، ولازم بيته، وأُبْعِدَ عن ديوان الكتابة أخوه أبو عبد الله بن أبي الخصال. وقد بقي أبـو مـروان في ديـوان الكتابة عند المرابطين إلى أن توفاه الله بمراكش[٣٩]، والله أعلم.

منهجي في الجمع والتوثيق:

كـان منهجي في جمع وتوثيق النصوص النثرية الخاصة بـ الكاتب عبد الملك بن أبي الخصال، كالآتي:

جمع نتاجه النثري، من شتيت المظان، وكتب الطبقات والتراجم، التي ترجمت لحياته وأوردت شيئًا من نتاجه النثري.

- أعطيت لكل نص نثري رقمًا تسلسليًا، يُسّهل عملية الرجوع إليه في التخريج والدراسة.

- رتبت النصوص النثرية حسب تسلسلها الزمني - إن أَمكن تحديد تأريخها -.

- الإحالة للمصادر التي ترجمت الأعلام الوارد ذِكْرُها في الدراسة.

- تصدير المجموع النثري بدراسة عن حياة الكاتب ونتاجه النثري، من حيث أَبرز اشكاله الموضوعية، وبعض سماتها الفنية بما يقتضي الدراسة وما يستحقه الكاتب.

- ذكر الدراسات السابقة، التي تناولت نسبة

إحدى الرسائل إليه وإثبات صحتها لأخيه أبي عبد الله بن أبـي الخصال. ومـن الله التوفيق والسداد.

القسم الثاني

مـا تبقى مـن نثـر عبـد الملك بـن أبي الخصال

النص رقم (١)

رسالة كتب بها عن أمير المسلمين - علي بن يوسف بن تاشفين - إلى الأمير الأجل أبي محمد ابن أبي بكر بهزيمة (القلعة) رحمهما الله: (كتبها سنة ٥٢٣ هـ)

((كِتابنا وفّقَ اللهُ رأيكَ وحَسّنَ هديكَ، ولا أمالَ عن الهُدى والرُّشدِ سَعيكَ، مِنْ حَضرةِ مراكشَ حَرسها الله في السابعِ من شَعْبان المكرّمِ سنةَ ثلاثٍ وعشرين وخَمس مائةٍ، وَقبلهُ وافى كتابكَ تذكر فيهِ الميلةَ التي كانتْ لِلعدو - دمّره الله - عليكَ في اليومِ الذيَ واجهتُمُوْهُ فيهِ، بعدَ أَنْ كانَ لكمْ صَدرهُ وأُتيحَ لكُمْ نَصرهُ، فأواخِرُ (الأُمور) أبدًا أَوْكَدُ وأهمُّ، والعواقِبُ هي التي تُحمدُ أو تُذمُ، وإذا حَسُنتْ خواتمُ الأعمال فالصُنعُ أنهى وأتمُّ، وإن لسانَ العُذْرِ بتلكَ الحالِ لقصيرٌ، وإن الله على ذلك المشهدِ المُضيّع لمطلعٌ بصيرٌ: تواقفتمْ[٤٠] مع عدوكمْ، وأنتم أوفَرُ منه عدةً وأكثرَ جمعًا، وأحرى أن تكونوا أشدّ عن حريمكُمْ منعًا، وأقوى دونهُ دفعًا، فَثَبَتَ وزللتُم، وجَدّ ونكلتُمْ، وشدّ عقدَ عزيمتِهِ وحَللتُمْ، وكُنتمْ في تلك الوقيعةِ قُرّةِ عينِ الحاسِد وشماتَةِ العدوّ الراصدِ، وقدْ كانتْ نصبة تولّيكمْ بينَ يديهِ بشيعةٍ هائلةٍ، ودعامَتُكُمْ لولا انثناؤُهُ عنكمْ مائلةٌ، فشغلهُ عنكمْ من غَرَرتموهُ من الـرّجْـلِ الـذي أسلمتموهُ للقتلِ، وفَـرَرْتُـمْ، ونصبتُمُوهمْ دريئةً للرّماحِ ثمّ طرتُمْ، ولولا مكانَ منْ أوردتُموهُ من المسلمينَ ولم تصدروهُ، وخذلتموهُ من المجاهدينَ ولم تنصروهُ، لا نكشف دونَ ذلكَ الرماحِ جنّبُكمْ ووقاؤُكمْ، وأُصيبتْ بها ظُهوركُمْ وأقفاؤكمْ، عاقَبكُمُ اللهُ بِما أنْتمْ أهلهُ، فأنتمْ أشجعُ النّاسِ أقفاءٌ وظهورًا، وأجبنهُمْ وجوها ونحورًا، ليس منكمْ من تدفع به كريهةٌ، ولا عِنْدكمْ في الرُّشدِ رويّـةٌ ولا بديهةٌ، فمتى وأيّ وقتٍ تفلحونَ؟ ولأي شيءٍ بعدَ ذلك تصلُحونَ؟ ونحمدُ الله عزّ وجهُهُ كثيرًا، فقد دَفعَ بفضلهِ الأهـمّ الأكبَرَ، وأجَـرى بأكثرِ السّلامةِ القدرِ: فاكشِفوا بعدُ أغطيةِ أبصاركُمْ، وقصّروا حُلَلْ اغترارِكُمْ، والبسوا منهُ جُنّة حذاركمْ، واعلموا أنّ وراءَ مجازاتِنا إيّاكمْ جزاءً توفّونهُ ويومًا عصيبًا تلقونهُ، فكونوا بعدَ هذهِ الهناةِ لداعي الرُّشدِ بين مُطيعٍ وسامعٍ، ومن كلمةِ الاتفاقِ والتآلف على أمرٍ جامعٍ، فإنّكمْ لو خَلُصتْ غُيوبُكمْ حَسُنتْ سريرتكمْ، واطمأنّتْ على التّقوى قلوبُكم، لَظَهر أمركمْ وعَلا حدُّكمْ، ولما ذهبَ ريحُكُمْ ولا أخلّ جَدُّكم، فتوخُّوا في سبيلِ الله وطاعتهِ أخلصَ النّياتِ وأصدقِ العَزماتِ، واثبُتوا أحسنَ الثّباتِ، وكونوا من الحذَرِ والتّقوى على مثلِ ليلةِ البَياتِ. وقدْ ذُكر أن للعدو دمّره الله مَدد يأتيه من خلفِهِ، والله يقطعُ بهِ، فلتضَعوا على مسالكِهِ عيونا ثكلاً، ولْتكن آذانكم مصيخَةً [٤١] لما يَطرأ، فإن كان لهُ مددٌ كَما ذُكِرَ قَطْعتمْ به السّبيلَ دون لحاقِهِ، وأقمتُمُ الحزمَ على ساقِهِ، والله يفتحُ لكمْ فيهمُ الأبوابَ، ويأخُذُ بأزمتِكمْ إلى الصّوابِ، إنّهُ الحميدُ المجيدُ، لا إله غيرُهُ)) [٤٢].

النص رقم (٢)

رسالة، وله عن - علي بن يوسف بن تاشفين -

إلى المذكورين[٤٣] مجاوبا لهم بهزيمة ابن رذمير إياهم في ((القلاعة)): (كتبها سنة ٥٢٣ هـ)

((كِتابُنا أبقاكُمُ اللهُ وأكرَمكمْ بتقواهُ وكَنَفَكمْ بعصمتِهِ وجَعلكمْ في حِماهُ وأسْبغَ عليكمْ عوارفَهُ ونُعماهُ، مِن حَضرةِ مَراكش حَرسها اللهُ في الحادي عَشر من شعبانَ المكرّم من سنة ثلاثٍ وعشرينَ وخمسمائةٍ، غب[٤٤] ما وافانا كتابُكمْ الأثيرُ، هَضَمنا وصفَ اليومِ الذي جَرتْ به خزيةُ المقاديرِ، فاستعرضناهُ وتقرّر لدينا جميعُ ما حواهُ، وفي علمهِ سبحانهُ موقعُ ذلكَ لدينا وعـزازةُ[٤٥] شأنِهِ علينا، لكنْ لا مخرجَ عنِ القضاءِ وحُكْمِهِ، ولا محيدَ عن القدرِ وحتمهِ، ولن يردّ حولَ محتالِ ما سبَقَ في علمهِ، وما آلَوْنَا - وهُوَ عزّ وجهُهُ أعدلَ الشّاهدينَ - جَدًّا وعزمًا وكدحًا لأعلاءِ كلمةِ الإسلام وحزمًا، ببذل الأموالِ وتخيرِ الرجال واعتيام[٤٦] الأسلحةِ والأفراسِ، والجميعُ بينَ الإيحاشِ والإيناسِ في الوعدِ والوعيْدِ، والتّخصيصِ والتأكيد، وعَرضِ الآراءِ المتخّيلِ فيها السّدادُ وبلوغُ مد... ـة جهادٍ في كلّ نحوٍ والاجتهادِ لو كانَ العونُ موجودًا، ولم يكن الّتعذيرُ... صيرَ حاضرًا عتيدًا، والله يخزي كُلّ خاينٍ ماينٍ بإسْخاطِهِ تعالى داينَ جزاهُ، ويرديهِ بُرد مضمَرهِ ورِداهُ، ويوشِكُ مقارَضتُهُ وإرداهُ بحولِهِ وطولِهِ، وبالله القَسمُ الأعظمُ لو أمكَننا أَنْ نكونَ لديكمْ حاضرينَ لأسرعنا بذلكَ مبادرينَ ولما ثَنانا عنْ حِمايتكمْ بِنفسنا ثانٍ، ولا قعدَ بنا عن معالجةِ نصركمْ تراخٍ ولا توانٍ. وقد جَدّدنا الآن أحثّ نظرٍ ونحنُ نُردفُهُ بِما يكونُ عليكمْ أتمّ وأرِد وأسْرع منتظرٍ، فلتهدأْ ضُلوعُكمْ ويسكنَ مُروعُكمْ، فما لنا والله يشهدُ همٌ سِوى الذّيادِ عنكمْ والدِفّاعِ، والانفرادْ لذلكَ والاستجماعِ، والاجتهادْ، والتّوفرِ عليه يأتمُ الاضطلاعُ، والله عزّ وجلّ المعينُ المنجِدُ، فلمْ يزلْ يُعضِّدُ على ما يُرضِيهِ ويؤيّدُ، لا إله إلّا هُوَ)) [٤٧].

النص رقم (٣)

وكتب عن علي بن يوسف بن تاشفين إلى يحيى بن علي[٤٨] بولاية بلنسية -حماه الله-: (كتبها سنة ٥٢٤ هـ)

((كتابُنا - أعـزّك اللهُ بتقواه، ورفـعَ قدرَك وأسماه، وأيّد عزمَك في ذاتِهِ وقـوّاه، ولازلت تتقلّبُ في عوافِهِ المقيمةِ ونُعماه، من حضرةِ مراكش - حَرَسها اللهُ - لأربعٍ خلون لجمادي الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة؛ وإنّا بما نعرفُه من صفوِ ولائِك، وصدقِ عنائِك، وطاهرِ استقلالِك واكتفائك، نرى أنّ نرفعَك بمقتضى حقّك في الأحوال، ونُوسعَ لك في الأعمال، ونعقدَ بطوقك منها ما نعلمُ أنّكَ به ناهِضٌ مُضطلِع، ونضيف إليك من جسيمِها ما أنت بشروطهِ والقيامِ بحقوقهِ رَحْبُ الصّدْر مُتّسع، ولضبطِ جوانبهِ ومراعاةِ لوازمه منتظمُ الأمرِ مُجْتَمِع، فقلّدْناك - بعد استخارةِ اللهِ تعالى - والابتهالِ إليه في اطّلاعِنا على مواقعِ السّداد، وإمدادِنا بُحسْنِ التوفيق والإرشاد، ولايةَ بلنسية وأعمالَها - حماها اللهُ - تقليدًا جمعنا لك به بين الولايتين، وملّكناك به أمرَ كريمتين، وزمامَ جَحْفلين[٤٩]، فتلّدْ ما قلّدناك على الطائرِ السّعيد وتظاهُرِ التأييد، وتولّهُ معرفًا فيه يمنَ التقليد، وتوالى الصُنعِ الحميد، وانقد إلى عملِك وتسلّمهُ من المصروفِ بك، واستقبلْ الأمرَ بأقوى عزيمةٍ وجد، وأنفذ مضاءِ وأمضى حَدّ، وكُن جدّ ناهِضٍ مُستبد، وتلك حالٌ خطيرةٌ قد جَذبْنا إليكَ زمامَ قيادِها،

وتوخّينا بك إقامة منآدِها، وثغورٌ قد رميناها منك بسدادِها، وأمورٌ صارتْ بتصيُّرها إليك عند عالمٍ بإصدارِها وإيرادِها، وقد أغناك علمُك بالسياسات، في جميعِ الطّبقات، عن أن تفصّلها تفصيلاً، أو نأتيك بها قَبيلا، وإنّما أعطيناكها جملة لايـؤودُك[٥٠] تدبيرُها، ولا يذهبُ عنك تفسيرُها؛ لأنّك إنّما تقدمُ على بلدٍ صافيتَه كثيرًا، وجاورتَه دهرًا طـويلاً، فَشُؤُوْنُه في صدرِك مجتمعة، وإلى فكرِك مُنحصِرة، مع تكرُّرِك على المكان، واطّلاعِك عليه تارةً بالخبرِ وتارةً بالعيان، وقديمًا تمنّى أن يُلقى إليك قيادَه، وخبرتَ سادتَه ورعاياه وأجنادَه، فاجزهم الآنَ بودادهم، وحُظّهم في أنفسِهم وأموالِهم وبلادِهم، وعُمّ جميعَ الأحوالِ بتصفُّحِك، ومتّعِ الجميعَ بتأمُّلِك، واعطِ كُلاً حقهُ من نَصَفتِك[٥١] وحُسْنِ رعايتك، وأذقهم حلاوةَ الأمنِ والعَدْل في ولايتِك، إن شاءَ اللهُ، وموضعُ إقامتِك هناك أنت تختارُه حيث تهوى لنفسِك، فتبوأْ مكانًا يصلحُ لأمرِك، ولا تبعدْ به كُلّ البعدِ عن قاصيةِ ثغرِك، فترجّح ما بين شاطبةَ وبلنسية أو منزلة بينهما، ذلك مصروفٌ إلى اختيارِك، والشّاهدُ يرى ما لا يرى الغائب، ونحن بعيد وأنت قريب، وإنّـكَ - كما علمنا - موفّقُ الرأيِ مُصيب، واللهُ - تعالى - مؤيدُك ومُرشدُك، ومعينك ومنجدُك بجودِه ومجدِه، لا ربّ غيرُه، فإنْ احتجتَ أن تستعين بأبي عبد الله محمد بن عليّ أخيك - أعزّه الله - فاستقدمْه يقدمْ عليك، واستدعِه يُسرعْ إليك، واستنبْ مكانَه بميورقة محمودَ المناب، ناقدًا في ذلك الباب، إن شاءَ الله، عرّفكَ اللهُ يُمْنَ ما وليت، وأعانك على حفظِ ما استرعيت بفضلِه، وجميلِ صُنْعِه، لا إلهَ غيرُه، والسّلام) [٥٢].

النص رقم (٤)

وكتب عن - علي بن يوسف بن تاشفين - أيضًا إلى أهل بلنسية في ذلك: (كتبها سنة ٥٢٤ هـ)

((كتبُنا - كتبَ اللهُ لكم تمهُّدَ الأحوالِ والجهات، وأمدّكم بسوابغِ الأجمال والهِبَات، ويسّرَكم للأعمالِ الصّالحاتِ والمساعي المُرْضِيات، من حضرةِ مراكش - حرسَها اللهُ - لأربعٍ خَلونْ لجمادِي الأولى سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائة.

فقد رأينا بعد استخارةِ اللهِ التي يُتوصّلُ إلى المراشدِ من بابِها، وتُـدركُ المناجِحُ [٥٣] من أسبابها، أن نوليَ عليكم أبا زكريا يحيى بن علي - أعزّه اللهُ بتقواه، فقد قلّدناه أعمالكم، ووصلنا به حِبالَكم، نظرًا منّا لكم بمكانِه، وإلقاء بأزمّتكم إلى حازمِ وقتهِ وأوانِه، فإنّه واللهُ يُنْجِدُه، ويُسْعِدُه بحيثُ علمتم حُسْنَ سيرةٍ وعدْل، ومتانةَ دينٍ وفضل، وتمسكًا من التّقوى بأقوى حبل، مع صالحِ مشهدٍ وبلاء، وصـادقِ حفاظٍ وغناء، ونفاذِ عزيمةٍ ومضاء، فآثرناكم منه بحافظٍ لنظامِكم، ومُصَرّفٍ لزِمامكم، وسادٍّ لثغوركم، وقوّامٍ بأمورِكم، فهو يُقَلّبُها على الحزم ويُدِيرُها، ويمضي على ما يراه ويحكُمه تدبيرُها، وحسبنا في تمهيدِ أكنافكم، وحراسةِ أطوافِكم، أن نجعلها وإيّاكم في كفالتِه، ونختارَ لها ولكم حُسْنَ إنابته. وقد فزعنا إليكم به من شؤونكم، وقضيناكم به ممطول ديونِكم، فما ترجعون بعده بتباعة، ولا تخشوْن معه إن شاءَ اللهُ من جَوْزَةٍ [٥٤] مُضَاعة، فعليكم - رحمكم الله - أن تتلقّوا أمرَه بأتمّ سَمْعٍ وطَاعة، وتتوخّوْا نُصحَه بكُلّ جهدٍ واستطاعة، ثم إنّه لا يستغني أن تكونوا ظهرًا في المجاشمِ [٥٥] التي يتوخّى بها

جبرَ أحوالكم، ورمّ مارثّ من حِبالِكم، فليجدْكُم عندَها أمامَ كُلِّ إرادة، ولتنجذِبوا في يدِه بأسمحِ مَقَادة، فإنّه لا يحملكم إلاّ على الذّي فيه عن حوزتِكم دفاع، ولمصالحكم انتظامٌ واجتماع، وأنتم عنده على منازِلكم، يُقدّرُ كُلاًّ قَدْرَه، ويقضي إليه أمرَه، فما في برّه ولا في سياستهِ تقصير، ولا عنده في غيرِ كُنهِهِ جانِبُ عسير، وعلى ذلكم فقد وصّيناه بجانبكم من غير أن نخافَ منه عن القصدِ انحرافًا، أو نحذرَ من جهتِه نكوبًا عن الواجبِ أو خِلافًا، وإنّما قصدنا معه الذِّكرى فإنّها توقظ ذا الحَجَا وتنبّه، وتبيّنُ لذي الحلم والنُّهى ما يُشتْبَه. عَرّفنا اللهُ وإيّاكم ميامينَ هذا التقليد، وجعله كافِلاً بالأمرِ السعّيد، والصنْعِ الحميد، إنّه المنعمُ الكريم، والسلام)) [٥٦].

النص رقم (٥)

وكتب عن - علي بن يوسف بن تاشفين - إلى العسكريّةِ بها - بلنسية - في الغرضِ المذكور - تولية يحيى بن غانية -: (كتبها سنة ٥٢٤ هـ)

((كتابُنا - أبقاكم اللهُ وعَصمكم بتقواه، وأجزلَ حظوظَكم من حُسناه، وجعلكم سابقينَ إلى طاعتهِ ورِضاه، متقلّبين في عوارفهِ ونُعماه، من حضرةِ مراكش - حرسَها اللهُ - في تاريخ كذا من سنة كذا، وقد وليّنا أمركم أبا زكريا يحيى بن علي - أعزّه اللهُ بتقواه، وقلّدناه تصريفَ أعنّتِكم، وأرخينا إليه بأزمّتِكم، ومكانُه حيثُ لم تجهلوه خيرًا وخيمًا، ونِصابًا كريمًا، وهَدْيًا قويمًا، وإقدامًا وتصميمًا، ومضاءُ كان به إذا رُفع اللّواءُ على الخميسِ زعيمًا، والآنَ بولايته إيّاكم فقد آنَ أنْ تتضاعفَ نجداتكم، وتصدقَ عزماتُكم، فإنّه يقودكم من يُرسِلُ أمامَ أعنّتِكم عنانَه، ويروي قبل أسنّتِكم سنانَه، وأنتم مع ذلك بحُكمِه مُصرّفون، وبالتزامِ طاعتهِ مُكلّفون، وإلى رايته مجتمعون، وتحتها متألّفون، فإذا أمرَ فأتمروا، وإذا رمى بكم جانبًا فابتدروا، وإذا أوردَكم فَرِدوا، وإذا أصدركم فاصدروا، فإنّ حسنَ الطّاعةِ بركةٌ وجمال، ويمنٌ وإقبال، كما أنّ الاستعصاء مبنيٌّ على الأخلاقِ اللئيمة، ومجنبةٌ للنُّفوسِ الكريمة، فأطيعوه كما فرضَ عليكم في المكروهِ والمحبوب، وانضموا عليه راشدين مُسْعِفين انضمامَ الجوانحِ على القلوب، فإنّ لكم في حُسْنِ الائتمار جزاءَ الحُسْنى والحِباءَ [٥٧] الأتمّ الأسنى، جعلكم اللهُ مِمّن أصحبَ في القِياد، وأجاب داعي الرّشاد، وآثرَ التّقوى واعتقدَها خير زاد، بمنّه، والسّلام)) [٥٨].

النص رقم (٦)

وكتب إلى القاضي أبي مروان بن عبد الملك[٥٩]: (كتبها قبل سنة ٥٣٠ هـ)

((أيّدَ اللهُ الفقيه الأجلّ، القاضي الأعدل، السيّدَ الأكمل، وفسحَ أملَه في عِزٍّ مَشِيد، وجدٍّ سعيد، وصُنعٍ مُبَاركٍ حميد، ولباسٍ من النِّعمة والتّقوى جديد.

كتبتُه - أعزّه اللهُ - مُعظِّما لمقداره، وملتزِمًا لإكباره، ومتقدِّمًا في برّه تقدُّمَ السّابقِ في مِضْماره، وقد وردني كتابُه العزيز الذي عذل به في الإغباب [٦٠]، وأدارَ فيه مُلحَ العِتاب، وكساه من رائِق الكلام ما أخذَ بالمسامعِ والألباب، فكدتُ أعيا عن الجواب، ومن ذا الذي يطيقُ براعة الكُتّاب، وإنّه أعزّه اللهُ لمجدودٌ [٦١] في أصحابه، آتٍ في حَلْبَةِ السباقِ ثانيًا من عنانه، فبُورِك في مَخْبَرة[٦٢] السّيّد الأجلّ من خطيبٍ صائبِ البيان، رقيقِ حاشيةِ اللّسان، فلقد انتظمَ المحاسِن واللُّمَع،

عبدالملك بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي (ت: ٥٣٩هـ)

وحـازَ في البلاغةِ المدى الأوسـع، وأطلع من آدابه وجوهًا زهاها الحسنُ أن تتقنّع، ثم ترجع فتصل ما انقطع، ونأتي الحديث كما وقع، فنقول إنّ السّدَ الأعزّ - أعزّه الله - ينبغي له إذا ملكَ أن يسْجِحَ [٦٣] في القول، ويبسط في التجاورِ يد الطّوْل، ويتناولُ في إغبابِنا ما يرانا به من أحوالٍ لا تُضبط، وتقلُّبِنا فيها بين مزارٍ يشحط، وأمورٍ لا تدخلُ تحت ما يُشترط، فنحن ننجذِبُ في أعنّةِ الأقدار، ونتصرّفُ كيفما تصرّفتْ بنا غُرُباتُ الدّار، ثم إذا نحن ألممنا يومًا بالخِيام، وحططنا للمقام، ووصلنا شدّة الأيّام، وردْنا على مزدحمات الأشغال، ورمينا عن مجاشِم العملِ بفادحاتِ الأثقال، والعوائقُ عن اللوازمِ لا خَفاءَ بمكانِها، ولا افتقارَ بنا مع وضوحِها إلى بيانِها، وعلى ذلك قد قدمتْ من هذه الحضرةِ مخاطبةٌ على يدِ طالبٍ من عُمّالهِ يُسمى يحيى بن العافية، تزيّا بسمْتٍ وسكونْ، وأبدى عن جانبٍ مصون، وظنّي به أن يصدق المخيلة فيورد الأمانة موردَها، ويؤديَها مصونةً كما تقلّدَها، وعلينا الكتابُ وعلى اللهِ البلاغ، وما أنا مِمّن يحولُ عن عهدِه، ولا من يقبلُ الدُنيا عِوَضًا عن ودِّه، ولا من ينتقلُ عنْ أوّله في حالتي السيّدِ المعظّم من رغبتهِ فينا أو زُهْدِه، فإنّي في هذا المكان رَهْنُ عيونهِ وعند أحسنِ ظنونهِ، ولا أدّعي غناء ولا أملكُ اغتناء، غيرَ أنّي أملكُ ذكرًا جميلاً وثناءً، وما احتاجَ جانبُه العزيزُ أن يُدْعم، ولا خِفْنا على رُكنهِ السّديدِ أن يُزحم، فمكانُه - والحمدُ لله - مكين، وماءُ البُسْرِ[٦٤] له مَعين، والله يهنئُه النُعمى، ويُبّوئُه الجانبَ الأحمى، بعزّتهِ، والسّلام)) [٦٥].

النص رقم (٧)

وكتب عن نفسه إلى أبي زكريا يحيى بن علي معزيًا: (كتبها قبل سنة ٥٣٠ هـ)

بمن نتَّقي الأيامَ إنْ حـــادِثٌ أَمَّـــا
ومَنْ ذا الذَّي يمضي الأمور إذا هَمَّا
ولم نقنَ[٦٦] إذْ أودى عليُّ بنُ يوسفٍ
سوى أنَّ صرف الدَّهرِ نوسِعُهُ ذمَّا
وقد كان سهـمًا في الكنانـــةِ واحدًا
وفي الدَّهرِ ما يفني الكنانة والسَّهما

أطال اللهُ بقاءَ الرئيسِ الأجلّ، السيّد الأفضل، والمواهِبُ إليه تتوافى، والنّوائب عنه تتجافى، وأعداؤه تتخاذلُ وتتلافى، ولا زال يُكلأ ويُعافى.

كُتُبتُه - كتبَ اللهُ له الصبّرَ جميلاً، والأنس من الوحشةِ بديلاً، والسُرور من الحُزْنِ مذيلاً، ولا جعل لحادثةٍ عليه سبيلاً، من الحضرةِ - حرسَها الله - وقد أوسعها غممًا مُطْبقًا، وأودَعها للجوانحِ هَمًا مُحرقًا، وأشعرها خوفًا بالنفوسِ محيطًا مُحدقًا، منعى [٦٧] حامي الذِّمار، وخائض الغمار، ولابس النّقع المثار، وسـدّاد الثغرِ، وكاشف الأذعار:

لا يُبْعِدُ اللهُ ابنَ يوسفَ من فتىً
عفِّ السَّريـــرةِ، طيّبِ الأخبارِ

أمَا والغيثِ النّجيع، والرّوضِ المريع، والغوثِ السّريع، ومجِدِهِ العالي الرّفيع، لقد فارقناه فقدانَ الرّبيع:

فتى لا يحبُّ المال إلاَّ من التُّقى
ولا الموتَ إلاَّ من قنىً وسيوفِ

وكم تعرّض لنزالها، وتلمّظ[٦٨] بسجالِها، وحام على آجالِها، وخيّمَ تحت ظلالِها، وتوسّعَ في ضيقِ مجالِها، وكانَ بقيّة قومٍ منايا السُيوفِ من مناها وآمالها، فتخطّته مهابةً وإكرامًا، وكانت

عليه بردًا وسلامًا، وإنّها لعبرةٌ توقِظُ الجَنان، وتعظُ الجِنان وله أسوةٌ في أبي سُليمان، وحسبهُ أن ذهب وادعًا مهيدًا، بعد أن تمنّى أن يكونَ على فراشه شهيدًا:

شقَّ النَّسيـــمُ عليـــه بُردتـــه
وبكـــــتْ عليـــه ثواكِلُ الدِّيَمِ
وتغَّمـــدتْهُ رحمـــةٌ ورضـــىً
تغشـــاهُ من قـــرْنٍ إلى قَدَمِ
لو أنصفت عينـــي - وحقَّ لها
لبكـــتْ أعـــزَّةَ قومِـــها بدَمِ
أو مـــاتراهم وهو آخـــرُهُم
بادوا كمـــا حدَّثـــتَ عن إرمِ
المـــوتُ يستجليـــهمُ أبـــدًا
فهـــمُ لـــوافـــدِهِ على قـــدَمِ
يا موتُ حَسْبُك قد سدكت بهم[٦٩]
وتركتهم لحمًا على وَضَـــمِ[٧٠]
هلاَّ وقـــد أفنيـــتَ ســـادَتَـــهم
أبقيـــتَ منـــهمْ كـــافِلَ الحُرُمِ
يا أرضُ كفِّـــي عن وجوهِـــهمُ
إن كنتِ تستحيـــن من كَـــرَمِ
اللهُ جـــابرهـــم وحـــافظهُـــم
من كُلِّ ما يعـــدو على الذِّمَـــمِ
وصـــلاتُـــه تتـــرى ورحمتُـــه
في حيث ما كانوا من الأمَمِ[٧١]

النص رقم (٨)

وكتب عهدًا عن أبي يعقوب ينتان بن علي ابن يوسف بن تاشفين: (كتبه قبل سنة ٥٣٠ هـ)

((كتابُ برٍّ منشور، وإجمالٌ موفور، واهتبال موصولٌ بالدّوامِ مشكور، أمرَ به الرئيس الأَجَلُ أبو يعقوب ينتان - أيّده الله - لذي الوزارتين الأَجَلِّ أبي الحسن بن طاهر - أعزّه الله وأدامَ كرامتَه بتقواه، عنايةً بجانبهِ، ورعايةً تقتضي بعضَ واجبهِ، واهتمامًا بحملهِ على كاهلِ البرّ وغاربهِ، أسقط به عنه نصف جميعِ ما يلزمه من أملاكه بمرسية[٧٢] وماله من المعادن على اختلافِها، والتكاليف على أصنافها، ولا يلزمه سوى ذلك غُرْمٌ، ولا يجوزُ عليه في غيرِ النِّصفِ المعيّن حُكْمٌ، ويقتضي منه على أجملِ الوجوهِ وعلى سَنَنٍ من البرّ يكونُ كالترفيهِ ثم يُحمل بعد ذلك في خدمتهِ وبنيه، وأشراكِه عامةً ومُناصفيه، على أوضحِ سُبُلِ الإكرام، وأبينِ طُرقِ الدِّعايةِ والاهتمام، فمن قرأ هذا أو قُرئ عليه من جميع العُمّال وجُباةِ الأعمال، فليحمل على حدوده، ولا يخل بمواثيقهِ الوكيدةِ وعهوده، ومَنْ عارضها بنقْض، أو أخلّ منها بفرْض، فقد زلّت به القدَم، وحاقَ به النّدم، وبَرِئتْ منه الذِّمم، وبالله التوفيق))[٧٣].

النص رقم (٩)

وكتب إلى أمير المسلمين - علي بن يوسف بن تاشفين -: (كتبها بعد سنة ٥٢٠ هـ)

((أطال اللهُ بقاءَ أميرِ المسلمين وناصرِ الدين، والعدلُ حِلْية أيّامِه، والنُّجْحُ عاقدُ أعلامه، واليمنُ كانِفُ سُلْطانه، وحافِظ نِظامه، ولا زال يَمُدُّه النصر، ويطالعه الْيُسْر، ويشرق - بمساعيه المنيرةِ - الْعَصر، كتبته عن نصيحته التي فرضتها الشريعة، وطاعته التي هي الْعُرْوَة الْوُثْقى الوثيقة المنيعة، والتزامي لأمره سريعٌ أقيمه وحظ البر أستْديمه، وأستعين الله على إتيان وفْقِه، وأداءِ ما فرض من حَقِّه)) [٧٤].

النص رقم (١٠)

وكتب إليه أَيضًا -علي بن يوسف بن تاشفين-: (كتبها بعد سنة ٥٢٠ هـ)

((أطال الله بقاء أمير المسلمين، ورايته معوّدة الظفر، ودولته مُشْرِقَةُ الغرر، وعز سلطانه ملء السمعِ والْبَصر، كتبْتُه وأنا أعتصم بحبله، وأستوطن حزم عدله، وأتوسد بُرْدَىْ ظلِّه)) [٧٥].

النص رقم (١١)

رسالة كتبها عن علي بن يوسف بن تاشفين إلى ثاني أولاده المسمى أبو بكر: (كتبها بعد سنة ٥٢٠ هـ)

((وله خلد الله ملكه إلى الأمير الأجل أبي بكر ابنه.

كتابُنا، أَلْهَمكَ الله رشيدَ نَفْسكَ، وأبْرأُ يَوْمِكَ مِنْ أمْسِكَ، ولا أجْناكَ ثَمَرة غَرْسِكَ، مِنْ حَضْرةِ مراكشَ، حَرسَها الله، بَعْدَ وصولِ الوزيرِ الجَليلِ أَبي مَروانَ بن الوزيرِ الأجلّ والفقيهِ الأفضلِ أبي العُلا بن زُهرٍ، مَحَلّ أبينا برّدَ اللهُ ضَريحَهُ وقَدّسَ رُوحَهُ، يَشْكُو ما يُكابِدُهُ مِن تَشْغيبكَ ويُقاسيهِ مِن تَضريبكَ، فأمسكْ عَليكَ رَمقَكَ، ولا يَضربْ لِسانُكَ عُنُقكَ، فأدركهُ حتّى يَقْصُرَ، وخُذْ مِن الأُمورِ ما يَسُرَ، وإلا أنْفذناكَ إلى مَيورقةٍ على قَطْعِ ألواحٍ ودُسُرٍ، والسّلام على مَنِ اتّبع الهُدى وتَجنّبَ مِينَ الضّلالةِ والرّدى. والسّلام)) [٧٦].

النص رقم (١٢)

وكتب أيضًا مراجعًا للوزير الكاتب أبي مروان بن زكريا جوابًا عن رسالةٍ خاطبه بها [٧٧]:

((أطال الله بقاءَك وعزُّك منيعٌ، وجنابُك وَسِيع، وألزّمان بمحاسِنِكَ رَبيع كتبتُه وقد وصلت معجزاتُك، وبهرتْ آياتُك، مع بُشرى تخلُّصِك للوَطَن، واشتياقِك للزّمن، من بعد شدائدَ شِمْتَ برقَها، وسُقيتَ وُدْقَها[٧٨]، وبتّ بمدرجة سيولِها، كالحبّة في حميلها، حتّى كدتَ تكون فيها زَبَدًا رابيًا، وَغَثًّا طافيًا، لولا وجارا [٧٩] أضمرك كالسّقطِ في زَنْدِهِ، والنّصْلِ في غمده، إلى سائرِ ما أوردتَ من أوصافِ المطر، وعوائق السّفر، فوددتُ من غير شيءٍ يُضيرُك أن يمتدّ مسيرُك حتّى تَقُصّ فأسمعَ سحرَ بيانِك، وأجدَ حكمةً من لسانِك، وإنّ سلامتَك لهي سلامةُ المجدِ، ومطلقةُ لِسانِ الحَمْد، وقد كُنّا بعدَك في أحوالٍ مختلِفة، وأمورٍ لا تُحْصر بصفة، فأوّلُ ذلك غَمامٌ تتّبع ذا المحلَ فَشَقاهُ، وعفّا على آثارِ الجدبِ فأنساه، وضرب مزنُهُ ميْتَ النّباتِ فأحياه، حتّى إذا أشفى البسيطةِ وألبَسَها زيّها، فجاب[٨٠] عن عَصْبِ [٨١] نَشْرِهِ على النّجدِ والغور، وطوى نظمه في سالفِ النّوْر، برزتْ عنه الدُّنا موشيّة، والأرضُ سُنْدُسيّة، فبيْنا هي كذلك قد لبست زخارفَها، وفاحَ عَرارُها ونمت أزهارُها، وهبّ نسيمُها عليلاً، وعقدتْ كُلُّ رابيةٍ في مفرقِها كليلاً، انقلب المجرُ لظهرِه، وأتى اللهُ بأمره، فهبّت الرّيحُ عاصفًا، واستهلّ الرّعدُ قاصِفا، ولمعَ البرقُ خاطِفًا، ثم انبعثَ غمامًا، وأرقام لزامًا، وفي مثلِ ارتدادِ الطّرفِ احتشكتْ ضروعُه، وتفجّر يُنْبوعُه، ووافى عبابُ السّيلِ يلتطم، وأقبلت غواربُ الموجِ ترتكم[٨٢]، وتدارك حتّى مجّتْهُ الأشْراج [٨٣]، وضاقت عن تَدافُعهِ الفِجاج، وما راعنا إلاّ السّرْجُ طافيًا في آذيّه، والعُصْمُ فرقى في آتيّه، والضِّبابُ قد ولجَ عليها أنفاقَها، وأعجزَها عن النّجاء فساقها، ومنّ على الشنفيرة [٨٤] فألقى

بركَه على البرك هجودًا، وأمطرَها من الموتِ سحائبَ سودًا، وأكبّها على الأذقان، ولم تنوِ سجودًا، فمصارعها هناك قد سال بعضُها على بعض، كأنْ لم تَغْنَ في حَرَضٍ وحِمْض [٨٥]، وإذا انتظمَ هذه الأصناف، وجمعَ هذه الأوصاف، فما ظنُّك بالدِّيارِ وأسُّها مَـدَر[٨٦]، والمصانعُ وليس فيها حَجَر، لقد أسقطها على الهام، وجمعَ بين نواصيها والأقدام، فأنت إن اطّلعتَ لم تَر إلّا رسومًا، ورَبْعًا بالخرابِ موسومًا تُنكرُهُ بعد العِرفان، وتستعظمُ فيه حادثةَ الزّمان، فكم شهيدٍ تحت ذلك الهَدْم، وملحودٍ بين ذلك الرّدم، قد ذاق الموتَ قبلَ ذوقِه، وخرّ عليه السّقفَ من فوقِه، ففي كُلِّ دارٍ رنّة، وعند كُلِّ جِدارٍ زفرةٌ وأنّة، ونحن ننتظرُ الفَرَجَ بالصّبْر، ونستدفعُ بالدُّعاء أذى القَطْر، ثبّت الله قواعد بُنيانِك، وجعلكَ في حِرز إيمانِك، وكتب عهدَ نجاتِك وأمانِك، إنّـه سميعٌ قريبٌ، كريمٌ مُجيبٌ، وأقـرأُ عليك من سلامي أذكاهُ عَبَقا، وأعطرَه نسيمًا مُنْتَشقا، ورحمةُ اللهِ وبركاته)) [٨٧].

النص رقم (١٣)

وكتب ذو الوزارتين الكاتب أبو مروان بن أبي الخصال عن تاشفين بن علي، إلى صاحبِ فاس في أمر محمد بن تميم [٨٨] حين استرابَ منه: (كتبها سنة ٥٣٥ هـ)

((كتابُنا - كتبَ اللهُ لك في مرضَاتِه الرأيَ الأصيلَ المُحْكَم، وجعلَكَ مِمّن إذا بدأ في طاعتِه بحزمٍ استوفى غايتَه وتَمّم، وإذا همّ بسدادٍ ألقى عزمَه بين عينيه وصمّم، ولا زلتَ تسبقُ الغادرَ الفاجِرَ إلى إخراجِ ما نوى من الشّر وكَتَمَ)).

من حضرةِ مرّاكش - حرسها اللهُ - منتصف جمادى الآخرة سنة خمسٍ وثلاثين وخمسمائة، ونحن نحمدُ إليك اللهَ الذّي لا إلهَ إلّا هو كِفاءَ ما أوجب من حقوقِه وألزم، ونشكرُه شُكرًا يتقاضى المزيدَ الموفورَ ما خوّل وأنعم، ونُصلّي على مُحمّدٍ نبيّه ورسولهِ الأكرم - صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين كثيرًا طيّبًا وسَلّم.

أمّا بعدُ - أدامَ اللهُ عِزّكَ، فإنّ الكِرامَ تنتهي إلى مكارمِ أخلاقِها، والجيادَ تجري على ماسرى من العِتْقِ المبّرَزِ في أعراقِها، وتأبى إلّا إظهارَ شدّها، وإخراجَ أعناقِها، والشّجرة الطّيبةَ تجني الرّائِقَ من ثَمرِها، والمرّ من مذاقِها، ولا تزالُ الأيّـامُ تكشفُ بالامتحانِ عن الحقائقِ أبناءَها، وتشيدُ ارتفاعًا أو تهدمُ اتّضاعًا مشيدَها وبناءَها، فمنهم من لا يتقبّلُ إلّا بالكِرام، ويشبهُ الأخوالَ والأعمام، ويتحرّى الكمال ولا يرضى إلّا التّمام، فذلك الشّمّريُ[٨٩] الذي قدْ قدّ السّيفَ وقطعَ، والألمعيُ الذي يظنُّ الظنّ كأنْ قد رأى وقد سمع، والأوحَـدِيُ الذي تفَرّقُ في الرّجال من كرمِ الخِلال حيزله [٩٠] وجمع، يتركُ دنياه لدينِه، وينتفِعُ - شهامةً وحـزامـةً[٩١] - بظنّه ويقينِه، ويتلقّى راية كُلّ مجدٍ بيمينِه، وأنت أدام اللهُ عِزّك، من الأوّلين، والمتقدّمُ في صدورِ المتقدّمين، ومنهم من إذا رُفع أخلدَ إلى الأرض، واختارَ القعودَ على النهض، وجـاز من الإبـرام إلى النّقض، وآثر المطروق الممذوق على المحض.

وإنّ كتابَك الأثيرَ المرورَ وافانا في أمرِ الخائن الشقيّ، والسّفيهِ الحائرِ الغَويّ محمد بن تميم الذي لم تُحمد منه شيمة، ولا استقلّت به فطرةٌ سليمة، ولا فارقتْه في المبدأ، وتدرّجتْهُ في المنشأِ صفاتٌ ممقوتةٌ ذميمة، أخّره اللهُ حين لم يَصْلُح له التّقديم، وأهانَه ومَنْ يهنِ اللهُ فما له من تكريم، ﴿وَمَن يُرِدِ

ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[٩٢] وقد كان - أدام الله عِزّك - خليقًا بما فعلتَه به قبلَ أن يصنعَ ما صنعَه، حقيقًا بذلك السّطوِ الحازمِ وبأمثالِه معَه، ولو علم الله فيه خيرًا لأسمعَه، والحمدُ لله الذي جعلكَ دون المسلمينَ خصمَ وحجيجَه، واختار لك أن تُسْمِعَنا وإيّاهُم بالحق الأوجبِ ضجيجَه، وتكفي خاصّتهم وعامّتَهم تشغيبهُ وتهريجَهُ وكيف تحذرُ أدامَ الله عِزّك من اهتبالِ غِرّةٍ لونولها، وعرضَ نفسَه عليكَ مكانَها، لسّدَ إلى نحرك ونحورِ المسلمين سنانَها، أتراقبُ إلاّ وذِمّة فيمن لا يُراقِبُ في مؤمنٍ إلاّ ولا ذِمّة؟ أو ترعى حُرْمة لمن لم يجعل له الله حُرْمة؟ أو تعطِفُك سهمةٌ على مَنْ لم يجعل الإسلامُ له قِرًى ولا سهمة؟ أما لو لم تكسِرْ نخوتَه وانتزاءَه، وتقطع حين تعزّى بعزاءِ الجاهليةِ اعتزاءَه، لضيّعتَ وصيّةَ شيخٍ حازمٍ جُعِلْت إزاءَه.

اعلمْ - وفّقَكَ الله - أنّكَ لما آثرت فيه هذا الرأيَ الأحْزَم، وعزمَ الله لنا ولك وللمسلمين فيه بما عَزَم، رأينا من أبيك - رحمةُ الله عليه - شِنْشَنةً نعرِفُها من أخزم، فيا حبّذا شِنْشَنة أحييتَ بها أباك، وفضيلة خيرُها وإنْ عمّ المسلمينَ بحمدِ الله لن يتخطّاك ولن يتعدّاك، وأهلاً بأمرٍ جمعَ لك في رضا الله بين هوانا وهواك، وفتكةٍ حميتَ بها حمى الدّين ثمّ حِماك وليت كلّ والٍ أو عاملٍ كفيناهُ من أمورِ المسلمين أمرًا، واستحفظناهُ من الثُّغورِ المهمّةِ ثَغْرًا، يذهبُ حيث ذهبتَ، ويصيبُ كما أصبتَ، وينتدبُ من السّدادِ وإيثارِ الصّلاحِ فيمن سعى في الأرضِ الفسادَ إلى ما انتدبت، إذًا لقُوتِلَ الأعداء، وحُسِمَ الدّاء، واستولى على العدوّ الوفاء، هذا خطأٌ صابُه واضِحٌ باهِر، وشكاةٌ عددُها عنك ظاهِر، ومصلحةٌ ظاهِرة ومنقبةٌ فلكُها بالثّناء عليك دائر، وذكرُها من الأيّامِ لك سائر، وقد يُحاز بذْكرِ التّقصير انتماء، ويترتّبُ بلفظ القذع ثناء، وتُستوفى غايةُ المدحِ فيمن عنده ثَلْبٌ وخناء، كما يُزيّنُ الحسامُ فلول من قراعِ الدّارعين وحشو غمدهِ تطبيقٌ للمفاصلِ ومضاء، ولعلّك في فِعْلتِك التي فعلتَ من قومٍ رضي الله عنهم ورضوا عنه، وآتاهم الله ثوابَ الدُّنيا وحسنَ ثوابِ الآخِرة من لدُنْه، فقال فيهم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾[٩٣] وقال - عليه السّلامُ - في المخزوميّةِ فاطمة، وبنو مخزومٍ جوارُه وهم أخوال أبيه وأصهارُهُ: ((واللهِ لو كانت فاطمة بنتَ محمدٍ لقطعتُ يدَها))[٩٤] وردّ على أسامةَ بن زيدٍ شفاعتَه، وأجارَه من غضبهِ اعتذاره، فلا تقل - أدام الله عِزّك - في أمثالِ هذه النّازلةِ: مَنْ تَطلعَ إلى شقّ عصا المسلمين واستشْرَف، واقطعْهُ ولا ترحمهُ، فإن استجدى واستعطفَ، فكُلُّ قريبٍ أقصاه الحقُّ بعيد، وكُلُّ بعيدٍ أدنتُه الطّاعةُ سعيد، وليس لنا إلاّ بكتاب اللهِ وسُنّةِ رسولِ الله - عليه السلام - في ابنه الضّال الجامح، ومحلُّ الابنِ من أبيهِ بين الشّغافِ والجوانح: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾[٩٥].

وقال - تعالى - لإبراهيم عليه السّلام في أبيه، والإسلامُ يناقِضُ كُفْرَه ويُنافيه، والأرحامُ مِن بعدِه عن الإيمان لا تُقَرّبُه ولا تُدْنيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ﴾[٩٦]، فهذا الذي في عُصاةِ

الأقاربِ نمتثلُه ونَحْتَذيهِ، وقد خاطَبْنَا الوليّ الأعزّ في الله أبا زكريا يحيى بن علي أيّده الله أن يحلّه من ميورقة مكانًا قصيًا، ويتركه بالجزيرة نسيًا منسيًا، ويذرُه لا حَيًا مَرْجوًا ولا ميْتًا منسيًا، ألحقَ الله به من ينوي للمسلمين ما نواه، وأولاه ما تولّاه، وجعلَ الخزيَ والسوءَ مردّهُ وعُقْبَاه، وإذ قد بدا تدبيرُ الخُبثَاءِ فهذا أوانُ الظُّهورَ عليهم والاستعلاء، ومقدِّمةُ ما ينزلُ عليهم من البَلاء، فانهد[٩٧] إليهم - أيّدك الله - مؤيدًا مُعَانًا، وأمعِنْ في معاقبتِهم ومعاقبةِ من والاهم إمعانًا، وشرِّد بهم من خَلْفِهم حتّى يقرّوا إقرارًا ويُذعنوا إذعانا، واضرب العاصيَ بالمطيع، والفئةَ الباغيةَ بالجميع، والله يمدُّنا وإيّاك على من حادّه وشاقّه بعذابِه الأليم وعقابِه السّريع.

والحزمَ - أعزّك الله - في هذا السّفيهِ الخائِنِ إن تبعثّه مستوثقًا منه إلى أبي الحسن علي بن أبي بكر بن إبراهيم - أيّده الله - ليركبَه البحرَ من وَهْران[٩٨]، وتتيمّمَ به حاملة ذلك المكان، ويلزم في ثقافِه الصّغَر ويُسام الهوان، والله المستعان على من على الإسلام أجلب وأعان، والسّلام)[٩٩].

النص رقم (١٤)

رسالة كتبها عن أمير المسلمين تاشفين بن علي من قرطبة: (كتبها بعد سنة ٥٣٠ هـ)

((بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما، من أمير المسلمين تاشفين، على الزبير بن عمر، وفقه الله

كتابنا - أعانكم الله على مكارم الأخلاق، وأجرى أحوالكم على الانتظام والاتساق - من حضرة قرطبة حرسها الله، وقد تعين لنا بتلكم الحضرة عتب قبلك، وقبل من تختصه بالبِرّ ذَنْبٌ

خبّرنا أعزك الله: كيف جاز أن يجتاز بكم الفقيه الأجل القاضي الأعدل أبو بكر بن أسود، قاضي قضاة الشرق، وما بموضعه خفاءٌ، ولا باحتفاء الدولة العلية به اختفاء، فتهاونتم بمثواه، ونمتم جميعًا عن قراه، كأنه قد مر منكم بفلاة أو حط على رفات، وجاز على أقوام أموات. أما إنكم لو حللتم بواديه، ومثلتم بناديه، لزارتكم جفان ((آل جفنة)) مكللة لحمًا مدفقة ثردًا، وهي تنظم الأضياف سردًا، وتعمهم شفعًا وفردًا. أما إنه من القوم الذين لم تدنس اللؤم ثيابهم، ولا ضُربت على غير المكارم قبابهم، يُغشون حتى ما تهر كلابهم. وقد ذهبتم فيها عريضة، إذ تقلّبوا لدينا أجفانًا غضيضة، وتُرشقوا بسهام الملام، تحير فيكم سوء الكلام. لا وَجِد بملامتنا ضيف، ولا ألم بنا للبخل طيف فلتعلموا مكان هذه الفعلة الفادحة والفرطة الفاضحة، والله ولي الأعمال الراجحة)) [١٠٠].

النص رقم (١٥)

كتاب صك عن أحد الرؤساء:

((كِتابُ ترفيعٍ وإظهارٍ، وتَنويهٍ وإيثارٍ، أمرٌ بِعَقدِهِ الرئيس الأَجلُّ والأميرُ الأطولُ أبو فُلانٍ، للفقيهِ ((صاحبِ الأَحكامِ)) فلانِ بْن فُلانٍ، أَظهَرَ أيّدهُ اللهُ بهِ كريمُ مَذهبِهِ فيهِ، وأهّلهُ لِما يَستوجبهُ ويقتضيهِ، فَقدّمَهُ بهِ إلى ((خُطّةِ الأَحْكامِ)) بِجهاتِ فُلانةٍ وفلانـةٍ، لما خُبِرَ وعُلِمَ قديمًا من سلوكهِ بنفسهِ سَبيلِ الاعتدالِ، وجريهِ على أَقومِ طريقةٍ في جميعِ الأَحوالِ، وبِما تَخصُّصٍ به من مَتانةَ دينٍ ونزاهةَ نفسٍ وصحّةِ يقينٍ.

وأوّلُ ما ندبهُ إليهِ، أيّده الله، تَقوى اللهِ العظيمِ،

والاقتداءِ في جميعِ أحكامهِ بالقرآنِ الحكيمِ، والعملِ فيها بسنّة نبيّهِ محمّدٍ، صلى الله عليه وسلّم، رسولهِ الأكرمِ.

فَيَمتثّلُ ما ندبهُ إليهِ، أيّده اللهُ، وليوثِرُ الحقَّ الألزمُ، وليوطّئ جانبهُ لِلخصومِ، ولا يوخرُ الأخذَ بالحقِ من الظّالمِ للمظلومِ، حتى يستويَ عندهُ القويُّ والضّعيفُ، وينزلُ بمنزلةٍ واحدةٍ الشّريفُ والمشروفُ، ولا يأخُذُهُ في اللهِ لومةَ لائمٍ. وليتلقّ ذلك كلّهُ بيقينٍ صحيحٍ وجدَ لله تعالى صريحٌ. وتبرأ إليه أيده الله من درّك ما استرعاهُ وتبعةَ ما ولاّهُ، والله يلهمُهُ إلى ما يُنجيهِ، ويعصِمُهُ من الزّللِ ويقيهِ بمنّهِ. وكتبَ في شهرِ كذا من سَنةِ كذا، واللهُ المُستعانُ)) [١٠١].

النص رقم (١٦)

وفي المعنى - في خطة الأحكام - لأبي مروان ابن أبي الخصال:

((كتَبْناهُ، أيّدكَ اللهُ بِنَعْمائِهِ، ووفّر حَظّكَ منْ حبائِه[١٠٢]، وأوْجَبَ لَكَ رُتْبَةَ أوْلِيائه، ونحنُ نحمدُ اللهَ إلَيْكَ الذي لا إله غَيْره، ولا مرْجُوّ إلا خَيْرُهُ، ونستمده فضلَ إحْسانِه، وعوارِفَ امتنانِهِ، وهو بالإجابَةِ ملي[١٠٣] وبأوْليائه عَفِي.

وقد بلَغَنا ما يَجْري بفلانَة وجِهاتها من استِطالة أهل العِدى[١٠٤] وتَشْغيبِ ذوي الأهواء، وخُروجِهم عنْ حدود الاستواء، حتّى صَارَ البَغْيُ ظَهرًا تَمْتَطيه الغُواةُ، وسَنَنًا تَسْلُكُه العُتاةُ، وغَمَرَ مَنارَ الحَقّ فصارَ موْضُوعًا، وخَفَضَ عَلَمَهُ وكانَ مرْفوعًا، فأعْظَمْنا ما اتّصَل، وبادَرْنا إلى حَسْمِ ما أعْضَلَ. فخاطَبْناكَ لتَطولَ في الحَقّ يَدُكَ، ويَسهُل في تنفيذِهِ مَقْصِدُكَ، مزاحِمًا في الحَقَائق بمنْكَبٍ وصَدْرٍ، مُلْجِمًا في الوفاء بأكْمل عُذْرٍ، مُرْغِمًا أنفَ المُبْطِل وإنْ كان في الدُّنيا ذا قدْرٍ. فَتَوَخّ ذلك والْزَمَه حتّى يَعْتَدل المائل، ويقصُرَ المُتَطاوِلُ، ويَتَعاطى الناسُ الحقائقَ بينهم مُنِيبينَ، ويأتُوا إليها مُذْعِنين، ولذلكَ ظَهر. والله كَفيلٌ، وعلى ما نَقول وَكِيل.

فانهضْ نهوضَ من يأوي من الحَقّ إلى رُكْنٍ شديدٍ، وقَصْرٍ عتيدٍ، وسمِعَ بما وافاكَ منْ قِبَلِنا. ليكونَ أهْيَبَ لمجانيك، وأذهَبَ معَ جانيكَ بحول الله تعالى)) [١٠٥].

النص رقم (١٧)

وله في المعنى - في خطة الأحكام -:

((كَتَبْناهُ، أبْقاكَ الله وأكْرَمَكَ بِتَقْواه، واعْتَمَدَكَ بسَوابغ نُعْماه، ونحن بحمد الله على مذاهِبِهِ الحُسْنى، ونسأله العمل الذي هو إلى رضاهُ أقربُ وأهدى.

وقد اتصل بنا أنّكَ في إنْفاذِ الأحكام، بعيدُ المُنّة[١٠٦] واهِنُ القُوّة، حتى لقد اسْتشْرَى هنالكَ أهل الغواية، واستطال أُولُو البغْي في الإذايَة، فشقيَ المُحِقُّ بالمُبْطل، وأعْياكَ ذلكَ الدّاءُ المُعْضِلُ.

فإذا وَرَدَ كِتابُنا هذا، فاصدَعْ بالحقّ جاريًا على السّنَنِ، وانهضْ في الأُقْضِيَة[١٠٧] غيرَ ضعيفِ المَنَن [١٠٨]، وانْظُر من هُنالِكَ منَ المُتَصَرّفينَ في غير معهودٍ، أوْ في أمْرٍ من عندنا غير محدود. فاكْفُف عن الرّعِيّة يَدَيْه، واستظْهِرْ بِعَهْدنا هذا حُجّةً عليه، ولا تُرْهِبْ في رَفْع الاعْتِداء أحدًا. ونَحنُ من وراء العَضْدِ لكَ كما يَجِبُ، وحمايَتِكَ كما تَظُنُّ وتَحْسِبُ.

واعْلِنْ بقراءة ما وافاكَ من قِبَلِنا لِيَرْعَوِيَ

الجاهل، ويَنْتَبِهَ منْ سِنَتِه الغَافِلُ، إن شاء الله)[١٠٩].

النص رقم (١٨)

وله في المعنى - في خطة القضاء -:

((كَتَبْناه أعزّكَ الله وأكْرَمَكَ بِتَقْواه، ووصَل آلاءَكَ وَنِعَمَكَ، وجَنّبَكَ المحاذيرَ وعَصَمَكَ. والنعمُ مُكْتَنِفَة، والنُفوسُ بأجْزال[١١٠] السيادة مُسْتَشْرِفة.

وقدْ بَلَغَنا أنّكَ رُبّما لِنْتَ في الأحكام، وأغْضَيْتَ منها على بعض الاهْتِضام، لطوائفَ هنالِكَ مجْبولةٍ على الجَدَل، مَجْدودَةٍ عن الخير في القول والعَمَل. ونحنُ نتقدمُ إلَيْكَ أنْ تُجْري الأحكامَ على مُقْتَضاها، وتُنَفّذَ الأقضية مَنْ أباها، صادِعًا بأمر الله كما يَجِبُ، مُحْتَسِبًا في ذاته، ومِثْلُكَ يَحْتَسِبُ غيرَ هائِبٍ ذا مكانَةٍ، ولا مُخل بِحقّ ذي اسْتِكانَة. وكُلُّ ما تأتيه من ذلكَ فنَحْنُ لَكَ عليه ظهيرٌ، وأنْتَ بِهِ مُجْزىً ومَشْكور. فَتَفَقّدْ ذلك لَدَيْكَ، واجعَلهُ أوْكد الفروض عليك، ليَرْتَدِعَ الجَرِيءُ، ويذُوقَ وبالَ إساءَتِه المُسيءُ، ويَسْكُنَ في ظِلّ الأمن العفُّ البريءُ، وَاعْلِنْ بما خَطَبْناكَ به، لِتَسْتَشْعِرَهُ القلوبُ القاسيةُ فَتَلينَ، وتَتَصَوّرَهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ فَتَذِلّ وتَسْتَكينَ، إن شاء الله تعالى)) [١١١].

النص رقم (١٩)

وله في المعنى - في خطة الأحكام -:

((كَتَبْنَاه، أكْرَمَكَ اللهُ بِتَقْواهُ، ووصَلَ لَدَيْكَ نُعْماه، وآثَرَكَ بِحُسْناه. ونحنُ نَحْمَدُ الله على آلائِهِ، لا رَبّ غَيْرُهُ، ثمّ نؤكّدُ لدَيْكَ التّشَدد في أحْكامِكَ، وبَثّ العَدلِ بين أقْوامِك، وكُفّ أيْدي أهل العداءِ، وحَمْلِهم على طريق الاستواء، وأنْ تتَفَقّدَ كذلكَ أحْوال العُمّال عِنْدكمْ، وتُراعيَ سَيْرَ المُتَصَرّفينَ من... سيبًا بَيْنَكم، فإنْ جاؤوا عن الحَقّ نَاكِبينَ، وتَوَلّوا عنه مُدبرينَ، صَرَفْتَهم إلَيْنا بالاقْتِصار، واضطرَرْتَهُم إلى رُكوبِ الجَادّة أشَدّ الاضطرار. فإنّ الله تعالى قدْ فَرَضَ ذلكَ على الوُلاة للرّعية، وجعلَ الراعي مسْؤولاً عنِ الرّعية المَرْعِيّةِ.

فاصدَعَ بأَمْرِ الله غيرَ واهنِ الأيْد، ولا ضَعيفَ الكَيْدِ، ومَتى وافَقَكَ في حَقّ مُوَافِقٌ، وتجانَفَ عنْ سبيل القصدِ مُتَجانفٌ، طالَغْتَنا بشَأنِه لِنُريه طريق رُشْدِه، ونأخُذَ بالأدَبِ فوق يده. إن شاء الله)) [١١٢].

النص رقم (٢٠)

وله في المعنى - في خطة الأحكام -:

((كَتبْناه، أعَزّكَ الله وأكْرَمَكَ بِتَقْواه، وسلَكَ بِكَ السّبيل المُؤَدّيَةَ إلى رضاه. ونحنُ نَحْمَدُ الله إلَيْكَ على مواهبِهِ الجسيمَةِ، وعوارِفه المُقيمَةِ، ونَسْأَلُهُ لَكَ مزيدَ الآلاءِ، ووفيرَ الحباء. ثمّ نُؤكّدُ عليكَ أشَدّ التّأكيد، ونأخُذُ بالمَوْثِقِ[١١٣] الشّديدِ، في إجراء الأحكام لَدَيْكَ على حُدُودِها المحدودةِ، وشَرَائِطِهَا المَعْهودَةِ، منْ غير أنْ تَمُدّ إلَيْها يَدَ القاصر، أو تُبالي فيها غَبْنَ الخاسر[١١٤].

فقد بَلَغَنا عن بَعض المُتَصَرّفين هنالكَ اعتِداءٌ، وورَدَتْ منْهم أنباءٌ، وَرُبّما قد قَبَضَ إلَيْهم منْ غُواةِ أهْل الجِهَةِ شيطانٌ، وكانَ لهم منْهُم على الشّرِ أعْوانٌ وأقْرانٌ. فَتَتَبّع ذلك جاهدًا واحْسِمْه، وَالزَمْ جانِب العدْل ولا تَرِمْهُ[١١٥]، وانْهض في الحقائق حَزْمًا، وكُنْ في ذاتِ الله سَهمًا، ولا تُحَمّل رعيتنا ظُلمًا ولا هضْمًا. ومنْ عانَدَكَ من الوُلاةِ والمتَصرفين، و وافقَكَ من العُمّال المشْتَغِلين، خاطَبْتَنا بِه، لنَحْمله على القصد، ونُريه سبيل الرُشْد. فلا يَتَطَرّقُ - بعد هذا العهد - أحدٌ إلى الرّعِيّة إلاّ في معروف، أو أمْرٍ على الاجْتِماع

موقوفٍ. ومتى هِنْتَ [١١٦] أوْ لِنْتَ، فَإنّما يَجْري بَعْدُ عليكَ مَحْبُوب، وإلى قُصُورِكَ مَنْسوبٌ. واللهُ تعالى يُحْسِنُ في طاعَتِهِ عَوْنَكَ، ويَصلُ يَدَكَ، ويوالي صَوْنَكَ بِعِزّتِهِ)) [١١٧].

النص رقم (٢١)

و في المعنى لأبي مروان بن أبي الخصال - في خطة الأحكام -:

((كتابُ مَبَرّةٍ مُجَدّدَةٍ، وَأثْرَةٍ [١١٨] مؤكدة، وحُرْمَةٍ مُتَصِلَةٍ الأسبابِ ممُهّدَة، أمر به أبو فلان - أيده الله - لفلان ابن فلان صانه الله، وأمَدّه بتقواه، قَدّمه به إلى خُطّةِ أحكام المدينة بحاضرة فلانة، حينَ أُخيفتْ سبل السيّارَة، وظهر فيها أهل الفِسْق والدّعارة، وصدُّوا المسلمين عنْ وجوه المعيشة والتِّجارة، لما رجاه من قيامه بالخُطّةِ واضطلاعه، وتَوَقُّده على حسمِ الشّرّ واجتماعه، مع ما بلاهُ قديمًا وحديثًا منْ حميد أثره، وَرَضِيّه على الامتحان من مختبره، وتحققه من حُسْنِ مذاهبه وسِيَره، واعتقد فيه تَغْييرَ المُنْكراتِ، وقَطْعَ المُسكرات، وَكَفّ أهل العدوان والاسْتطالاتِ، ورَدّ الجائرينَ عنْ القصد إلى سواء الطريق. وعهِدَ إليه أنْ يَبُثّ الاحتراس في سُبُلِ المسلمينَ ومسالكهم، ويُذْكيَ العيون في طُرُقِهم ومنَاكِبِهم، إرْصادًا للمحاربينَ، وأخْذًا فوق أيدي المُفْسدينَ، ليَتَصَرّفَ الناسُ في معائشهم آمنين، ويمشوا في مناكبِ الأرضِ مطْمَئنينَ، وجعل عليه إقامة الحُدود، وإنفاذَ الأحكام فيها على واجب حقها المحدود، إلاّ ما كانَ قَتْلاً أوْ رَفْعًا، فإنه مأمورٌ فيه بردّه إليه - أيده الله - يُشاملُهُ بِحُسْنِ نظره، وَيُقَابِلُ كُلّ إجْرَامٍ منَ العِقاب بقدرِهِ، حَذَرًا أنْ تُوقِعَ الحدود في غير مواقِعِها، أوْ يُصابَ بها غيْرُ مواضعِها، فلْيَمْضِ، أبو فلان في غَيْر ما استَثْناهُ عليه من الحدود ظاهرَ القنا[١١٩] والأيـدِ[١٢٠]، ولْيَتَولها غير ضعيف الكَيْدِ، دونَ أنْ يَرْعى في فاسقٍ شفاعة مثيل، وأنْ يَخِلّ من حدود الله بِفتيلٍ، وأجْـرى له منَ الـوَرِق عشرة دنانير، يقبضها مشاهَرَةً من الخراج، ليرفع منْ همّته، ويعفّ بها في طُعْمَتِه، ولْيَسْتَمِرّ على صيانته، ويزيدَ نزاهةً إلى نزاهَتِهِ، ولئلا يجدَ ذُو الظّنّ لسوء ظنّه مَسْلكًا، وَلاَ يجْعَلَ على نفسه للإساءةِ دَرَكًا.

فمَنْ قرأَ هذا الكتابَ أوْ أُقْرِئَهُ منْ جميع العمّال وذوي الأمر، وأتباعِهم وكافّة الناس على طبقاتهم وأصنافهم، فَلْيَقِفْ عندما يَسْمعُهُ ولا يتَعَرّضْ لعقابِ يكفُّ عناهُ ويَرْدعُهُ، والله المُوفّقُ. لا ربّ غيرهُ)) [١٢١].

النص رقم (٢٢)

تجديد ولاية في المعنى - في خطة الأحكام -:

((كِتابُنا أدامَ اللهُ احْتِماءَكَ، وأنارَ لِنُجومِ السّعْد سماءكَ، وجعل إلى طاعَتِه اعْتِزاءكَ وانتماءك. وقدْ وردَ كتابُكَ الأثير، ووَقَفْنا على ما حواه، وعَرَفنا سرّه ونجْواه، وما كانَ لفلانٍ أنْ يعْتَرِضَكَ ويَرْمي غَرضَكَ. وقدْ وجّهْنا إليه ما يَكُفُّ اعتداءهُ، ويصْرفُ عنك إعادته بِمَكْروه وابتداءه، فشمِّرْ عنْ ساعِدِ الاكتفاء، وهُـبّ منْ ذلكَ الإغْفاء، وأرِنا مُنْتَهى غنائكَ، وتَوَخّ بالاجتهادِ مُعارَضة تَقْريبكَ وإدْنائكَ، وشِفّ [١٢٢] الشِّدّة ببَيَانٍ، ولا تَقْطعْ بأثر دونَ عيانٍ، وسُدّ سَمْعكَ عن النمائم، ولا تَغْمِد النّصل قبل شقّ الكمائم، وأَقِلْ عثرات ذوي الهيآت، وادْرَإِ الحدود بالشُّبُهات، وتجاوزْ عنهم غير مُرْتابٍ، وخُذْ فيهم برُخُصِ [١٢٣] السنّة والكتاب، وامزجْ لسواهم الصّابَ بالضّرَب [١٢٤]،

واقرعْ في نَكَالهم النّبْعَ[١٢٥] بالغَرَب [١٢٦]، والله المستعانُ)) [١٢٧].

النص رقم (٢٣)

وفي المعنى - في خطة الأحكام -:

((ما وَقع بتِلكَ الجهة نَعْلَمُهُ، ولمْ يخْفَ عنكَ توَجّعُ السلْطانِ منه وتَأَلُّمُهُ، فَانْهَدْ لتلافي الأمرِ، وإطْفاء ذلكَ الجمرِ، وَاسْعَ في حسْمِ عِلّلِهِ، وَرَمّ خَلَلِهُ، واجْرِ إلى ما يُتَعَرّفُ به حميدُ أثرِكَ، ويُعْرَفُ به حُسْنُ نَظَرِكَ، ولا يَغُرُّكَ عَرَضٌ، ولا يكونُ لكَ في غير تهدينِ ما نشاءُ غَرَضٌ، وإياكَ أنْ يَرْتَفِعَ عليكَ أمْرٌ يُنْعى، أوْ يَبْلُغَ عندكَ ما يُلْقى به ما يُحفَظُ لك ويُرْعى)) [١٢٨].

النص رقم (٢٤)

وكتب في المعنى أبو مروان بن أبي الخصال - في الشفاعة -:

((سيدي الكرم، وملاذي الأَعْصم، دُمْتَ في السعد الأَدْوم، والثّناء الأفخَم، أما أعزّك الله بما ألْتَزِمُهُ منْ برك، أتحامى كثرة التكليف، وأميلُ إلى جانِبِ التّخْفيف، وكُنْتُ اعْتَقَدْتُ بعْدَما أُسْعِفْتُ فيه منْ مَرْغُوبٍ ألاّ أُكلف سواه مَجْدكَ، فأحوزَ رُتْبَةَ المُخْلِفِ عنْدَكَ، لكنّي أرى الحديث شجونًا. وهذا الفتى، موصولُ الرُّقعة، هو في أهل الصيانة معْدودٌ، ولهُ في تخَدُّمِ جوانِحِ الأعْيانِ منابٌ محمودٌ، وعنْده عيالٌ، وفي حاله إقْلالٌ، وهو مطْلوبٌ بعدد يؤدّه وإنْ قلّ، ومُخِلٌّ بوفره فيما أخلّ، فإنْ وسعه الاحتمالُ، ووقعَ لهُ الاحتيالُ، أنْعمت بالهُ ونَعّشْتَ عياله، وكأنّما حُزْتَ الحُسْنى لهُ، ثمّ يُثْبتُ لك في ديوان المُنَعمينَ ذكْرٌ جميل، ولنْ يضيعَ منَ الخيْر فتيلٌ. وأمّا ما أتوَخّاهُ منْ شُكْرِ هذه إليْكَ فما يَتّصِلُ مع الأبدَ، ويَقْصُرُ فيه اليوم مع الغدِ)) [١٢٩].

النص رقم (٢٤)

فمن رسائل أبي مـروان رسالة كتبها إلى بعض الإخوان:

أرى النوى تقتضيني كل مرحلة
لا تستـــقل بها الوخّادة الرُّسُم

كتبتُ - أدام الله عزكم - واللوعةُ مرتكمة، وأيدي النوى مُحْتَكِمَه، وزمامي بكفتها، تَقُودُه، وأتْبَعُ من خَلْفها، على مَشِينَتها أتَقَلّب، وليس لي وراءَها مَذْهَب، ترميني منها بكل حاصب وأغدو وأروح على سُقْم واصِب،

وأرجـــو غَدًا، فإذا مـــا أتى
بكيـــت على أمْسِـــه الذّاهِب

بينا أتوهم مصافحتكم، وأمثل لنفسي مناجاتَكم، وأتخيل مسامحة الأيام بلقائكم، وأن يطلع نَجْمِي في سَمائِكم، فأكرع في مواردكم شارِبًا وأُصْبح -عن الحوادث بكم- جانبًا، إذا بها قد جرت في سجِيّتها من الإقصاء، ودفعَتْ في صدري إلى الصحراء، فَسُقِطَ في يَدَيّ، وتُضافَ الأسى والوجد عليّ، وحَزَكَ بَعْضي بعضي، وأطْبَقَتْ سمائِي عَلى أرضي، وصارت الصغرى، التي كانت العظمى، وجلّت الحادثة بي أن تُنْمَى، ومت غَمًّا؛ أوْ كدت، وإن لم أمت حقيقة فقد مت:

وإن أسلـــم فَلَمْ أسْلـــم ولكن
سلمـــت من الحمام إلى الحمام

وكنتُ أرَى أن قد انتهيت من البلاء، إلى أبَعْد طرف، وغاية لا تتخلف، والآن فقد عادت لِيَ الأطرافُ أوساطا، وأفرطت في التناهي إفراطًا،

إلى الله أشكو فَقْدكم وبُعدكم، فطالما لقِيت مِنها بَعدكم، وأسأله وهو المَلِيّ، وأستوهبه وهو الغَنِيّ، لما يعقب اغْتِباطا، ويطوي من الأرض بيني وبينكم بساطًا، وذلك إليه، وهيّن عليه)) (١٣٠).

النص رقم (٢٥)

وكتب إلى مُغَنّ:

((السرور - أطال الله بقاءَك - مخضوبة بالْمُدام راحتك، موصولة بالدوام راحتك آلتان أَنيسَتان، وحالتان نفيستان، فمتى أُقْرِنَتا فقد اقتَرنَتْ بيُمنى يُسْرى، وعظم سلطانُ السرور واسْتَوْلى وحضرتنا إحداهما وهي ابنة العنقود، وتعذرت الأخرى وهي رنّة العود، فإن رأى أن يضيف إلى اليسرى يُمْنىَ، ويجعل لِلْقِلادة وسطى، حتى يَشْرُفَ حامل المسرة قَدْرا، ويطلعُ هلال الأنس بدرا، فعل مُنْعِمًا)) (١٣١).

النص رقم (٢٦)

ومن أُخرى إلى صديق أراد زيارته ثم انصرف قبل الوصول إليه:

ذهبْتِ من الهجرانِ في كلِّ مَذْهَب

ولم يكُ حَقًّا كلُّ هذا التجنب

ما بال سيدي - راجع به الله، وأجارنا مِنْ عتبه بِعُتْبيَ - قَدْ قبض خَطْوه، وقصر عن الزيارة شَأوَه، بعد أن شارَفَ أُفُقنا، وشام برقنا، ونزل منا بحيث يسمع السِّرار، وتَتَراءَى للناظر النار.

كأنْ لم يكُنْ يوما بِزوُرَةَ صَالِحٌ

وبالقصر ظِلٌّ دائِمٌ وصديقُ

فهلّا ذكر أيام الحمى فعَطَف، ومرّ بربع الأحبة فوقَفَ، ورعى عهد إيْلاَف القاع، وحنّ إلى نسيم الخُزَامى بهذه الأجْراع، ولولا أشغال تَصَدْت، وعَوَادٍ صَدّت لتيمّمْتُ رَوضَه، (وقضيت فرضه)، وهبني فعلت وحدي ذلك، فما أقع من معشر يَتَوَكّفُون لقاه، ويتطلعون سناه)) (١٣٢).

الهوامش

١. ينظر ترجمته في: بغية الملتمس: ٤٩٦/٢، الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٦/٥، و القسم ١/السفر ٥: ٤٧، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٧١٠/١١، خريدة القصر (تح: آذرتاش): ٥٦١/٣ و (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٣/٢/٤، المغرب: ٦٨/٢، الوافي بالوفيات: ١٤١/١٩، الأدب الأندلسي التطور والتجديد: ٦٣١.

٢. ينظر: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي: ١٥٢، الإعلام بمن حل مراكش: ٨٦/٤، أبو عبد الله بن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس: ٢٧.

٣. ينظر: الصلة: ٨٥٤/٣، بغية الملتمس: ١٧٠/١، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي: ١٥٢، خريدة القصر (تح: عمر الدسوقي): ق٤/ج٤٥٩/٢، الإعلام بمن حل مراكش: ٨٦/٤، جذوة الاقتباس: ٤٤٤، بغية الوعاة: ٢٤٣/١، أزهار الرياض: ١٦٧/٥.

٤. ينظر: الذيل والتكملة: مج ٣/السفر

٣٦/٥، الوافي بالوفيات: ١٤١/١٩.

٥. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٥١٥/١٩.

٦. لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

٧. ينظر: تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٧١٠/١١، الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٦/٥، والقسم ١/السفر ٥: ٤٧.

٨. ينظر ترجمته في: الصلة: ٨٥٤/٣، بغية الملتمس: ١٧٠/١، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي: ١٥٢، قلائد العقيان: ٥١٨/٢، المطرب: ١٨٧، الإحاطة: ٢٦٩/٢، مسالك الأبصار: ٦٠/١٣، بغية الوعاة: ٢٤٣/١، جذوة الاقتباس: ٤٤٤، المغرب: ٦٦/٢، الذخيرة: القسم ٣/ج٥٨٩/٦، ٥٩٢، الإعلام بمن حل مراكش: ٨٦/٤، الأعلام: ٩٥/٧، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٢٦٥/٦، معجم المؤلفين: ١٨/١٢، هدية العارفين: ٨٩/٢، تاريخ الادب العربي، عمر فروخ: ٢٦١/٥، معجم تراجم الشعراء الكبير: ٩٦/١، الجامع: ٤٣٢/٣.

٩. الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٨/٥، و القسم ١/السفر ٥: ٤٩.

١٠. ينظر: التكملة لكتاب الصلة: ٧٣/٣-٥٤، الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٠/٥ و القسم ١/السفر ٥: ٣٨، نوادر المخطوطات: ٢٦٣/١.

١١. الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٠/٥، و القسم ١/السفر ٥: ٣٨.

١٢. الذيل والتكملة: مج ١/السفر ٧١٧/١، وينظر: التكملة لكتاب الصلة: ٤٠/١.

١٣. المقتضب من كتاب سِمط الجمان: ٤٢.

١٤. الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٧/٥، والقسم ١/السفر ٥: ٤٧.

١٥. خريدة القصر (تح: آذرتاش): ٥٦١/٣ و (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٣/٢/٤.

١٦. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٧١٠/١١، وينظر: الوافي بالوفيات: ١٤١/١٩.

١٧. جذوة الاقتباس: ٤٤٤.

١٨. الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٧/٥، و القسم ١/السفر ٥: ٤٧، وينظر: بغية الملتمس: ٤٩٦/٢، الوافي بالوفيات: ١٤٢/١٩.

١٩. ينظر: المعجب: ١٢٥.

٢٠. الذيل والتكملة: مج ٣/السفر ٣٧/٥-٣٩، و القسم ١/السفر ٥: ٤٨-٥٠، رسائل ابن أبي الخصال (الملحق): ٦٥٧-٦٦٠.

٢١. هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ثاني أمراء المرابطين تولى الأمر بعد أبيه سنة ٥٠٠هـ، ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ١٢٤/٢٠.

٢٢. هو تاشفين بن علي والآخر ينتان بن علي أبوهما ثاني أمراء المرابطين، وقد خلفه في الأمر ابنه تاشفين سنة ٥٣٧هـ وبهذا يكون ثالث أمراء المرابطين.

٢٣. ينظر: خريدة القصر (تح: آذرتاش): ٥٦١/٣-٥٦٣ و(تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٣/٢/٤-٦٤٦، رسائل ومقامات أندلسية: ٧٤، ١٢٤.

٢٤. ينظر: النص رقم (١) و (٢) و (٣) و (٤) و (١٣).

٢٥. ينظر: النص رقم (٣).

٢٦. ينظر: النص رقم (١٣).

٢٧. ينظر: النص رقم (٢٢).

٢٨. ينظر: النص رقم (٥).

٢٩. ينظر: النص رقم (١٧).

٣٠. ينظر: النص رقم (١٢).

٣١. ينظر: النص رقم (١٣).

٣٢. ينظر: النص رقم (٤).

٣٣. المعجب: ١٢٥، وينظر نظم الجمان: ١٥٤، وفيها ذكر لتكليف الأخوين بالكتابة والرد دون ذكر التفاصيل، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس): ٤١١.

٣٤. ينظر: المغرب: ٦٨/٢.

٣٥. المقتضب من كتاب سِمط الجمان: ٤٢.

٣٦. نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين: ١١٨.

٣٧. ينظر: نصوص تاريخية رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين: ٥٧٢-٥٧٣.

٣٨. نصوص تاريخية رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين: ٥٧٣.

٣٩. ينظر: أزهار الرياض: ١٦٩/٥، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي: ١٥٣، المعجب: ١٢٥، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين: ١١٨-١١٩.

٤٠. تَوَاقَفَ: تَوَاقُفُ الْمُنَاضِلِينَ فِي الكِفَاحِ: وُقُوفُ بَعْضِهِمْ مَع بَعْضٍ.

٤١. مصخ الشيء: انتزعه من جوف شيء آخر، أو اجتذبه.

٤٢. التوثيق والتخريج: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين: ١٣٩-١٤٠.

٤٣. والمعنيون هنا أهل سرقسطة الذين كتبوا إليه. ينظر: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين: ١٣٢. الوثيقة الثانية والتي كانت بعنوان (رسالة كتب بها قاضي سرقسطة والجمهور فيها إلى الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف ابن تاشفين حين حاصرها ابن رذرمير واستغلبها أعادها الله).

٤٤. غبَّ في الزِّيارة أي زار في أوقات متباعدة.

٤٥. عزز فلان أي قواه أو دعمه.

٤٦. الاعتيام: الاختيار.

٤٧. التوثيق والتخريج: الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين: ١٤٢-١٤٣.

٤٨. هو الأمير المجاهد أبو زكريا يحيى ابن علي ابن غانية البربري، وقد ولي بلنسية. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٧٣/٢١، نظم الجمان: ٢٤٥.

٤٩. الجحفل: جيش كثير.

٥٠. لايؤوده: لا يُثقله.

٥١. النَّصفة: العدل وإعطاء الحق.

٥٢. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٣١-١٣٢.

٥٣. المناجح: الصواب.

٥٤. الجوزة: الشربة الواحدة من الماء.

٥٥. المجاشم: الجشم متاعب السفر، تكلَّفها على مشقة.

٥٦. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٣٣-١٣٤.

٥٧. الحباء (بالكسر): ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به، وقيل: الحباء: العطاء بلا منٍّ ولا جزاء، ومنه استقت المحاباة، لسان العرب مادة (حبا).

٥٨. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٣٥-١٣٦.

٥٩. لعله عبد الملك بن محمد بن عيسى بن سليمان الهمذاني من أهل غرناطة، يكنى أبا مروان، توفي بعد سن ٥٣٠ هـ، ينظر ترجمته في: صلة الصلة: ١٦٦.

٦٠. الإغباب: قلَّةُ المراسلة.

٦١. مجدود: محظوظ.

٦٢. المخبرة والخبرة: العلم بالشيء.

٦٣. الإسجاح: حسن العفو، أي ملكت الأمر عليَّ فأحسن العفو.

٦٤. البُسْر: الماء المطري، الحديث العهد بالمطر ساعة ينزل من المزن.

٦٥. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٣٧-١٣٨.

٦٦. قنى الرجل يقني قِنى: رضي.

٦٧. المنعى والمنعاة: خبر الموت.

٦٨. تلمّظ: تذوق، واستعاره للحرب والطعن.

٦٩. سدك به: لزمه وأولع به، ورجل سدك: خفيف اليدين في العمل.

٧٠. الوضم: كل شيء يُوضع عليه اللحم من خشب وغيره يوقى به من الأرض.

٧١. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٢٩-١٣٠.

٧٢. مُرسية: مدينة قديمة بالأندلس، بناها

الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة (٢١٦هـ)، ينظر: صفة جزيرة الأندلس: ١٨١.

٧٣. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٢٧-١٢٨.

٧٤. التوثيق والتخريج: خريدة القصر (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٦/٢/٤، و(تح: آذرتاش): ٥٦٣/٣، وفيها (مكانف) بدل (كانف) و(النظر) بدل (النصر) و(وحظ من البر) بدل (وحظ البر).

٧٥. التوثيق والتخريج: خريدة القصر (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٦/٢/٤، و (تح: آذرتاش): ٥٦٣/٣.

٧٦. التوثيق والتخريج: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس: ٧٠. (هذا النص لم ينسب صراحة لأبي مروان كما يقول محقق هذه الوثائق إلا أنها جاءت ضمن تسلسل رسائل ثلاث أخرى منسوبة له، كما أنها تُشبه أسلوبه في الكتابة لذا رجح أنها له).

٧٧. ينظر: رسائل ومقامات أندلسية: ٧٤، وفيها نص الرسالة التي أرسلها لعبد الملك بن أبي الخصال.

٧٨. الودق: المطر.

٧٩. الوجار: جحر الضبع والأسد والذئب.

٨٠. جاب: قطع وحرق.

٨١. العَصْب: ضرب من برود اليمن، والعصب: السحاب، والغيم الأحمر.

٨٢. ترتكم: يتجَّمع بعضها فوق بعض.

٨٣. الأشراج: جمع (الشَّرج)، وهو مسيلُ الماء من الجرَّة إلى السَّهل.

٨٤. شفيرة: حصن على أربع مراحل من مرسية بالأندلس في شرقيها، ينظر: صفة جزيرة الأندلس: ١١٦.

٨٥. الحرض: ضرب من الشجر (شجر الأشنان)، والحمض ممن النبات: كل نبت مالح أو حامض يقوم على سُوق.

٨٦. المدر: قطع الطين اليابس، وأسها: ماؤها.

٨٧. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١٢٤-١٢٦.

٨٨. لم اجد ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.

٨٩. الشِّمري: المجرّب، الكيِّس في الأمور والحوائج.

٩٠. الحزل: الارتفاع، يقال للسحاب إذا ارتفع نحو بطن السماء: احزأل.

٩١. الحزامة: الحزم.

٩٢. سورة المائدة: الآية ٤١.

٩٣. سورة المجادلة: الآية ٢٢.

٩٤. ينظر نص الحديث في: الجامع الصحيح: ٢٤٨/٤_٢٤٩ (باب كراهية الشفاعة في

الحد).

٩٥. سورة هود: الآية ٤٦.

٩٦. سورة التوبة: الآية ١١٤.

٩٧. نهد بمعنى نهض.

٩٨. وهـران: مدينة قديمة تقع على ساحل البحر المتوسط.

٩٩. التوثيق والتخريج: رسائل ومقامات أندلسية: ١١٩-١٢٣.

١٠٠. التوثيق والتخريج: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس: ٧٤-٧٥.

١٠١. التوثيق والتخريج: سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس: ٧٧-٧٨ (هذا النص لم ينسب صراحة لأبي مروان إلا أنها جاءت ضمن تسلسل رسائل له، كما أنها تشبه أسلوبه في الكتابة لذا رجحنا أنها له، والله أعلم).

١٠٢. الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به.

١٠٣. ملي: من أملى الله له: أمله وطول له.

١٠٤. العدى: الأعداء.

١٠٥. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٢٥/١-٢٢٦، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين): ٩٤-٩٥.

١٠٦. المنَّة: القوة.

١٠٧. جمع قضاة: وهو الحكم.

١٠٨. المُنن: أي القُوَى.

١٠٩. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٢٦/١، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين): ٩٥.

١١٠. أجزال من الجَزل: وهو جودة الرأي.

١١١. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٢٦/١-٢٢٧، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين): ٩٦.

١١٢. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٢٧/١-٢٢٨، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين): ٩٦-٩٧.

١١٣. الموثق والميثاق: العهد.

١١٤. الغَبْن بالتسكين، في البيع، والغبن بالتحريك في الرأي.

١١٥. ()من رام يريم ريما إذا بَرَحَ.

١١٦. من هان يهون هونًا: هان عليه الشيء أي خَفَّ.

١١٧. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ١/ ٢٢٨، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين):٩٧-٩٨.

١١٨. الأثرة والمأثرة: المكرمة.

١١٩. من: قنا يقنو إذا اشتدت حمرته.

١٢٠. من آد يئيد: إذا اشتد وقوي.

١٢١. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٣٨/١-

٢٣٩، رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين): ٩٨-١٠٠.

١٢٢. من شفّ يشفُّ شفًّا، من الأضداد، زاد ونقص.

١٢٣. من: الرُّخصة والرخصة: ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه.

١٢٤. من ضَرِبت الأرض ضربًا: إذا أصابها الجليد فأحرق نباتها، لسان العرب مادة (ضرب).

١٢٥. النبع: شجر، ويستعمل منه القسي.

١٢٦. يقال: اصابه سهم غَرَب إذا كان لا يدري من رماه، وقيل إذا أتاه من حيث لا يدري، وقد يكون ضربا من الشجر واحدته غَرَبة، لسان العرب مادة (غرب).

١٢٧. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٣٩/١-٢٤٠.

١٢٨. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٢٣٨/١-٢٣٩.

١٢٩. التوثيق والتخريج: كنز الكتاب: ٣٥٠/١-٣٥١.

١٣٠. التوثيق والتخريج: خريدة القصر (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٣/٢/٤-٦٤٤، و(تح: آذرتاش): ٥٦١/٣-٥٦٢، وفيها (بكفها) بدل (بكفتها) و (مشيتها أنقلب) بدل (مشينتها أتقلب) و (تطلع نجومي) بدل (يطلع نجمي) و (وخذل) بدل (وخزل) و (اعتباطا) بدل (اغتباطا).

١٣١. التوثيق والتخريج: خريدة القصر (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٤/٢/٤-٦٤٥، و(تح: آذرتاش): ٥٦٢/٣.

١٣٢. التوثيق والتخريج: خريدة القصر (تح: عمر الدسوقي): القسم ٦٤٥/٢/٤-٦٤٦، و(تح: آذرتاش): ٥٦٢/٣-٥٦٣، وفيها (بعتباه) بدل (بعتبى) و (أثلاث) بدل (إيلاف) و (الأجزاع) بدل (الأجراع) و (وأعواد) بدل (وعواد) و (أرضه) بدل (روضه) و ما بين القوسين (وقضيت فرضه) لم ترد في (تحقيق عمر الدسوقي)، و (لقاءه) بدل (لقاه) و (سناءه) بدل (سناه).

المصادر والمراجع

- أبو عبد الله بن أبي الخصال رئيس كُتَّاب الأندلس، د. فوزي عيسى، مطابع جريدة السفير، القاهرة، ١٩٨٩.
- الأدب الأندلسي التطور والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢.

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش، راجعه: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٨.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ج ٥)، تح: سعيد أحمد عرابي و د. عبد السلام الهراس، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات، مطبعة فضالة، ١٩٨٠.
- بغية الوُعاة في طبقات اللغوين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٩٦٤.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي (ت: ٥٩٩هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٩.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: د. السيد يعقوب بكر، راجعه: د. رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣.
- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١.
- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٧.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
- التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله بن الأبار (ت: ٦٥٨هـ)، تح: د. عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م مع أربع وثائق جديدة، د. حسين مؤنس، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد ١١، ج ٢، ١٩٤٩.
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي وقصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠ ه.
- الجامع، جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم، محمد عبد القادر بامطرف، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، دار

الرشيد للنشر، ١٩٨١.

- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت: ١٠٢٥ هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء-المملكة المغربية، دار ابن حزم-بيروت، ط١، ٢٠١٤.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الأندلس)، للعماد الأصفهاني الكاتب، تح: عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٤.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب والأندلس)، للعماد الأصفهاني الكاتب، تح: آذرتاش آذرنوش وآخرين، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧١.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: ٧٠٣هـ)، تح: د. إحسان عباس ود. محمد بن شريفة ود. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢.
- رسائل ابن أبي الخصال، الكاتب الفقيه أبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، تح: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨.
- رسائل أندلسية جديدة (عصر المرابطين)، قراءة وتعليق: الأستاذة حياة قارة، مراجعة: د. محمد مفتاح، مركز الدراسات والبحوث الأندلسية-شفشاون، وزارة الشؤون الثقافية-المملكة المغربية، ١٩٩٤.
- رسائل ومقامات أندلسية، تح: د. فوزي سعد عيسى، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، (د. ت).
- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، د. حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد ٢، العدد ١-٢، ١٩٥٤.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.
- صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب

الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، جمعه سنة (٨٦٦هـ)، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: إ. ليفي بروفينسال، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.

- الصلة، لابن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن ابراهيم الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الفتح ابن خاقان (ت: ٥٢٩هـ)، تحقيق: د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٩.
- كنز الكتاب ومنتخب الآداب، لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علي بن احمد بن علي الفهري الشريشي المعروف بالبونسي (ت: ٦٥١ هـ) (السفر الأول من النسخة الكبرى)، تحقيق ودراسة: حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعرف، القاهرة، طبعة جديدة ومنقحة، (د.ت).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ)، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية أبي الخطاب عمر بن حسن (ت: ٦٣٣هـ)، تح: إبراهيم الأبياري وآخرين، دار العلم للجميع، القاهرة، ١٩٥٥، تح: د. بشار عواد معروف ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٦.
- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد (ت: ٥٩٤ هـ)، لابن الأبار، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط١، ١٩٨٩.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي (ت: ٦٤٧ هـ)، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- معجم المؤلفين، تراجم مُصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧.
- معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى

مراد، دار الحدث، القاهرة، ٢٠٠٦.

- المُغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨.
- المقتضب من كتاب سِمط الجمان و سَقط الأذهان، لأبي عمرو عثمان بن علي ابن عثمان المعروف بابن الإمام الشلبي الإستجي (توفي بعد سنة ٥٦٠هـ)، قرأته وعلقت عليه: حياة قارة، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.
- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين (أي الفترة ١١٢٦/٥٢٠ إلى ١١٤٥/٥٤٠)، د. حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج ١، ع ٣، ١٩٥٥.
- نصوص تاريخية رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين، عبد الله كنون، مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٣٥، ج ٤، ١٩٦٠.
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، لابن القطان المراكشي أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك، درسه وقدم له وحققه: د. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- نوادر المخطوطات، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعها البهية-استانبول سنة ١٩٥٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، تح: أحمد الأرنأووط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.
- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، د. محمود علي مكي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع الثامن، ١٩٥٩-١٩٦٠.

عبدالملك
بن أبي
الخصال
الغافقي
الأندلسي
(ت:
٥٣٩هـ)

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

لأبي عبد اللّه محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران (ت: ١٢٢٧هـ)

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

تقديم وتحقيق

د: مراد زكراوي

جامعة ابن طفيل (القنيطرة)

المغرب

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

المقدمة:

بسم الله والحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

وبعد؛

يعد الإمام العالم العلامة المحقق المدقق أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران من علماء فاس المتقنين والمحققين لعلوم الشريعة، وعلوم الآلة، ذلك أن مترجمنا نشأ في أسرة علمية، اشتهرت بالعلم والصّلاح والوجاهة والنباهة، فبرع في مختلف الفنون، فتجده في التفسير، والحديث، والفقه، والمنطق، والتّصوف، والنّحو، والبلاغة...وغيرها، وقد ألف في كل هذه العلوم، كما عُرف رحمه الله بالاجتهاد لا بالتّقليد، ومُؤلفاتُه كلّها شاهدة على ذلك، والتي قد بلغت أو فاقت الثلاثين مؤلفًا، ما بين رسائل، وتقاييد، وردود، واعتراضات، وأجوبة في شتى العلوم.

ورغم ما عُرف به مؤلفنا رحمه الله من كثرة التآليف، والبراعة في التّصنيف فيها، إلا أنّه لم تُعط له المكانة اللائقة به، فعلى حسب اطلاعي لا زالت جل كتبه مخطوطة حبيسة الرفوف، ومرتعًا لتسلُّط الأرضة والرطوبة، تنتظر من يزيح عنها غبار السِّنين، ويميط عنها أيادي وعوادي الزمان، والملاحظ أنّ مؤلفات الطيب بن كيران لم يحقق منها إلا النزر القليل، وأول ما حقق منها على حسب اطلاعي:"**قسم المغازي**"من شرح ألفية العراقي في السِّيرة، وقد شرحها الطيب بن كيران شرحًا مستفيضًا، في أسفار ضخمة، وقد حَقّق هذا الجزء: محمد جبور تحت إشراف: الأستاذ الفاضل الدكتور: محمد يسف. في رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس بالرباط ما بين سنة: ١٩٩٤/١٩٩٥م.

كما تم تحقيق بعض التقاييد في تفسير بعض الآيات القرآنية، وهو ما أقدم عليه الأستاذ: الحسن الوزاني، حيث جمعها في كتاب سمّاه:"**أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز**"دراسة وتحقيق، بلغت أحد عشر تقيدًا، وقد طبعته الرابطة المحمدية للعلماء. كما وقفت على كتاب آخر محقق وهو:"**رسالة نحوية في"لو"الشرطية**"، حققتها، الأستاذة: بوصلاح فايزة، وطبعتها دار الكتب العلمية.

كما وقفت على تحقيق آخر ويتعلق الأمر بـ: "الرؤية الصوفية عند الطيب بن كيران مع تحقيق كتابه المسمى:"**عقد نفائس الآل في تحريك الهمم العوال إلى السمو إلى مراتب الكمال**"دراسة وتحقيق: عبد الوهاب الفلالي، وقد طبعته دار الكتب العلمية، ووقفت على عمل حقق مؤخرًا وهو:"**شرح الطيب ابن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر**"، حققه: عماد الجليلاتي، وطبعته دار الكتب العلمية سنة: ٢٠١٩م، وبعض المؤلفات الأخرى التي وقفت عليها وليست تحقيقًا، وإنما تم الاكتفاء بإخراج النّص لا غير.

كما قمت بتحقيق رسالة له تتعلق بحديث:"**لا يدخل الجنة ولد الزنى**"، وقد نشرت بمجلة المدونة بالهند. ورسالة أخرى في:"**تسهيل الهمز**"نشرت في مجلة جمعة الماجد. ورسالة أخرى في:"**كلمة"قال"بين رجال سند الحديث**"نشرت بمجلة لسان المحدث التي تصدرها الرابطة المحمدية

للعلماء بالمغرب.

وأنا أكتب هذه السُطور على مؤلفات عالمنا، وصلني من أحد الإخوة الباحثين تحقيق لرسالة الطيب ابن كيران حول:"**تقييد في القوى المدركة**"، دراسة وتحقيق الزبير درغازي، ومصطفى أزرياح، بمراجعة: خالد زهري، الطبعة الأولى: ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، وطبع بمكتبة ووراقة التواصل.

هذه إذًا هي الكتب التي قيض الله تعالى لها الخروج إلى حيز الوجود، ورأت النُور، وهي في الحقيقة تبقى أعمَالاً قليلة أمام ما خلفه لنا العلامة الطيب بن كيران من مؤلفات تشهد له بعلو كعبه، وبالكفاءة العلمية، وبالتّدقيق والتّحقيق، بل وبالاجتهاد وعدم التّقليد، كيف لا وهو قد جمع بين علمي الأصُول والفروع، والمفردات والجموع، وكان يحضُر مجلسه الطلبة، والعلماء، والسُلطان.

وإتمامًا لما بدأته من العَزم على تحقيق مؤلفات العلامة الطيب ابن كيران، أحببت أن أُخرجَ نصًا آخر مخطوطًا من نصوص عالمنا، ويتعلق الأمر هذه المرة برسالة:"في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟".

وأصل هذه الرسالة كما عبّر عنها المؤلف رحمه الله تعالى في المقدمة؛ أنّ السُلطان المولى سُليمان أمرَه أن يحرر له الكلام حول مسألة وقع فيها النِّزاع، وهي: أنّ من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنّة وهم أصحاب اليمين، هل يلحقهم في الجنّة تأسُف وتحسُر على تقصيرهم في الدنيا حتى فاتتهم منازل المقربين؟، وهل يحزنون على ما فرطوا من جنب الله حتى تقاصرت بهم أعمالهم عن مقامات السّابقين؟. وهل يزور المفضُول الفاضل حتى يطّلع على ما خُصّ به عنه من مزيد القُرب والتّمكين؟، أو الجنّة تُصَان عن أن يشُوب صفوَها كَدَرٌ، لأنها دار النّعيم الصّرف، والحُبور المحض الذي لا يخَالطُه غيره.

فأجاب عنها رحمه الله بجواب كافٍ حرر فيه الكلام عن المسألة المتنازع حولها؛ فنقل كلام العلماء وما لهم من اتفاق أو اختلاف أو انتقاد وتحرير، معتمدًا في ذلك على قانون المحدثين والأصوليين من القول والرّد والتّوفيق بين مختلف نصُوصها، وممثلاً لها بشواهد من القرآن الكريم والسُنة النّبوية، ومُستدلاً على ذلك بأقوال أهل العلم في المسألة، ومُعتمدًا على كتب الأئمة الأعلام في مختلف الفنون؛ كالصّحيحين وشروحهما مثل:"فتح الباري"، و"موطأ"الإمام مالك، والكتب الستة، وغيرها. ونجد أيضًا كتب الأصول:"كجمع الجوامع"للمحلي، وكتب التّفسير:"كالدُر المنثور"، وكتب اللغة:"كالتّسهيل"لابن مالك، وكتب الفقه:"كمختصر الشيخ خليل"، وغيرها.

وفي الأخير ختم الطيب ابن كيران رسالته بما أشار إليه الشيخ زروق في النّصيحة؛ من أن الأمور الأخروية يقع فيها التّكلف في طلب كيفياتها، وقال: إنّ العبد ينبغي له أن يَكلَ حقائق الأمُور إلى الله تعالى، وأن يعتقد أنّ الأمر على ما هو عليه عنده من غير غُلُو وإفرَاط.

وخلص إلى أن الجمع بين الأخبار المتعارضة في أمور الآخرة، باب من أبواب العُلوم الشّرعية،

وتحتاج إلى العمل بالأدلّة بعد تعيين الحكم واستخراجه، وإعمال قواعد النّظر فيها كسائر الأبواب، بخلاف أمور الآخرة فهي ليست مقصُودة للعمل بها، بل هي أمُورٌ اعتقادية مُفيدَة في العمل بالبعث عليه والتّرغيب والتّرهيب.

وعليه، وبعد أن تبيّن لي جودَة هذه الرِّسالة في بابها، وفائدتها للمتخصصين، وفي إطار عنايتي، واهتمامي، وحرصي على إخراج مؤلفات عالمنا المخطوطة، والتي تنتظر أياد حانية تخرجها من رفوف الإهمال والنِّسيان، إلى أيادي الاهتمام والعرفان.

فقد تيسر لي في تحقيق هذه الرسالة الوقوف على ثلاث نسخ خطية، منها: نسخة توجد بالمكتبة الملكية بالرباط، وأخرى بخزانة المسجد الأعظم بوزان، ونسخة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط.

بعدها قمت بنسخ المخطُوط مُتّبعًا في ذلك المتعارف عليه في الإملاء الحديث، ثم قابلت بين النُّسخ الخطيّة، وأثبت أهم الفُروق في الهامش، ثم علّقت بما سمح به المقام من توثيق أو إحالة أو توضيح، كما قدّمت لهذا العمل بمبحثين، الأول في التّعريف بالمؤلف، والثاني في التّعريف بمنهجه، وبيان مصادره، وتوثيق الرِّسالة، ووصف النُّسخ الخطية.

ولا يسعني في الأخير إلا أن أحمد الله تعالى أن يسر لي، وأعانني على إخراج هذا العمل، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من زلل وخطأ فمني، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السّبيل، والحمد لله رب العالمين.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

أولا: اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران، الفاسي دارًا، ومنشأ ومزارًا[١].

ثانيا: ولادته:

ولد العلامة الطيِّب بن كيران بفاس سنة: ١١٧٢ هـ[٢]، من أسرة بن كيران المشهورة بفاس، وكانت هذه الأسرة تقطن في عدوتي الأندلس والقرويين، ومنها التجار والقضاة والعلماء، وهي فروع عديدة، انتقل كثير من أفرادها منذ القديم إلى مدن شتى.

ثالثا: طلبه للعلم:

نشأ المؤلِّف رحمه الله وسط أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح والوجاهة والنباهة، وقد ظهرت على مؤلفنا بوادر النبوغ والذكاء والاجتهاد منذ صغره، وكان يتميز بالحفظ، وبالذاكرة القوية، حتى قيل عنه:"وكان لسلاسة عبارته، وفصاحة لسانه، ينتفع به كل أحد حتى النساء والولدان، ولكثرة حفظه، وبراعته ومشاركته، لا يستغني عنه أحد حتى العلماء والسلطان"[٣].

من شيوخه رحمه الله الذين درس على أيديهم:

- أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس في وقته (ت:١١٨٢هـ)[٤].
- أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف بن العربي الفاسي
- الفهري خاتمة المحققين الأعلام (ت: ١١٨٨هـ)[٥]
- أبو الحسن زين العابدين المدعو زيان بن هاشم العراقي الحسيني (ت:١١٩٤ هـ)[٦]
- أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود البناني الإمام الهمام العلامة النحرير (ت:١١٩٤هـ)[٧]
- أبو محمد عبد الكريم بن علي الزهني اليزغي (ت: ١١٩٩هـ)[٨]
- أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن علي بن سودة (ت: ١٢٠٩هـ)[٩]

---

(١) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٢) المرجع السابق: (٥/٣).

(٣) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٤) المرجع السابق: (٣/٣).

(٥) سلوة الأنفاس: (٥/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (٣٧/١).

(٦) سلوة الأنفاس: (٥/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (٤٨/١).

(٧) سلوة الأنفاس: (٥/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (٤٨/١).

(٨) سلوة الأنفاس: (٥/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (٥٨/١).

(٩) سلوة الأنفاس: (٥/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (٧٨/١).

- أبو محمد الفاسي عبد القادر بن أحمد بن العربي بن شقرون (ت:١٢١٩هـ)[١]
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن الناصر الدرعي، خاتمة الحفاظ (١٢٣٩ هـ)[٢].

فهؤلاء هم أشهر شيوخ مؤلِّفنا رحمه الله، الذين درس على أيديهم، واستفاد وأخذ من معينهم، رحمهم الله تعالى أجمعين.

رابعا: العلوم التي برع فيها:

تفرد مؤلِّفنا رحمه الله بعلم الأصول والفروع، والمفردات والجموع، يعرف أكثر الفنون على نهج الاجتهاد، وهو إن لم يجتهد بالفعل، فقد كاد، أما العلل فلا يقلد فيها ولا يرى النظر الإجمالي يكفيها.

وبالجملة فقد كان حافظًا لا يجارى في العلوم كلها، تحسبه في كل الفنون أحد رؤسائها، وعلمه لا يدرك بالاجتهاد، وإنما يكون بخرق العادة من رب العباد.

بالعلم قد قاد العلـوم فمـا لها ... من مهرب عن ربقة الإذعان

إن مقفـــلات قد تعسـر حلها ... فاقصـــــده مفتاحا تفز ببيان

أو مظلمات دونها يقف الحجا ... فاقصده مصباحًا، تفز بعيان[٣]

فقد تفرد رحمه الله بالجمع بين علمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول، وله في العربية باع مديد ونظم سديد، ومن الفنون التي برع وأجاد فيها: التفسير والمنطق والتصوف، والنحو، والبلاغة، وعرف في هذه الفنون بالاجتهاد لا بالتقليد.

خامسا: تقلده للمناصب:

على حسب اطلاعي تبين أن المؤلف رحمه الله اشتغل بتدريس العلوم، ولم يتولّ أيّ منصب من المناصب، فالعلماء رحمهم الله كانوا يحرصون كل الحرص على أخذ العلوم، ومن تم إيصالها إلى طلبة العلم، ومؤلِّفنا لم يشذّ عن هذه القاعدة فقد اشتغل بالتدريس في جامع القرويين بفاس؛ فدرس التفسير، والمنطق، والتصوف، والنحو، والبلاغة...، حتى قيل:"إنه كان ينتفع به كل أحد حتى النساء والولدان ... والعلماء والسلطان"[٤].

سادسا: وفاته:

توفي مؤلفنا رحمه الله صبيحة يوم الجمعة السادس عشر من محرم الحرام فاتح سنة: ١٢٢٧ هـ،

---

(١) سلوة الأنفاس: (٥/٣).

(٢) إتحاف المطالع لابن سودة: (١٣٣/١).

(٣) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٤) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

وكانت جنازته مشهودة حضرها خلق كثير[١]، وقيل:"بأنه دفن بمطرح الأجلة بالروضة وسطها"[٢]، وقيل: "دفن بروضة العلماء بالقباب قرب ضريح الشيخ الوزير الغساني، وهو من أشياخ المولى سليمان رحمه الله"[٣].

سابعا: بعض مؤلفاته:

ألف الطيب بن عبد المجيد بن كيران في كل فنون العلوم، فقد كان حافظًا لا يجاريه أحد في كل العلوم، فهو رئيس كل الفنون، وعلمه لا يدرك بالاجتهاد[٤]. بل إن له اطلاعًا واسعًا ومعرفة جيدة وإتقانًا وقلمًا سيالاً، وفهمًا غزيرًا، وإدراكًا ثاقبًا[٥].

فألف تآليف عديدة مفيدة أخذت شهرتها بين باقي المؤلفات لتحقيقها وحسن أسلوبها، وفي مختلف الفنون والعلوم، هي:

- **مؤلفاته في تفسير القرآن:**

- تفسير سورة النّساء، من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[٦]، إلى سورة غافر[٧].

- تفسير سورة الفاتحة[٨].

- **مؤلفاته في القراءات:**

- تقييد في حقيقة الهمزة المسهلة وحقيقة التسهيل[٩].

- تقييد في توجيه رفع اسم الجلالة، ونصب العلماء في قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) سلوة الأنفاس: (٥/٣).

(٢) نفس المرجع السابق: (٥/٣).

(٣) موسوعة أعلام المغرب، نشر المثاني: (٢٤٨٧/٧).

(٤) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٥) موسوعة أعلام المغرب، نشر المثاني: (٢٤٨٧/٧).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨

(٧) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٨) حققه الحسن الوزاني في كتابه المسمى: "أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز "للعلامة أبي عبد الله الطيب بن عبد المجيد بن كيران، دراسة وتحقيق. وهو ضمن سلسلة نوادر التفاسير، طبعته الرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية. وتفسير الفاتحة هو التقييد الثاني في الكتاب، وقد عمل المحقق على جمع كل التقاييد في التفسير للعلامة الطيب بن كيران وحققها، وقد بلغت أحد عشر تقييدًا.

(٩) مخطوط بخزانة المسجد الأعظم بوزان، برقم: ٤٦٢. وأعمل على تحقيقه وسيخرج قريبًا بإذن الله.

وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾[1]/[2].

- **مؤلفاته في الحديث:**

- شرحه للعشرة الأخيرة من الأربعين حديثًا للإمام النووي[3].

- تقييد على جواز حذف كلمة:"قال"بين رجال سند الحديث لفظًا كما تحذف اختصارًا[4].

- تقييد في قول النبي ﷺ:"لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولد ولده"[5].

- تقييد على حديث:"من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال"[6].

- **مؤلفاته في الفقه:**

- تقييد في حكم السُترة نظمًا ونثرًا[7].

- سؤال وجوابان على مسائل فقهية.

- **مؤلفاته في السيرة النَّبوية:**

- شرح ألفية العراقي في السّيرة[8].

- **مؤلفاته في العقيدة والتصوف:**

- شرح توحيد ابن عاشر بإشارة من المولى سليمان[9].

- شرحه لتوحيد الرّسالة[10]؛ لم يتم.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) وهو التقييد التاسع من كتاب:"أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق الحسن الوزاني.

(٣) وقد حقق هذا المخطوط بدار الحديث الحسنية تحت إشراف الدكتور: ادريس بنضاوية، إعداد الطالبة الباحثة: نجلاء التجكاني سنة: ٢٠٠٥. بالرباط

(٤) مخطوط بخزانة المسجد الأعظم بوزان، برقم: ٤٦٢، وبمؤسسة علال الفاسي بالرباط برقم: ٣٨٩ع. وقد قمت بتحقيق هذا التقييد، ونشر بمجلة لسان المحدث التبعة للرابطة المحمدية للعلماء.

(٥) وقد قمت بتحقيق هذا التقييد، ونشر بمجلة المدونة بالهند.

(٦) مخطوط بخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط برقم : ٣٨٩ع.

(٧) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٨) نسخه كثيرة منها: مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ١٣٧٩م، و٢٠٦٤د، و٢٤٧٨د، وبالخزانة الصبيحية بسلا برقم: ٥٥/١-٢، ونسخة بالقرويين برقم: ١٤٨٦.

(٩) مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ٨١ك، ونسخة بخزانة بن يوسف برقم: ٣٩٠.

(١٠) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

- تأليف سمّاه:"عقد نفائس اللآلي في تحريك الهمم العوالي"[١].

- شرح على الصّلاة المشيشية اختصره من شرح ابن زكري[٢].

- أرجوزة في الشُّرفاء القادريين[٣].

- شرحه نصيحة الشّيخ أحمد الهلالي[٤].

- شرحه لرسالة مولانا سليمان في الكسب[٥].

- تقييد في تزاور أهل الجنّة وتحسرهم[٦]، وهو هذا التقييد موضوع التقديم والتحقيق.

- **مؤلفاته في اللغة:**

- تقييد في الاستعارة وأقسامها نثرًا، وآخر نظمًا[٧].

- حاشية على محاذي الألفية لابن هشام[٨]، لم يؤلف مثله في كتب النحو؛ لم يتم، أوصلها إلى الإعراب.

- تقييد في حقائق تحتاج إلى معرفة الفرق بينها لاشتباه بعضها ببعض، وهي: النكرة واسم الجنس، والمعرف بلام الحقيقة، ولام العهد الذهني، ولام الاستغراق، ولام العهد الخارجي[٩].

- كراسة في أوجه"لو"وما يتعلق بها[١٠].

- تقييد على قول صاحب التلخيص:"فإن وإذا للشرط في الاستقلال"[١١].

- تقييد على قول التلخيص: الجامع الخيالي[١٢].

---

(١) وقد حققه الأستاذ: مصطفى الحكيم تحت عنوان: "الرؤية الصوفية عند الشيخ الطيب بن كيران معالم وحقائق وتحقيق كتابه عقد نفائس الآل في تحريك الهمم العوال إلى السمو إلى مراتب الكمال"تقديم الدكتور: عبد الوهاب الفلالي، دراسة وتحقيق: مصطفى الحكيم. وقد طبع في دار الكتب العلمية.

(٢) مخطوط بخزانة المسجد الأعظم بوزان برقم: ٤٦٢، وقد طبع بالإمارات العربية المتحدة.

(٣) موسوعة أعلام المغرب: (٢٤٨٧/٧).

(٤) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٥) مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ١٨٣٨د، وبرقم: ١٥٣ج. وهو في طور الإنجاز.

(٦) مخطوط بخزانة المسجد الأعظم بوزان، برقم: ٤٦٢.

(٧) مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ١٥/٧٥د، ونسخة بالخزانة الحسنية برقم: ٩٨٤٨،

(٨) مخطوط بخزانة المسجد الأعظم بوزان، برقم: ٦٢٠.

(٩) مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ٢٦٨٠د، ونسخة بالخزانة الحسنية برقم: ١٢٢٨٦.

(١٠) وقد حققته بوصلاح فايزة، تحت عنوان: "رسالة نحوية في لو الشرطية"، و نشرته دار الكتب العلمية.

(١١) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(١٢) المرجع السابق نفسه.

- مؤلفاته المتنوعة:

- شرح الحكم العطائية؛ ألفه بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله[١].

- شرح الخريدة للشيخ حمدون ابن الحاج في المنطق[٢].

- تقييد على قول الغزالي:"ليس في الإمكان أبدع مما كان"[٣].

- شرحه لكتابي العلم والايمان من الإحياء للإمام الغزالي[٤].

وللمؤلف رحمه الله تعالى تآليف أخرى، ما بين أجوبة وتقاييد ورسائل في مختلف العلوم والفنون، منها ما هو مفقود، ومنها ما هو منتشر وموزع على الخزانات العامة، والمكتبات الخاصة.

ثامنا: بعض تلاميذه:

درس على يد المؤلف رحمه الله جمٌّ غفير من النّاس، حيثُ إنّه كان يُدرس التّفسير بالقرويين، ويستحضر أقوال المفسرين جميعًا ويقَابل بينها، ويناقشُها ويرُدُّ الزائف منها بالدلائل القوية والحُجج البيّنة، وكان يحضر مجلسه أعيان الطلبة والسلطان فمن دونه من رجال الدولة، وبالجُملة فهو من أفذاذ العلماء الذين لا يجود الدهر بواحد منهم إلا في الفينة النّادرة[٥].

وقد قال صاحب السلوة: ""وكان لسلاسة عبارته، وفصاحة لسانه، ينتفع به كل أحد حتى النّساء والولدان، ولكثرة حفظه، وبراعته ومشاركته، لا يستغني عنه أحد حتى العلماء والسُلطان"[٦].

وعليه ولما سبق؛ فإن مؤلفنا رحمه الله تتلمذ على يديه خلق كثير، وتخرج عليه عدد كبير من العلماء والفقهاء، نذكر منهم:

- حمدون ابن الحاج (ت: ١٢٣٢هـ)[٧].

- وأبو عبد الله ابن منصور (ت: ١٢٣٤هـ)[٨].

- السلطان المولى سليمان (ت: ١٢٣٨هـ)[٩].

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ٢١١٣د، و٢٥٢٤د، و٢٥٣٤ك، ونسخة أخرى بجامع القرويين برقم: ١٦٩٦.

(٢) مخطوط بالمكتبة الوطنية برقم: ١٩٠، ونسخة بالخزانة الحسنية برقم: ٢٤٢١، ونسخة بمؤسسة علال الفاسي برقم: ٧٠٥.

(٣) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٤) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٥) النبوغ المغربي: (٢٩٤/١).

(٦) سلوة الأنفاس: (٣/٣).

(٧) سلوة الأنفاس: (٥/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (١٢٠/١).

(٨) إتحاف المطالع لابن سودة: (١٢٣/١).

(٩) إتحاف المطالع لابن سودة: (١٣١/١).

- وأبو العباس ابن عجيبة (ت: ١٢٤٢هـ)[١].
- ومحمد التهامي ابن الحاج محمد البوري (ت: ١٢٤٣هـ)[٢].
- ومحمد بن الحسن أقصبي (ت: ١٢٥٠هـ)[٣].
- وعبد القادر بن أحمد الكوهن (ت: ١٢٥٤هـ)[٤].
- ومحمد المدني الغرفي (ت: ١٢٦٧هـ)[٥].
- وولده أبو بكر بن كيران (ت: ١٢٦٧هـ)[٦].
- والقاضي مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي (ت: ١٢٧٢هـ)[٧].
- ومحمد بن عبد الرحمن الفلالي (ت: ١٢٧٥هـ)[٨].

وغيرهم كثير يطول المقام بذكرهم، وهذا يدل دلالة واضحة على موسوعية مؤلفنا رحمه الله، وما امتاز به من تضلع في العلوم العقلية والنّقلية، جعلت أهل زمانه يضربُون أكباد الإبل للجلوس في مجلسه، والتتلمذ على يديه.

(١) إتحاف المطالع لابن سودة: (١٠٤/١).
(٢) سلوة الأنفاس: (٩/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (١٤٢/١).
(٣) سلوة الأنفاس: (١٠/٣). إتحاف المطالع لابن سودة: (١٥٤/١).
(٤) شجرة النور الزكية: (٥٦٦/١-٦٦٧).
(٥) إتحاف المطالع لابن سودة: (١٩٦/١).
(٦) إتحاف المطالع لابن سودة: (١٩٥/١).
(٧) إتحاف المطالع لابن سودة: (٢٠٨/١).
(٨) شجرة النور الزكية: (٥٧٣/١).

المبحث الثاني: التعريف بالرسالة المحققة

أولا: نسبة الرسالة للمؤلف

اسم هذه الرسالة هي: رسالة:"في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"، وقد ثبتت نسبتها إلى المؤلف رحمه الله من خلال ما يلي:

أ- ورود اسم هذه الرِّسالة عند كل من ترجم للمؤلف، وقد ورد هذا العنوان بصيغ مختلفة لم تشر إلا إلى مسألة واحدة من المسائل التي سأل عنها السُّلطان مولى سليمان، وحيث إن الإشارة إلى كل تلك المسائل في العناوين غير واردة، وقد اخترت الصيغة أعلاه، مع الإشارة إلى الموضوع الذي يجمعها وهو:"أصحاب اليمين في الجنّة".

ب- ثبوت اسم الرِّسالة منسُوبًا إلى الطيب بن عبد المجيد بن كيران في جميع المخطوطات التي اعتمدتهما في التّحقيق.

ج- موافقة الرِّسالة لمنهج المؤلف رحمه الله، الذي اشتهر بالرّسائل والتقييدات والرُّدُود والاعتراض، وتفسير بعض الآيات، فأغلب مؤلفاته رحمه الله انصبّت في هذا المجال، وهذه الرِّسالة تدخل ضمن هذا المنهج.

د- تأليفها بأمر من السُّلطان المولى سليمان، وهو عادة الشيخ الطيِّب رحمه الله في كثير من الأجوبة والتقاييد، التي ألفها بأمر من السُّلطان المغربي المولى سليمان.

ثانيا: منهج المؤلف في الرسالة

سلك المؤلف رحمه الله في رسالته منهجًا يمكن عرضه في النقاط الآتية:

١- **استدلاله بالقرآن الكريم والحديث**، مثاله:"... كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾[سورة النساء آية ٩٢]. وقوله: ﴿فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٣]. أي: بغير المؤمنة، وغير المقبوضة، لا تكفي". والحديث مثاله: "أخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن شُفَيّ بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال:"من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله"".

٢- **التعقيب**: في قوله:"... والأدلة التي فيها سلامة أهل الجنّة من كل بأس وسوء، لا تنافي الحقيقة هنا، كما علمت أن هذا التّحسر لا يستمر جمعًا بين الأدلة. وقد حمله الحكيم الترمذي وغيره على أن التّحسر في الموقف...".

٣- **تفسير بعض المصطلحات**:"...الغاير بالتحتية المهموزة. أي: الداخل، وروي العابر: بالعين المهملة، من العبور فمع رؤيتهم الغرف بتلك المثابة...".

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

٤- **توضيح المعنى:**"...ولا نقول أن تبدل اللباس، إنما هو في مرئى عين صاحبه فقط، لانتفاء غلط الحس واللبس فيها، كما مر. ولأن باب الفضل واسع.

نعم يمكن أن يبقى للفاضل اختصاصات أخر، يرزق هذا المفضول الرضى بحاله في فقدها، وقد يساوي الأفضل عملاً من شاء الله أن يسويه به ممن دونه في العمل في الدرجة تفضلاً على المفضول، فإن ما أعطي لهذا بعمل يجوز أن يعطى للآخر مجانًا".

٥- **الدقة في النقل والعزو:** مثل قوله:"...ونقل الثعالبي في"**العلوم الفاخرة**"عن شاكر ابن مسلم ما حاصله: أن أهل الجنة يذكرون إخوانهم في الدنيا، ويشتاقون إلى لقياهم، فيتزاورون على أحب مراكبهم، فيتلاقون ويسألون عن أحوالهم...".

٦- **الإشارة إلى بعض الكتب بعينها**: مثل قوله:"...وفي"**الجامع الكبير**"عن علي:"أن الرجل من أهل الجنة يشتاق...". ومثل:"... أورده في"**البدور السافرة**"، في باب التحسر في الجنّة على ترك الذكر في الدنيا". ومثل:"... كما نقله المناوي في"**شرح الجامع**"...".

٧- **ذكره لأقوال أشهر العلماء في الفقه واللغة و التفسير و الحديث**، ومثاله:"... قال **الحافظ ابن حجر** على حديث:"من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها، حرمها في الآخرة". قال الخطابي والبغوي: هو كناية عن عدم دخول الجنة، لأن الخمر من شراب أهلها، وكذا قال **ابن عبد البر...". ومثال:"...** قال **خليل**: أو استحل كالشرب". ومثل:"... ثم قال **ابن عبد البر**: ويحمل أن محل الحديث عند أهل السنة: أنه لا يدخلها ويشرب فيها الخمر، إلا إن عفى الله عنه، إذ هو في المشيئة...". ومثل:"... فقال لهم النبي ﷺ: أن الأعلين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها، فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويثنون عليه. هـ. ذكره في"**الدر المنثور**"".

٨- **معارضة الأقوال بعضها ببعض والموازنة بينها مع إعطاء الحكم**: ومثال ذلك:"... ففيه وصفه بالفزع في الجنّة، وأنه يجد في نفسه من تخصيصه عليه حتى يسأل عن سبب ذلك، وأنه يصرح له بأفضليته عليه في العمل، وكل ذلك تألم له النفس.

وفيه دليل لما أشرنا إليه؛ من أن ذلك لا يدوم، لقوله:"ثم يجعل في قلبه الرضى حتى يرضى". فهو بعد أن يرزق الرضى بحاله يعلم فوات خصّ اختص به من فوقه، ولكن لا تتشوف نفسه إليه بعد أن يرزق الرضى، ولا يشتهيه، فلا ينافي أن فيها ما تشتهيه الأنفس، لأن الله يذهب عنه شهوة ما زواه عنه، ويأتي مزيد تقرير لهذا وتمثيل له.

ثالثا: مصادر المؤلف

اعتمد المؤلف رحمه الله في هذه الرسالة على مجموعة من المصادر والمراجع، وفي مختلف فنون العلم وهي:

ففي **تفسير القرآن وأحكامه** نجد:"البحر المحيط"لأبي حيان، و"الدر المنثور"للسيوطي، و"أحكام

القرآن"للقرطبي. وفي **الحديث وشروحه**، نجد: صحيح البخاري ومسلم، وشرح"فتح الباري"لابن حجر، وكتاب"الموطأ"للإمام مالك. والكتب الستة وغيرها: كسنن أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والبيهقي والحاكم ، **وكتب الأصول**:"كجمع الجوامع"للمحلي. ونجد **كتب اللغة** ككتاب:"التّسهيل"لابن مالك. **وكتب الفقه**:"كمختصر الشيخ خليل". وغيرها.

فهذه المصادر والمراجع تدل دلالة قاطعة على سعة اطلاع المؤلف رحمه الله، ومعرفته بمظان أقوال أهل العلم في المسألة، وما قيل عنها، وفي بعض الأحيان يصرح باسم الكتاب المنقول عنه، مثل نقله عن المناوي أو المحلي، أو"أبي حيان في تفسيره"، أو"النّصيحة"للشيخ زروق...، وغيرهم.

رابعا: وصف النسخ الخطية

اعتمدت في تحقيق هذه المخطوطة على ثلاث نسخ خطية، وهذه النُسخ هي:

النسخة الأولى: وهي نسخة محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط برقم: ١٢٠٨٠ ورمزت لها بـ: (ك)، بمعنى (الملكية).

وهي نسخة تامّة مصححة، مكتوبة بخط مغربي، سريع، يميل إلى المجوهر، ملون، على يد أحمد بن محمد المهدي بن محمد بن العباس – بن صابر البعزاوي- وفرغ منها بعيد ظهر يوم الثلاثاء ٢٦ رمضان عام ١٣٠٨هـ.

تقع ضمن مجموع، : (من الورقة: ١١٨ب إلى: ١٢٣ب). المقياس: ١٦,٥x٢٢ سم المسطرة: ٢٧ سطرًا. التعقيبة مائلة.

النسخة الثانية: وهي مخطوطة محفوظة بخزانة المسجد الأعظم بوزان رقم الحفظ: ٤٦٢. ورمزت لها بـ: (و)، بمعنى (وزان).

نسخة تامّة ضمن مجموع، مجدولة بالأحمر والأزرق، محلاة بالألوان، بدت على بعض أوراقها آثار الاحتراق، مكتوبة بخط مغربي زمامي، عدد الأوراق: ٨ ورقات: (من ٨٩ب إلى: ٩٧). المسطرة: ٢٣ سطرًا. المقياس: ٢٣,٥x١٦,٥ سم. بها تعقيبة.

بأولها قيد التّملك من قبل الشّريف محمد بن محمد بن عبد الجبار، ثم انتقل للجامع الأعظم من طريق الشراء من الورثة.

النسخة الثالثة: محفوظة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط ضمن مجموع، تحت رقم: ٣٨٩، ورمزت لها بـ: (ع)، بمعنى (علال الفاسي).

عدد الصفحات: ١٦ صفحة، خطها: مغربي لا بأس به، وكتبت بعض كلماتها بالحمرة. مسطرتها: ٢٣ سطرًا. مقياسها: ٢١/١٦. وهي ضمن مجموع.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

خامسا: صور من النسخ المخطوطة المعتمدة في التَّحقيق

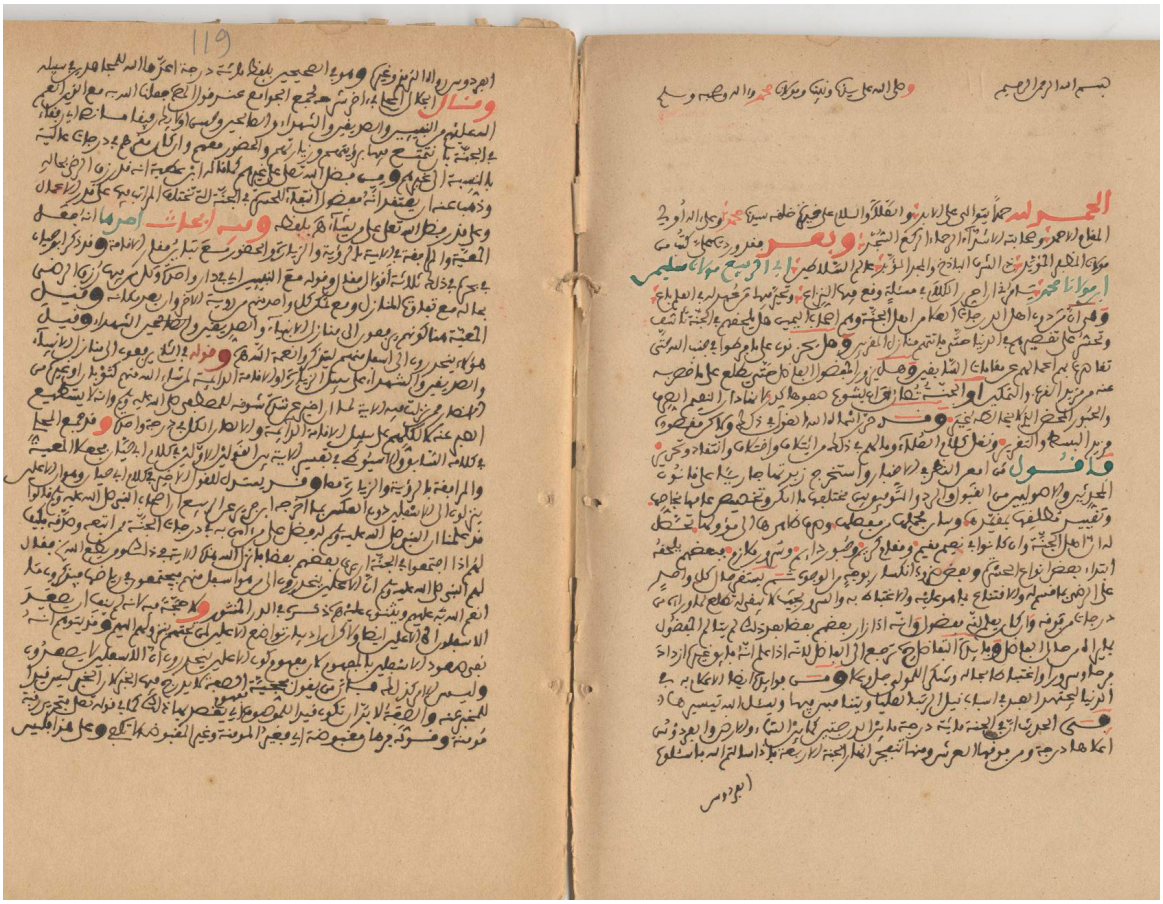

الصفحة الأولى من نسخة الخزانة الملكية بالرباط

ورمزت لها بـ: (ك)

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

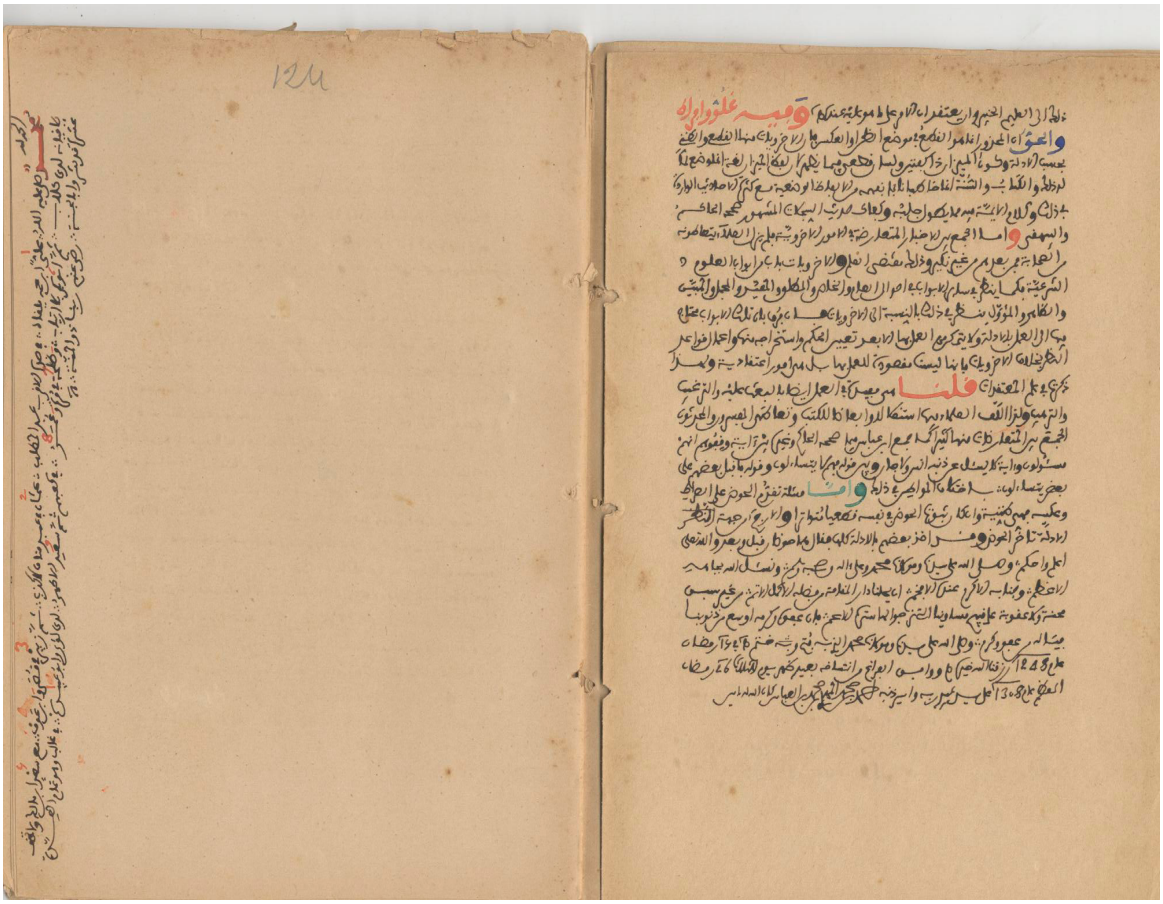

الصفحة الأخيرة من نسخة الخزانة الملكية بالرباط

ورمزت لها بـ: (ك)

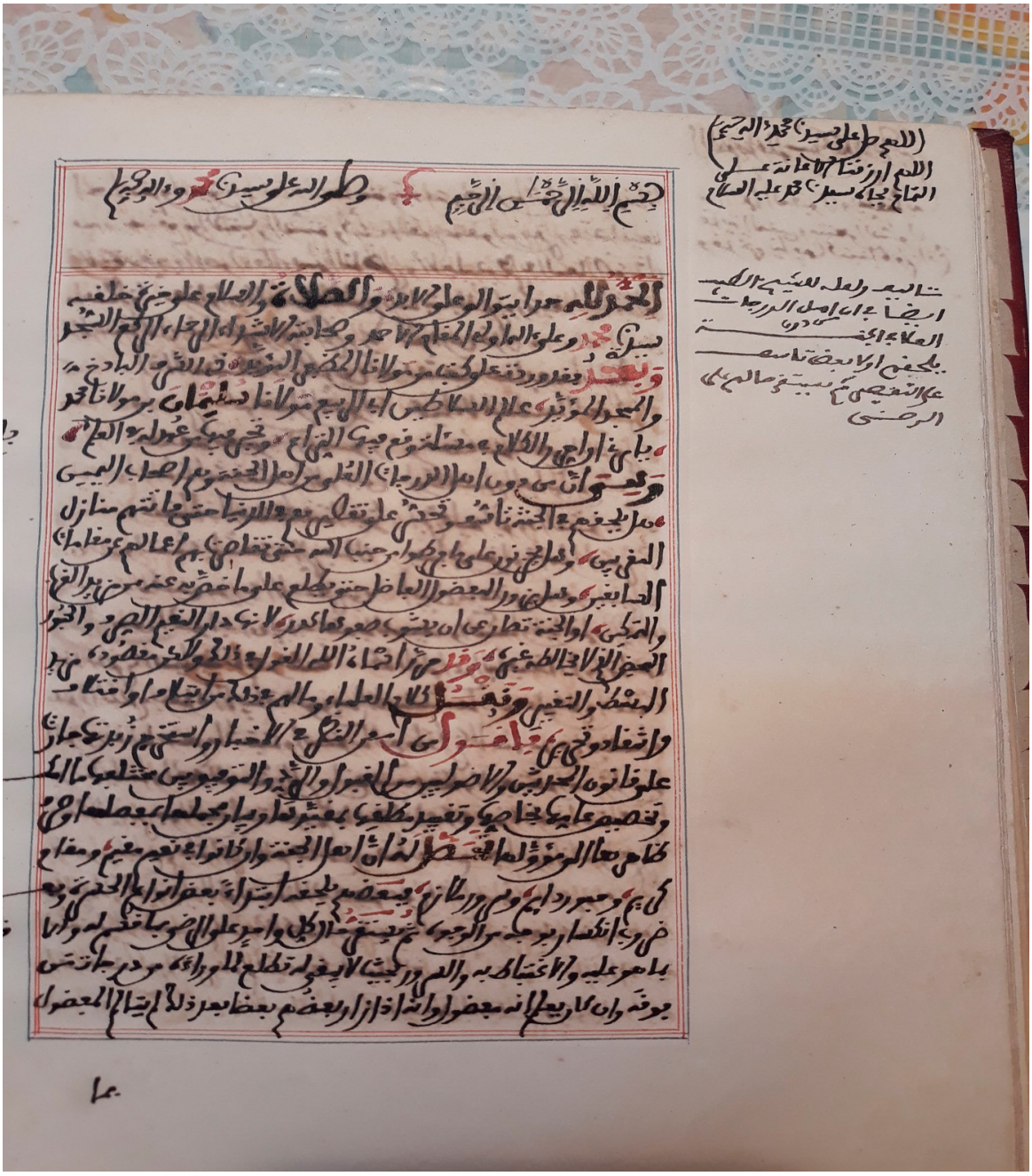

الصفحة الأولى من نسخة خزانة المسجد الأعظم بوزان

ورمزت لها بـ: (و)

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

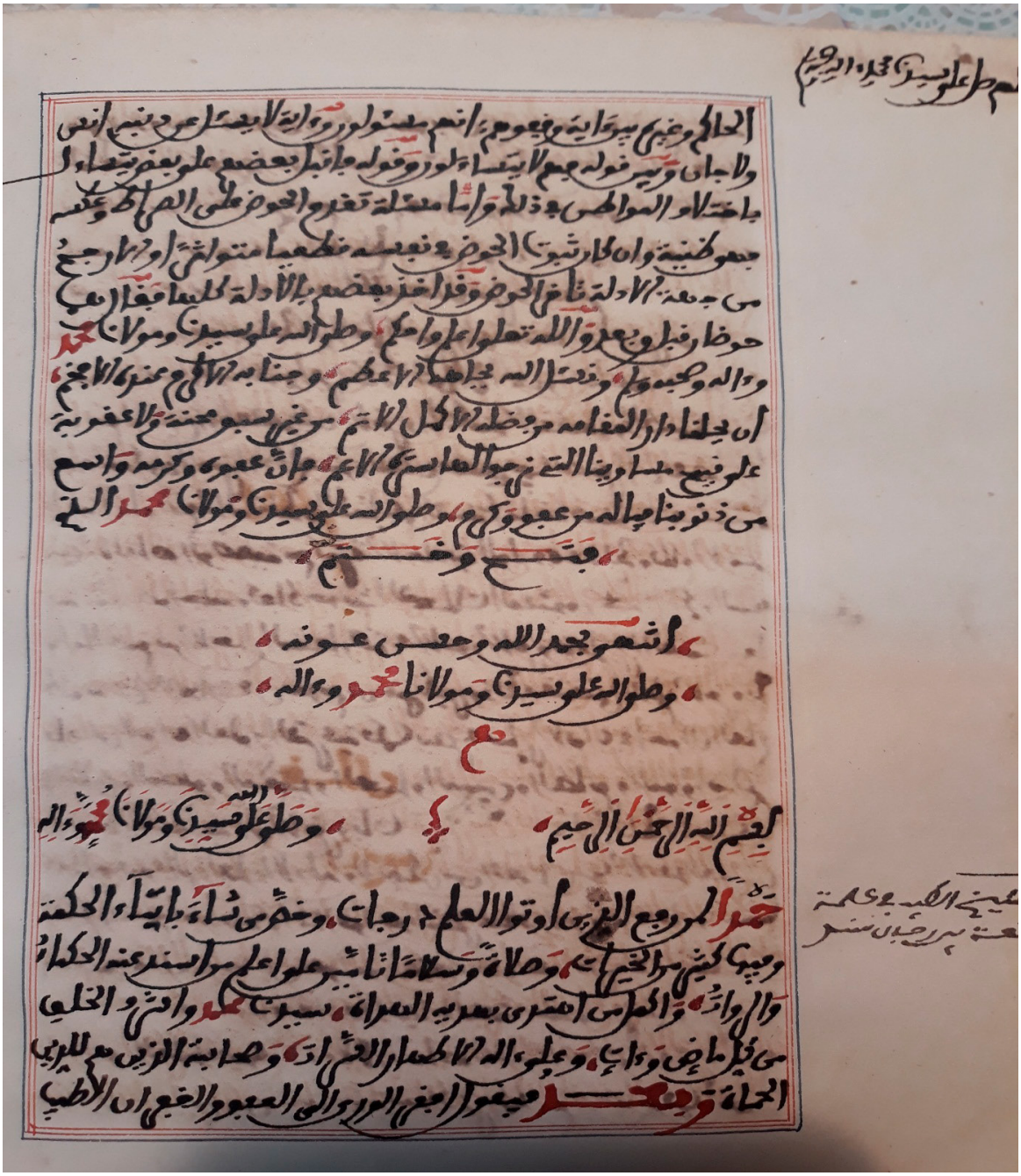

الصفحة الأخيرة من نسخة خزانة المسجد الأعظم بوزان

ورمزت لها بـ: (و)

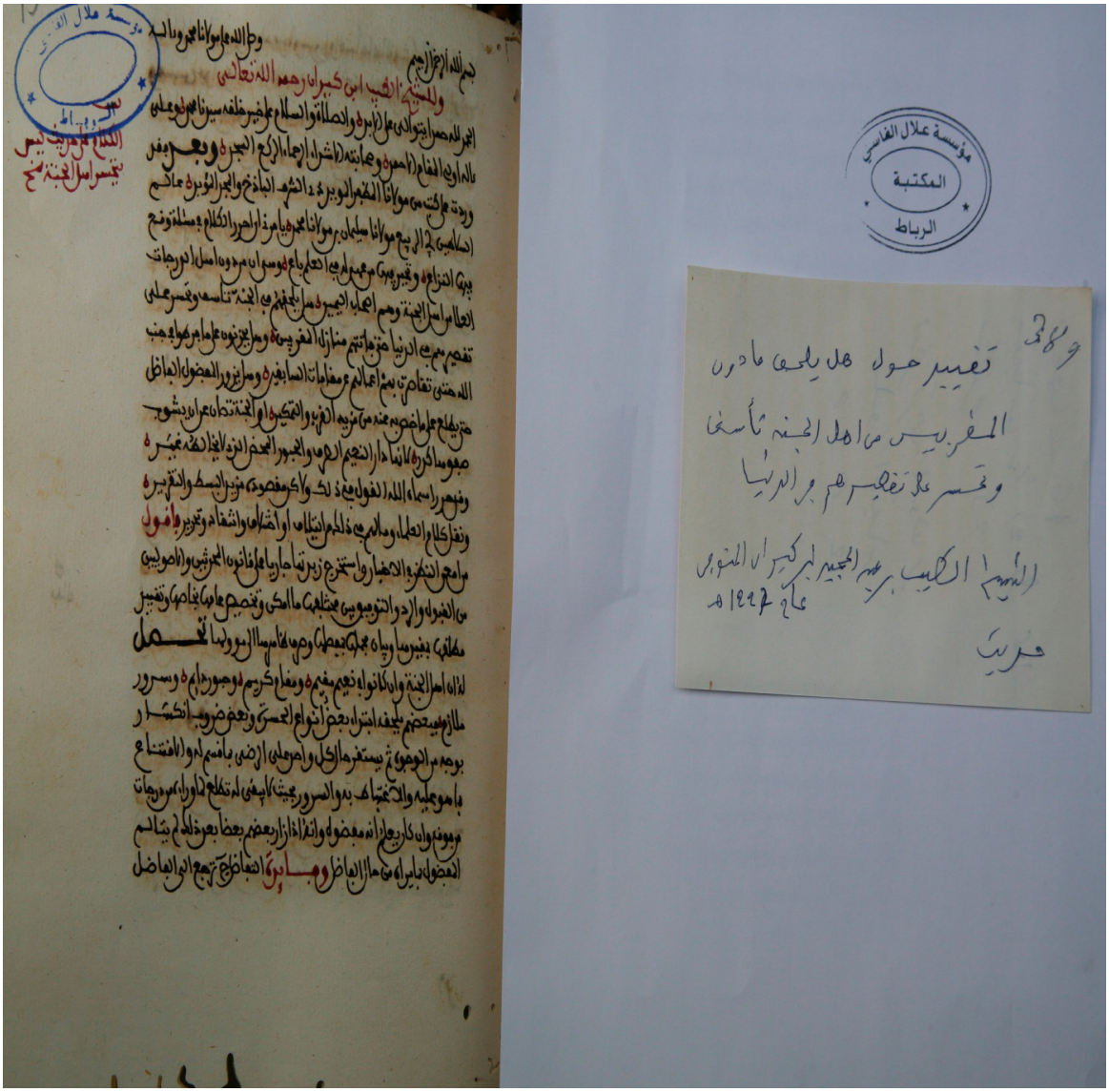

اللوحة الأولى من نسخة مؤسسة علال الفاسي بالرباط

ورمزت لها بـ: (ع)

رسالة:
"في من
دون أهل
الدرجات
العلى من
أهل الجنة
وهم أصحاب
اليمين هل
يلحقهم
فيها تأسف
وتحسر؟"

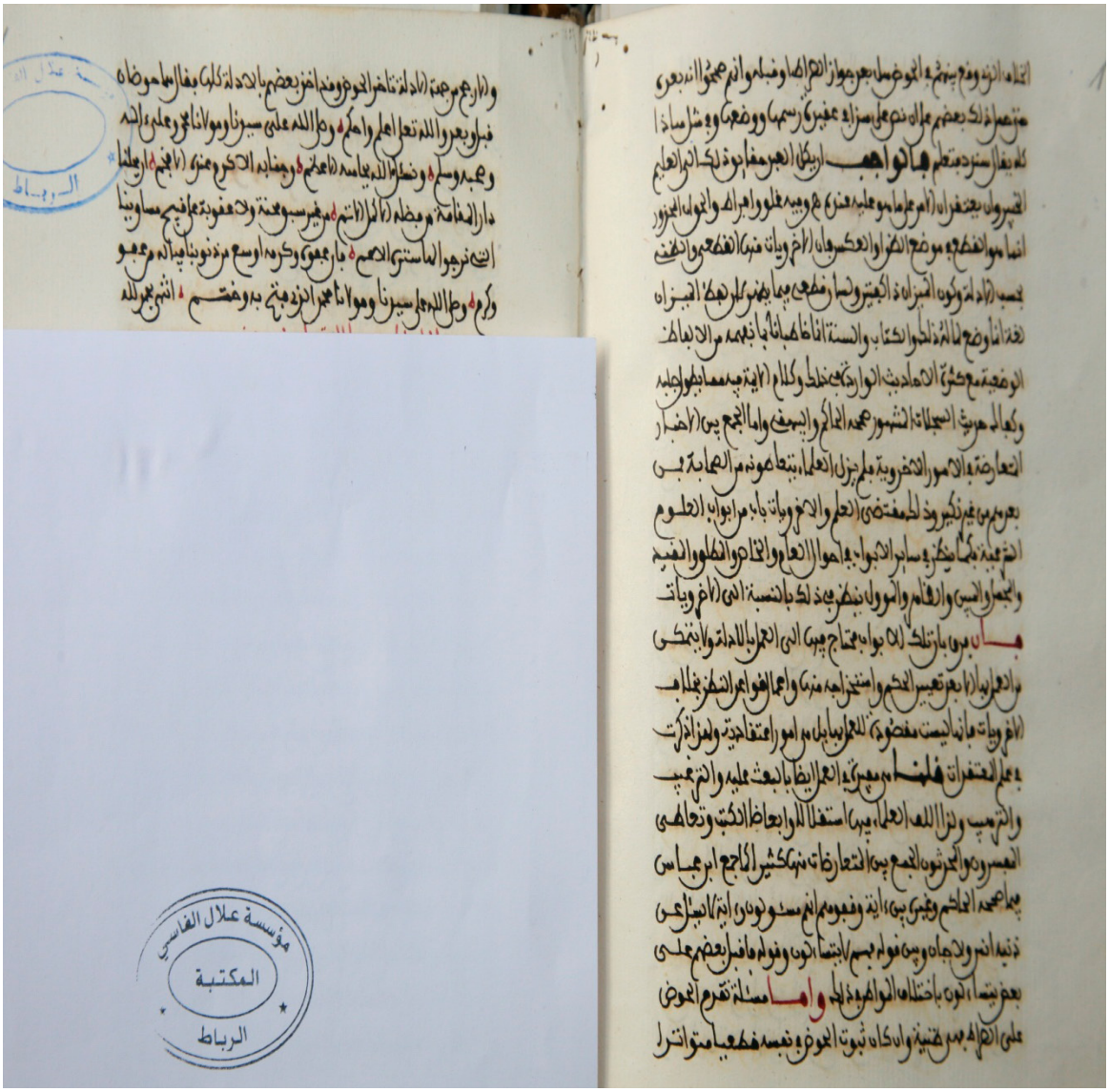

اللوحة الأخيرة من نسخة مؤسسة علال الفاسي بالرباط

ورمزت لها بـ: (ع)

النص المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا[1] محمد وآله وصحبه[2] وسلم

الحمد لله حمدًا يتوالى على الأبد، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله أولي المقام الأحمد، وصحابته الأشداء الرحماء الرُكّع السُجّد.

وبعد؛

فقد وردت عليّ كتُب من مولانا المظفر المؤيد ذي الشّرف الباذخ، والمجد المؤيّد، عالم السّلاطين أبي الربيع مولانا سُليمان[3] بن مولانا محمد يأمرني أن أحرر الكلام في مسألة وقع فيها النزاع، وتحيّر فيها من عُهد له في العلم باع، وهي: أن من دون أهل الدّرجات العلى من أهل الجنّة وهم أصحاب اليمين، هل يلحقهم في الجنّة تأسُف وتحسُر على تقصيرهم في الدنيا حتى فاتتهم منازل المقربين؟، وهل يحزنُون على ما فرطوا من جنب الله حتى تقاصرت بهم أعمالهم عن مقامات السّابقين؟. وهل يزُور المفضول الفاضل حتى يطلع على ما خص به عنه من مزيد القُرب والتّمكين؟، أو الجنّة تُصان عن أن يشُوب صفوها كدر، لأنها دار النّعيم الصِرف، والحبُور المحض الذي لا يخالطه غيره.

وقد حرّر أسماه الله القول في ذلك، ولكن مقصوده مزيد البسط والتّقرير[4]، ونقل كلام العُلماء، ومالهم في ذلك من ائتلاف أو اختلاف وانتقاد وتحرير.

فأقول: من أمعن النّظر في الأخبار، واستخرج زبدتها، جاريًا على قانُون المحدثين والأصوليين من القَبول والرّد والتّوفيق بين مختلفها ما أمكن، وتخصيص عامِّها بخاصِّها، وتقييد مُطلقها بمقيّدها، وبيان مجملها من[5] مفصلها، وصرف ظاهرها إلى مؤولها، تحصّل له أنّ أهل الجنّة وإن كانوا في نعيم مُقيم، ومُقام كريم، وحُبُور دائم، وسُرُور مُلازم، فبعضهم يلحقُه ابتداءً بعض أنواع الحسرة وبعض ضُرُوب انكسار بوجه من الوُجُوه، ثم يستقر حالُ كلِّ واحدٍ على الرِّضى بما قُسِمَ له، والاقتناع بما هو عليه والاغتباط به والسُرور، بحيث لا يبقى له تطلُّع لما وراءه من درجات من فوقه، وإن كان يعلم أنّه

---

(١) قوله: (ونبينا ومولانا)، سقط من: (و) و (ع).

(٢) قوله: (وآله وصحبه)، سقط من: (و)

(٣) هو السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي الحسني، جمع بين الملك والعلم والعمل والخير والدين والكرم، له الفكر السليم من الانحرافات والاعتقادات الفاسدة، له تآليف عديدة: حاشية على شرح الخرشي، الرد على من أنكر التجمير زمن الصيام، وشروح وتفاسير على بعض الآيات القرآنية، توفي يوم الخميس ١٣ ربيع الأول سنة: ١٢٣٨هـ. موسوعة أعلام المغرب: (٢٥١٤).

(٤) في: (و): (التغير).

(٥) سقط من: (و) و (ع).

مفضُولٌ، وأنّه إذا زار بعضهم بعضًا بعد ذلك، لم يتألم المفضُول بما يراهُ من حال الفاضل.

وفائدة التّفاضل حينئذ[1] ترجع إلى الفاضل، لأنّه إذا علم أنّه فائق غيره، ازداد فرحًا وسُرورًا واغتباطًا بحاله، وشُكرًا للمولى جلّ وعلا.

ومن فوائده أيضًا الإعلام به في الدنيا، ليجتهد العبد في أسباب نيل الرُّتب العليا، ويتنافس فيها، ويسأل الله تيسيرها.

في الحديث:"أنّ في الجنّة مائة درجة، ما بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض، والفردوسُ أعلاها درجة، ومن فوقها العرش، ومنها تنفجر أنهار الجنّة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس". رواه **الترمذي**[2] وغيره[3]، وهو في**"الصحيحين"**بلفظ:"مائة درجة أعدّها الله للمُجاهدين في سبيله"[4].

وقال **الجلال المحلي** في آخر شرحه**"لجمع الجوامع"**عند قول المصنف: جعلنا الله به ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[5] [سورة النساء آية ٦٨]. ما نصه: أي رفقاء في الجنّة بأن نتمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضُور معهم، وإن كان مقرهم في درجات عالية بالنِّسبة إلى غيرهم، ومن فضل الله تعالى على غيرهم، كما قاله ابن عطية: أنّه قد رُزق الرِّضى بحاله، وذهب عنه"أن يعتقد أنّه مفضول"انتفاء للحسرة في الجنّة التي تختلف المراتبُ فيها على قدر الأعمال، وعلى قدر فضل الله تعالى على من يشاء. هـ. بلفظه[6].

وفيه أبحاث:

أحدها: أنّه جعل المعيّة والمرافقة في الآية؛ بالرؤية، والزيارة، والحضُور مع تباين مقار الإقامة، وقد ذكر **أبو حيان** في**"بحره"**[7] في ذلك ثلاثة أقوال، فقال:

وقوله:"مع النبيئين". أي: في دار واحدة، وكل من فيها رُزق الرضى بحاله مع تفاوت المنازل، ومع تمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر، وإن بعُد مكانه.

وقيل: المعيّة هنا: كونهم يُرفعون إلى منازل الأنبياء والصديقين والشهداء. وقيل: هؤلاء ينحدرون إلى من أسفل منهم ليتذاكروا نعمة الله. انتهى.

---

(١) سقط من: (ع)

(٢) خرجه الترمذي في الجامع، صفة الجنة: (٥٨٣/٤).

(٣) وخرجه أيضًا: أحمد في مسنده: (٣١٦/٥-٣٢١)، وابن خزيمة في التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: (٢٤٧/١). والحاكم في المستدرك: وقال: إسناده صحيح. (/٨٠). والهيثم في مسنده: (١٦٠/٣-١٦١).

(٤) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد برقم: ٢٧٩٠. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة برقم: ١٨٨٤.

(٥) الواردة في قوله تعالى:﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾[سورة النساء آية ٦٨]

(٦) البدر الطالع في حل جمع الجوامع لجلال الدين المحلي: (٤٨٥/٢).

(٧) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان: (٦٩٨/٣-٦٩٩).

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

وقوله في الثاني: يُرفعُون إلى منازل الأنبياء والصِّدِّيقين والشُّهداء؛ يريد:[١] على سبيل الزيارة أو الاقامة الدّائمة لمن شاء الله منهم: **كثوبان**[٢] أو غيره من الأنصار ممن نزلت فيه الآية، لما أن أخبر عن شدّة شوقه للمصطفى ﷺ [٣]، وأنّه لا يستطيع الصّبر عنه، لا لكلِّهم على سبيل الإقامة الدّائمة، وإلّا لصار الكُلُّ في درجة واحدة[٤].

وقد جمع **المحلي**[٥] في كلامه السّابق و**الأسيوطي**[٦] في تفسير الآية بين القولين الأوّلين في كلام **أبي حيان**، فجعلا المعية والمرافقة بالرؤية والزيارة معًا.

وقد يستدل للقول الأخير في كلام **أبي حيان:** وهو أنّ الأعلين ينزلون إلى الأسفلين دون العكس. بما أخرجه ابن جرير عن الرّبيع أنّ أصحاب النبي ﷺ قالوا: قد علمنا أنّ النبي ﷺ له[٧] فضل على من آمن به في درجات الجنّة ممن اتبعه وصدّقه، فكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنّة أن يرى بعضهم بعضًا؟، فأنزل الله هذه الآية في ذلك:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾. إلخ. فقال لهم النبي ﷺ: إنّ الأعلين ينحدرُون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها، فيذكرُون ما أنعم الله به عليهم ويثنُون عليه[٨]. هـ. ذكرَه في**"الدُّر المنثور"**.

ولا حجّة فيه لأنّه لم ينف أن يصعد الأسفلون إلى الأعلين أيضًا، ولكن أراد بيان تواضع الأعلين لمن تحتهم بنزولهم إليهم، وقد يتوهم أنّه نفى صعُود الأسفلين بالمفهوم، لأنّ مفهُوم كون الأعلين ينحدرُون، أن الأسفلين لا يصعدُون، وليس الأمر كذلك، فإنّ من يقُول بحجّيّة مفهوم الصفة لا يدرج فيها الخبر، لأن الخبر ليس قيدًا للمخبر عنه، والصفة لابد أن تكون قيدًا للموصوف، أي: يقصد بها ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾[سورة النساء آية ٩٢]. وقوله: ﴿فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٣]. أي: فغيرُ المؤمنة، وغير المقبوضة، لا تكفي.

---

(١) سقط من: (ك) و(ع).

(٢) وهو ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ فأتى ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال: يا ثوبان ما غير لونك؟، فقال يا رسول الله: ما بي مرض ولا وجع، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك هناك، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيئين، وإني وإن كنت أدخل الجنة كنت في منزل أدنى من منزلك، وإن لم أدخل الجنة فذلك حين لا أراك أبدا. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان: (٦٩٩/٣).

(٣) سقط من: (و) و (ع).

(٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان: (٦٩٨/٣).

(٥) ينظر البدر الطالع في حل جمع الجوامع لجلال الدين المحلي: (٤٨٥/٢).

(٦) ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: (٥٨٩/٢-٥٩٠).

(٧) سقط من: (ع).

(٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: (٥٨٩/٢-٥٩٠).

وعلى هذا فليس فيه ما يقيد أحاديث التّزاور المطلقة[١]، فتبقى على إطلاقها من زيارة كل من الفريقين للآخر، كحديث البزار[٢] عن أنس، والطبراني[٣] عن حارثة أو الحارث بن مالك:"أن المصطفى ﷺ قال له: كيف أصبحت؟، قال: أصبحت مؤمنًا حقًا. قال: فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟. قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وإلى أهل الجنّة في الجنّة يتزاورُون، وإلى أهل النّار في النّار يتعاوون، قال: مؤمن نور الله قلبه، عرفت فالزم"[٤].

وحديث:"أن أهل الجنّة يتزاورون على"العيس"[٥]"الجون"[٦]، عليها رحالُ الميس[٧] تثير مناسمها[٨] غبار المسك، خطام أحدها خير من الدنيا وما فيها". رواه ابن أبي الدنيا[٩] عن أبي هريرة مرفوعًا، وما في حديث ابن مردويه ويزيد ابن سنان عن أبي هريرة مرفوعًا:"ومرة يزورُون الإخوان في الله"[١٠].

وحديث الطبراني[١١] وابن أبي الدنيا[١٢] عن أبي أيوب رفعه:"أنّ أهل الجنّة يتزاورُون[١٣] على نجائب بيض كأنّهن الياقوت، وليس في الجنّة من البهائم إلا الإبل والطير".

ورواه ابن المبارك في"**الزهد**"[١٤] عن عطاء مرسلاً بلفظ:"ليس في الجنّة غيرها، وغير الطير".

ولعل الحصر باعتبار ما علم حينئذ فكأنه قال:"ليس فيها فيما أعلم إلا الإبل والطير". ثم أطلعه الله على أنّ فيها الخيل أيضًا، فأخبر به.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) سقط من: (ك) و(ع).

(٢) رواه البزار في مسنده برقم: ٦٩٤٨، (٣٣٣/١٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير برقم: ٣٣٦٧، (٢٦٦/٣).

(٤) والبيهقي في شعب برقم: ١٠١٠٦، (١٥٨/١٣). والزهد لابن المبارك برقم: ٣١٤، (ص: ١٠٦). والمصنف لابن أبي شيبة برقم: ٣٠٤٢٥، (١٧٠/٦). كما أشار إلى ضعفه الهيثمي في المجمع برقم: ١١٢، (٢٦/١).

(٥) العيس: الابل البيض يخالط بياضها شقرة

(٦) الميس: شجر صلب تعمل منه أكوار الابل ورحالها

(٧) في (ك) و(ع): (ملس).

(٨) أي: أخفافها.

(٩) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (ص: ١٧٩).

(١٠) كنز العمال برقم: ٣٩٧٨١، وقال:"ابن مردويه ويزيد بن سنان والثلاثة فوقه ضعفاء". (٦٤٩/١٤-٦٥٣). أورده السيوطي في جامع الأحاديث برقم: ٣٤٢٠٦، (٢٦٦/١٣-٢٧٠).

(١١) خرجه الطبراني في الكبير: (٢١٤/٤).

(١٢) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (ص: ١٠٩)

(١٣) سقط من: (ك).

(١٤) خرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق: (٥٥١/١).

أخرج ابن المبارك[١] وابن أبي الدنيا[٢] عن شفي بن ماتع أنّ رسول الله ﷺ قال:"من نعيم أهل الجنّة أنهم يتزاورُون على المطايا والنُّجب، وأنهم يؤتون يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبُول، فيركبونها حتى ينتهُوا حيث شاء الله"[٣].

وحديث الأعرابي وهو عبد الرحمن بن ساعدة الذي سأل:"هل في الجنّة خيل؟، فقال له المصطفى ﷺ: إن أدخلك الله الجنّة كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت". رواه الطبراني[٤] والبيهقي[٥] بسند جيّد، ورواه الترمذي[٦] عن بريدة وأبي أيوب.

وفي"**الجامع الكبير**"عن علي:"أنّ الرجل من أهل الجنّة يشتاق إلى أخيه في الله، فيؤتى بنجيبة من نجائب الجنة، فيركبها[٧] فيسير إلى أخيه وبينه وبينه مسيرة ألف ألف عام، بقدر مسيرة أحدكم فرسخًا أو فرسخين فيلقاه فيعانقه"[٨].

ونقل الثعالبي في"**العُلوم الفاخرة**"عن شاكر بن مسلم ما حاصله: أنّ أهل الجنّة يذكرون إخوانهم في الدنيا، ويشتاقون إلى لقياهم، فيتزاورُون على أحب مراكبهم، فيتلاقون ويسألون عن أحوالهم، فيشتاق كل واحد منهم إلى رؤية ما أعطي أخوه، فيعزم كل منهم على إخوانه أن يسيروا معه، فلا يزالون يطوفون قصورهم ومساكنهم من رجل إلى رجل[٩]. وهذا عام للمتساوين والمتفاوتين.

المبحث الثاني: في قوله: وذهب عنه أن يعتقد أنّه مفضول، فإنه لا يخفى أن الجنّة ليست محل غلط للحس وجهل بالحقائق. كيف وفي"**الصحيح**"من حديث أبي سعيد رفعه:"أنّ أهل الجنّة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين"[١٠]. والغابر بالغين المعجمة والباء الموحدة: الذاهب.

---

(١) خرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق: (٦٩/٢).

(٢) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (ص: ١٧٨-١٧٩).

(٣) خرجه الطبراني في الكبير: (٢١٤/٤).

(٤) خرجه الطبراني في الكبير: (١٨٠/٤).

(٥) البعث والنشور للبيهقي: (٢٣٥/١).

(٦) رواه الترمذي في الجامع الكبير، باب ما جاء في صفة خيل الجنة برقم: ٢٥٤٤. وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، ولا نعرفه من حديث أبي أيوب. (٣٠٤/٤-٣٠٥).

(٧) سقط من: (ع).

(٨) جامع الأحاديث للسيوطي: (٣٦٠/٩). وجاء في كنز العمال: ابن فيل في جزئه؛ وفيه خالد بن يزيد القسيري، قال عد: أحاديثه لا يتابع عليها. (٦٥٤/١٤).

(٩)- -العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة للثعالبي: (١٤٣/١-١٤٤).

(١٠) خرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة برقم: ٣٢٥٦. ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء برقم: ٢٨٣١.

وفي"**الموطأ**"الغاير بالتحتية المهموزة. أي: الداخل، وروي العابر: بالعين المهملة، من العُبُور[1] فمع رؤيتهم الغرف بتلك المثابة، كيف يغلطون الحس، ويجهلون مفضوليتهم مع أنّه ورد التّصريح بأنّ الله يعلمهم[2] بأفضلية أهل تلك المنازل عليهم بما فاقوهم به من العمل، والأصل بقاء العلم.

روى ابن أبي الدنيا[3] وأبو الشيخ الأصبهاني[4] عن علي مرفوعًا:"أنّ في الجنّة شجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيول بُلْق من ذهب، سرجها وزمامها الدر والياقوت، وهي ذوات أجنحة، خطوها مدّ البصر، لا تروث ولا تبول، فيركبها أهل الله فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين هم أسفل منهم: يا ربنا قد أطفؤوا نورنا، من هؤلاء[5]؟ فيقول: إنهم كانوا ينفقون، وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون، وأنتم تجبنون".

المبحث الثالث: في إطلاق قوله: انتفاء للحسرة في الجنّة التي تختلف المراتب فيها، فإنّ هذا الحديث من شواهد كون أهل الدرجات النازلة، تألم نفوسهم بإضاعة ما فاقهم به أهل الدرجات[6] العلى من مزيد القُرب والتّخصيص.

ومن شواهد ذلك أيضًا: ما أخرجه ابن المبارك في"**الزهد**"[7] عن أبي المتوكل النّاجي: أن رسول الله ﷺ قال:"إنّ الدرجة في الجنّة فوق الدرجة كما بين السّماء والأرض، وأنّ العبد ليرفع بصره، فيلمع له برقٌ يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك، فيقول: ما هذا؟، فيقال: هذا نورُ أخيك فلان، فيقول: كنّا نعمل في الدنيا جميعًا، وقد فضل عليّ هكذا، فيقال: إنه كان أفضل منك عملاً، ثم يجعل في قلبه الرّضى حتى يرضى". هـ.

ففيه وصفُه بالفزع في الجنّة، وأنّه يجد في نفسه من تخصيصه عليه حتى يسأل عن سبب ذلك، وأنّه يصرح له بأفضليته عليه في العمل، وكل ذلك تألم له النّفس.

وفيه دليل لما أشرنا إليه؛ من أنّ ذلك لا يدُوم، لقوله:"ثم يجعل في قلبه الرّضى حتى يرضى". فهو بعد أن يرزق الرّضى بحاله يعلم فوات حظ اختص به من فوقه، ولكن لا تتشوّف نفسُه إليه بعد أن

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) وقال ابن حجر في فتح الباري: قوله : (الغابر) كذا للأكثر وفي رواية الموطأ:"الغاير"بالتحتانية بدل الموحدة، قال عياض: كأنه الداخل في الغروب. وفي رواية الترمذي: "الغارب"، وفي رواية الأصيلي: بالمهملة والزاي، قال عياض: معناه الذي يبعد للغروب، وقيل: معناه الغائب، ولكن لا يحسن هنا لأن المراد أن بعده عن الأرض كبعد غرف الجنة عن ربضها في رأي العين، والرواية الأولى هي المشهورة. ومعنى الغابر هنا الذاهب، وقد فسره في الحديث بقوله: "من المشرق إلى المغرب". فتح الباري: (٣٧٦/٦).

(٢) في (و): (هم).

(٣) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (ص: ١٨٠).

(٤) وأورده أبو الشيخ الاصبهاني في كتاب العظمة برقم: ٥٨٨، (١٠٨٨/٣).

(٥) قوله: (من هؤلاء)، سقط من: (ع).

(٦) قوله: (من: النازلة...، إلى:...الدرجات)، سقط من (ك) و(ع).

(٧) خرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق: (٣٣/١).

يرزق الرِّضى، ولا يشتهيه، فلا ينافي أن فيها ما تشتهيه الأنفس، لأنّ الله يذهب عنه شهوة ما زواه عنه، ويأتي مزيد تقرير لهذا وتمثيل له.

ومنها ما أخرجه أحمد في **"الزهد"**[1] عن ابن عمر قال:"إنّ الرجل وعبده يدخلان الجنّة، فيكون عبده أرفع درجة منه، فيقول: يا رب هذا عبدي في الدنيا، فيقال: إنّه كان أكثر ذكرًا لله منك". فلولا ما آلم خاطره من شفوفه عليه ما قال ذلك، ثم يعطى الرِّضى كما في الحديث قبله.

ومنها حديث الطبراني[2] والبيهقي[3] بسند جيّد عن معاذ رفعه:"ليس يتحسر أهل الجنّة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها"[4]. أورده في **"البُدور السَّافرة"**، في باب التّحسر في الجنّة على ترك الذكر في الدنيا[5].

فعلم بذلك أنّه حمله على ظاهره من أنّ التّحسر بعد دخول الجنّة لا قبله، وهو حقيقة اللفظ، لأنّ تسميتهم أهل الجنّة قبل دخولها مجاز مرسل من تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف آية ٣٦]. أي: عصرًا يؤُولُ إلى الخمر، والأصل الحقيقة، والمجاز مُفتقرٌ إلى القَرينة.

والأدلة التي فيها سلامة أهل الجنّة من كل بأس وسوء، لا تنافي الحقيقة هنا، كما علمت أنّ هذا التّحسر لا يستمر جمعًا بين الأدلة. وقد حمله الحكيم التّرمذي وغيره على أنّ التّحسر في الموقف، لا في الجنّة كما نقله المناوي في **"شرح الجامع"**، وهو محملٌ مجازي ولا يجري في نفي الإشكال، لأنّ المنافاة لأدلّة السّلامة في الجملة من كل مُنقص[6]، ليست مقصُورة على هذا حتى تنتفي بتأويله وحده، بل معه معارضات شتى كما تقدم، وكما يأتي مما وقفنا عليه، فضلاً عن غيره، فوجب إبقاؤُه على ظاهره، وأن يجاب على الجميع بوتيرة واحدة من تخصيص تلك الأدلة وتقييدها بغير الجزئيات التي ورد النّص فيها، بلحُوق أسف أو جزع فيها كما يأتي بسطه إن شاء الله.

ويؤيد حمله على ظاهره، ما ذكره **الحافظ السيوطي** عقبه مما أخرجه أحمد[7] والتِّرمذي[8] وابن

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: (٥٨٩/٥).

(٢) خرجه الطبراني في الكبير: (٩٣/٢٠-٩٤).

(٣) والبيهقي في شعب الإيمان: (٣٩٢/١)، حديث رقم: ٥١٢-٥١٣.

(٤) قال الحافظ الهيثمي بعدما عزاه للطبراني: ورجاله ثقات، وفي شيخ الطبراني محمد بن إبراهيم الصوري خلاف. مجمع الزوائد: (٧٢/١٠-٧٧). وسند البيهقي برقم: ٥١٣: حسن.

(٥) البدور السافرة في أحوال الآخرة لجلال الدين السيوطي: (ص: ٥٩٦).

(٦) في (و): (نقص).

(٧) خرجه الامام أحمد في مسنده: (٥٨٨/٢)، لرقم: ٩٧٧٨.

(٨) خرجه الترمذي في كتاب الدعوات: (٤٦١/٥). برقم: ٣٣٨٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

حبان[1] والحاكم وصححه[2] عن أبي هريرة مرفوعًا:"ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنّة للثّواب"[3]. هـ. أي: لفوات الثّواب.

ومنها ما أخرجه التّرمذي[4] وابن ماجة[5] في حديث طويل عن أبي هريرة مرفوعًا فيه:"ولا يبقى في ذلك المجلس رجل حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل: يا فلان بن فلان، أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يارب ألم تغفر لي؟، فيقول: بلى، بسَعَة مغفرتي بلغت منزلتك هذه". ففيه عتاب المؤمن وإخجاله وإفزاعه حتى قال:"ألم تغفر لي؟". وذلك كله يؤثر ألمًا نفسانيًا[6].

ومنها ما في هذا الحديث أيضًا:"فيقبل الرّجل ذو المنزلة المرتفعة، فيلقى من هو دونه وما فيهم دني، فيُروعهُ ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل له ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها..."[7]. الحديث.

فقوله:"فيروعه ما يرى عليه"، أي: يعجبه ويغبطه به حتى يحزن لفقده، بدليل قوله:"لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها"، أي: أن يدوم حزنه. وهو دليل أيضًا لما ذكرنا من أن الحسرة فيها إنما تكون ابتداءً، ثم يتداركها الله تعالى، إمّا بخلق الرّضى في صاحبها كما مرّ في الحديث، وإمّا بإعطائه ما اشتهى تفضلاً، كما في هذا: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾[سورة الزخرف آية ٧١].

ولا نقول أن تبدّل اللباس، إنما هو في مرئى عين صاحبه فقط، لانتفاء غلط الحس واللبس فيها كما مر، ولأنّ باب الفضل واسع.

نعم يمكن أن يبقى للفاضل اختصاصات أخر، يرزق هذا المفضول الرّضى بحاله في فقدها، وقد يساوي الأفضل عملاً من شاء الله أن يسويه به ممن دونه في العمل في الدّرجة تفضلاً على المفضول، فإنّ ما أعطي لهذا بعمل يجوز أن يعطى للآخر مجانًا.

ولهذا قال **المحلي** في كلامه السّابق: التي تختلف المراتب فيها على قدر الأعمال، وعلى قدر فضل

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) وابن حبان في صحيحه برقم: ٨٥٣، (١٣٣/٣).

(٢) والحاكم في المستدرك، في كتاب الدعاء: (٤٩٦/١)، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه وصالح ليس بالساقط.

(٣) البدور السافرة في أحوال الآخرة لجلال الدين السيوطي: (ص: ٥٩٦).

(٤) رواه الترمذي في الجامع الكبير: (٣٠٨/٤-٣١٠)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئًا من هذا الحديث.

(٥) صحيح ابن حبان: (٤٦٦/١٦-٤٦٩)، قال أبو حاتم: لفظ الخبر للحسن ابن سفيان.

(٦) في (ع): (في النفس).

(٧) تتمة حديث أبي هريرة الطويل.

الله تعالى على من يشاء[١]. ويأتي نحوه في كلام **ابن عبد البر**.

وما أحسن قول ابن مالك في"**التَّسهيل**": وقد يعرضُ للمفعول ما يجعله مساويًا أو فائقًا[٢]. وقد ضرب بعض الشيوخ لهذه العبارة بتلمُح[٣] معنى فضل الله منها.

وقد أخرج حماد ابن سلمة عن ابن عباس قال:"يرفع الله للمؤمن ذريّته وإن كانوا في العمل دونه ليقر الله عينه، ثم قرأ:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الطور آية ١٩]"[٤]. قال: ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء[٥].

وعكس ما في الآية وارد فيما رواه ابن **مردويه** و**الضياء** مرفوعًا:"إذا دخل الرّجل الجنّة، سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول يارب: قد عملت لي ولهم، فيؤمر بالإلحاق"[٦].

ومنها ما في حديث الذين يخرجون من النّار من عصاة الموحدين وهم الذين يسمُون في الجنّة الجهنّميين كما في حديث أنس وعمران بن حصين في البُخاري[٧] وفي حديث أبي سعيد في الصحيحين[٨]:"في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنّة فيقول أهل الجنّة: هؤلاء عُتقاء الرحمن"[٩].

قال **الحافظ ابن حجر** وزاد جابر في حديثه:"فيكتبها في رقابهم عتقاء الله فيُسمّوْن فيها الجهنّميين"[١٠].

---

(١) البدر الطالع في حل جمع الجوامع لجلال الدين المحلي: (٤٨٥/٢).

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك: (٢١/١).

(٣) قوله: (من: مساويًا...، إلى:...بتلمح)، سقط من: (و).

(٤) رواه البيهقي في الصغرى برقم: ٢٢٧٢، (٣٤٨/٢)، وفي الكبرى برقم: ٢١٢٩٠، (٤٥٣/١٠). والحاكم في المستدرك برقم: ٣٧٤٤، (٥٠٩/٢).

(٥) أورده الطبراني في الصغير برقم: ٦٤٠، (٣٨٢/١)، وفي الكبير برقم: ١٢٢٤٨، (٤٤٠/١١). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الصغير والكبير، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف. ((١١٤/٧).

(٦) ينظر تفسير الدر المنثور للسيوطي: (٦٣٢/٧).

(٧) خرجه البخاري في صحيحه برقم: ٦٥٦٦، (١١٦/٨). وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين". ورواه أصحاب السنن وغيرهم.

(٨) خرجه البخاري في صحيحه برقم: ٧٤٣٩، (١٢٩/٩). ومسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية برقم: ١٨٣، (١٦٧/١).

(٩) ورواه أصحاب السنن وغيرهم.

(١٠) ورواه أصحاب السنن وغيرهم.

أخرجه ابن حبان[١] والبيهقي[٢]. هـ. وفيه تفسير للخواتيم بكتابة ما ذكر.

وفي"**الدر المنثور**"[٣] و"**البدور السَّافرة**"[٤] من حديث علي عند ابن أبي حاتم وابن شاهين مرفوعًا:"ثم يدخلون الجنّة مكتوبًا في جباههم هؤلاء الجهنّميُون عُتقاء الرحمن فيمكثُون في الجنّة ما شاء الله أن يمكثُوا، ثم يسألون الله أن يمحُو ذلك الاسم عنهم فيبعث الله ملكًا فيمحُوه".

وفيهما عن إسحاق بن راهويه[٥] وابن حبان[٦] والطبراني[٧] وابن مردويه[٨] من حديث أبي سعيد رفعه:"فيسمّون في الجنّة الجهنّميين من أجل سواد في وجوههم فيقولون يا ربنا: أذهب عنّا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنّة فيذهب ذلك الاسم عنهم".

وقال **الحافظ ابن حجر**[٩]: وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي سعيد وزاد:"فيدعون الله فيذهب عنهم هذا الاسم".

وفي حديث حذيفة عند البيهقي[١٠] يقال لهم:"الجهنّميُون فذُكر لي أنهم استعفوا الله من ذلك الاسم فأعفاهم".

قال: وذكر بعض الشُّراح أن هذه التّسمية، يعني:"التّسمية بالجهنّميين"ليست تنقصًا لهم، بل لاستذكار نعمة الله تعالى ليزدادوا بذلك شكرًا على النّجَاة منها. كذا قال: وسؤالهم إذهاب ذلك الاسم عنهم يخدش في ذلك[١١]. هـ.

فقد ارتضى الحافظ أن تلك التّسمية كانت نقيصةً في حقهم، وأنهم رأوها عارًا عليهم، فلذلك استعفوا منها.

فما ثبت من هذه الجزئيات ونحوها، فبمقتضى القواعد الأصوليّة أن يخص من العمومات الواردة في السّلامة من الشوائب والمنقّصات وإنما أطلقت تلك العمومات باعتبار أنّ هذه الجزئيات عوارض

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم: ١٨٣، (٤٠٩/١-٤١٠).

(٢) ورواه البيهقي في البعث والنشور برقم: ٦٠٩، (٣٣٦/١).

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٦٤/٥).

(٤) البدور السافرة في أحوال الآخرة للسيوطي: (ص: ٤٨١-٤٨٢).

(٥) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده برقم: ١٠، (٨٤/١).

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه برقم: ٧٤٣٢، (٤٥٧/١٦).

(٧) والطبراني في الأوسط برقم: ٨١١٠، (١٠٦/٨).

(٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٦٣/٥).

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٤٢٩/١١).

(١٠) وقد وردت الزيادة من حديث حذيفة عند البيهقي في"البعث"ولفظها:"فذكر لي أنهم استعفوا الله من ذلك الاسم فأعفاهم". أشار إلى ذلك الحافظ في"الفتح"٤٣٠/١١، ولم نجده في المطبوع من"البعث للبيهقي".

(١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٤٢٩/١١-٤٣٠).

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

تزُول ولا تدُوم، فصارت بالنّسبة للسّلامة الدّائمة[1] منها كلا شيء.

فمن العمومات قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [سورة الحجر آية ٤٦]. أي: من كل ما لا ترضون، ومن كل شائبة تخدش في خلوص النّعيم، أو نحو ذلك، لأن حذف المتعلق يؤذن بالعمُوم، كحذف المفعول في نحو: ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٥﴾[سورة يونس آية ٢٥]. أي: يدعو كل واحد على ما تقرر في علم المعاني. وبحث **السعد**[2]/[3] فيه مرفوع بجواب السيّد، وليس هذا محل بسط ذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١﴾ [سورة الدخان آية ٥١]. أي: آمن من كل سوء. وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ [سورة الحجر آية ٤٨]. قال السّدي أي مشقة، ولا أذى فيخص منه ما سبق. وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ۝٣٥﴾ [سورة فاطر آية: ٣٤-٣٥].

قال **الجلال**: ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ جميعه[4]. فإن كان قالَه الغابطُون في الجنّة، قبل ذهاب حرارة الغبطة من نفوسهم، فهو مُحتاج إلى التّخصيص، ويحتمُل أن يُريدوا أحزان الدنيا أو الموقف، فتكون:"ال"عهديّة، فلا يشمل ما يصيب بعضهم من غبطة أهل المراتب.

وقد قال **إبراهيم التَّميمي**[5]: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النّار، لأنّ أهل الجنّة قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾. وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف[6] ألا يكون من أهل الجنّة، لأنهم قالوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦﴾[سورة الطور آية ٢٤] [7].

وفي حديث ذكره **القرطبي:** أن هذه المقالة، أعني: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾. تخص الظالم لنفسه، وأنّ المراد بالحزن: توبيخه وتقريعه، لأنّ فيه يجيء السّابق، فيدخل الجنّة بغير حساب. وأمّا المقتصد: فيحاسب حسابًا يسيرًا. وأمّا الظّالم لنفسه: فيحبس في المقام، ويوبخ ويقرع، ثم يدخل

---

(١) سقط من: (ع).

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتزان من بلاد خرسان، من مؤلفاته: تهذيب المنطق، المطول في البلاغة، والمختصر، اختصر به شرح تلخيص المفتاح، توفي سنة: ٧٧٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (١١٢/٦).

(٣) ينظر كتاب: مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني: (ص:٢٧-٢٨).

(٤) تفسير الجلالين: (ص: ٤٣٨).

(٥) هو إبراهيم التميمي ابن يزيد الكوفي، كان سالكا طريق التصوف، جاريا على منهاج التنسك والتقشف، كان من كبار المحدثين، أخذ عن أبيه يزيد، والحارث وعروة بن ميمون، وعنه بيان بن بشر ويونس بن عبيد والأعمش وغيرهم، وخرج له الستة. وكانت له محنة مع الحجاج، إذ حبسه مغلولا في سلسلة حتى ضني جسمه، فمات سنة: ٩٢هـ. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية للمناوي. (٢١٠/١-٢١١).

(٦) سقط من: (ع).

(٧) الكواكب الدرية للمناوي. (٢١٠/١-٢١١).

الجنّة، فهم الذين: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾. وفي لفظ آخر: وأمّا الذين[1] ظلموا أنفسهم فأولئك يُحبسُون في طول المحشر، ثم هم الذين يتلقّاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾. إلى: ﴿لُغُوبٞ﴾[2].

وروى ابن أبي حاتم[3] والبيهقي[4] عن عبد الله بن أبي أوفى قال:"قال رجل يا رسول الله: إنَّ النّوم مما يُقر به الله أعيننا في الدنيا، فهل في الجنّة من نوم؟، قال: لا، إنّ النّوم شَريكُ الموت، وليس في الجنّة موتٌ، قال: فما راحتهم؟، فأعظم ذلك النبي ﷺ وقال: ليس فيها لغُوب، كل أمرهم راحة"، فنزلت: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ إلخ، فيخص من عموم قوله:"كل أمرهم راحة". ما تقدم ونحوه.

ولابن أبي الدنيا[5] وأبي نعيم[6] من مرسل أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين مرفوعًا: ما يفيد تأخر قولهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾. إلى مدة بعد دخول الجنّة، فلعلها يكون قد انقضى فيها كل ما يؤثر في النّفس، ولم يبق منه شيء فيكون لفظ الحَزَن والنّصب على الاستغراق ومن غير تخصيص أصلًا، فإنّه ذكر فيه أنّ الله تعالى يستزيد أهل الجنّة يومًا[7]، فيقول لهم فيها يكلمهم به فهنيئًا هنيئًا: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾[سورة هود آية ١٠٨] ليس فيه تنقيص ولا تحديد، فعند ذلك قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾. إلى: ﴿لُغُوبٞ﴾. لكن قال المناوي: رفعه منكر.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥﴾[سورة الروم آية ١٤]. وقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾[سورة الزخرف آية ٧٠]. أي: تُسرُّون من الحبُور، وهو السُّرور، والمضارع فيهما للاستمرار وقتًا فوقتًا، وحالًا فحالًا، فيخص بغير تلك الجزئيات النّادرة.

وفي حديث مسلم[8] عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعًا:"ينادي مناد إنّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وفيه: وإنّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا بشيء أبدًا". أي: فلا تتضرروا بشيء لأنّ البأس تدور معانيه على الضرر، فيخص منه تلك الجزئيات.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) سقط من: (و).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٧/٣٨٦-٣٨٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: (١٠/٣١٨٤).

(٤) أورده البيهقي في البعث والنشور برقم: ٤٤٤، (١/٢٥٨).

(٥) لم أقف عليه عند ابن أبي الدنيا.

(٦) أورده أبو نعيم في الحلية: (١/١٥٦).

(٧) سقط من: (ع).

(٨) خرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة برقم: ٢٨٣٦.

ومثله ما في حديث أحمد[١] والترمذي[٢] وابن حبان[٣] والبيهقي[٤] وعبد بن حميد عن أبي هريرة مرفوعًا:"من يدخلها ينعم ولا يبأس".

وفي حديث ابن أبي شيبة[٥] والطبراني[٦] وابن أبي الدنيا[٧] بسند حسن عن ابن عمر مرفوعًا:"من دخل الجنّة يحيى ولا يموت، وينعم لا يبأس"[٨].

والتّخصيص في العمومات هو الغالب حتى قالوا: العام الباقي على عمومه يعز[٩] مثاله.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١٦﴾ [سورة الحجرات آية ١٦]. وقوله:﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ الخ [سورة النساء آية ٢٣]. وقوله: ﴿ *وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [سورة هود آية ٦]. إلخ. ومن الغالب وحرم الربا. خص منه العرايا. ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾[سورة المائدة آية ٣]: خص منه المضطر، وميتة السّمك، والجراد. ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[سورة البقرة آية ٢٢٨]: وخص منه الحامل، والصّغيرة، واليائسة، والأمَة، وغير المدخُول بها. ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [سورة فاطر آية ٣٣]: خص منه من كان يلبسه في الدنيا من الرجال إذا لم يتب على القول، بأنّه يحرمه في الجنّة.

وهذه المسألة لها مزيد اختصاص بما نحن بصدده فلنبسُط القول فيها، فنقُول:

في"**الصَّحيحين**"عن عمر وأنس وابن الزبير مرفوعًا:"من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"[١٠]. وأخرج النّسائي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا:"من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"[١١]."ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة"[١٢]."ومن شرب في آنية الذهب

---

(١) خرجه أحمد في مسنده: برقم: ٨٠٣٠ (١٣٨/٨).

(٢) والترمذي في الجامع الكبير برقم: ٢٥٢٦. (٢٥٣/٤).

(٣) وصحيح ابن حبان: برقم: ٧٣٨٧. (٣٩٦/١٦).

(٤) البعث والنشور للبيهقي: برقم: ٢٩٤. (١٩٤/١).

(٥) مصنف بن أبي شيبة برقم: ٣٣٩٥٥، (٢٨/٧).

(٦) المعجم الكبير للطبراني: برقم: ١٣٩٩٢. (٢٤٨/١٣).

(٧) صفة الجنة لابن أبي الدنيا: (٥١/١).

(٨) وخرجه مسلم في صحيحه أيضًا. برقم: ٢٨٣٦.

(٩) في: (و) و(ع): (يغير).

(١٠) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه. برقم: ٥٨٣٣. ومسلم كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل...، برقم:٢٠٦٩.

(١١) النسائي في السنن الكبرى برقم: ٩٥١١، (٣٩٨/٨). والحاكم في المستدرك برقم: ٧٤٠٤، (٢١٢/٤).

(١٢) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجز من عمل الشيطان. برقم: ٥٥٧٥. ومسلم كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام برقم: ٢٠٠٣.

والفضة، لم يشرب بها في الآخرة"[1].

قال **القرطبي**: نقول بظاهره وأنّه يحرم ذلك وإن دخل الجنّة، إذا لم يتب لاستعجاله ما ادّخره الله له في الآخرة، وارتكابه ما حرم عليه في الدنيا.

وقد أخرج الطيالسي[2] بسند صحيح، والنّسائي[3] وابن حبان[4] والحاكم[5] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:"من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنّة، لبِسَه أهل الجنّة ولم يلبسه هو".

قال: فهذا نصٌ صريح إن كان كله مرفوعًا، وإن كانت الجملة الأخيرة مدرجة من كلام الراوي فهو أعلم بالحديث، وأعرف بالحال، ومثله لا يقال من قبَل الرأي[6].

وقيل: إنّ الحديث مؤوّلٌ على حرمانه وقت تعذيبه في النّار، فإذا خرج منها بالشّفاعة، أو الرحمة العامة وأدخل الجنّة، لم يحرم شيئًا منها لا خمرًا، ولا حريرًا، ولا غير ذلك، لأنّ حرمان شيء من ذلك لمن هو في الجنّة نوع عقُوبة ومؤاخذة، والجنّة ليست بدار عقوبة، ولا مؤاخذة فيها بوجه من الوجُوه

قال **القرطبي**: وهذا ضعيف يردُّه حديث أبي سعيد، والجواب عمّا قالوه: أنّه لا يشتهي ذلك، كما لا يشتهي منزلة من هو أرفع منه، ولا يكون ذلك في حقِّه عقُوبَة[7]. انتهى.

وذكر المناوي في"**شرح الجامع**"نحو هذا، وزاد بعد الجواب: ينزع شهوتها منه، أنّه اعترض بأنّه إذا لم يتألم بمنعها، لا يكون منعها جزاء له، فلا يرتدع عنها في الدنيا، والحديث ورد لذلك فيعني قوله:"من شرب الخمر في الدنيا فلم يتب منها، حرمها في الآخرة فلم يسقها"، ثم قال: ومنع كون منعه منها مع عدم اشتهائها، لا يكون جزاء بأنّه إذا لم يتألم بمنعها لا يتلذذ بشربها، وكفى به جزاء[8]. هذا كلامه. وفيه تدقيق؛ بأنّه اكتفى في جزائه بفوات لذّة شربها التي ينالها غيره، وهو توسط في العقوبة، إذ لو سلطت عليه شهوتها ولم يسقها لكان ذلك صعبًا ومشقة عليه، وليست الجنّة محلاً لذلك، أي: دوامًا

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الشرب في آنية الذهب، برقم: ٥٦٣٢، وباب آنية الفضة، برقم: ٥٦٣٣. و مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل...، رقم: ٢٠٦٥.

(٢) خرجه الطيالسي في مسنده برقم: ٢٣٣١، (٦٦٧/٣).

(٣) والنسائي في سننه الكبرى برقم: ٩٥٣٤، (٤٠٦/٨).

(٤) وابن حبان في صحيحه برقم: ٥٤٣٧، (٢٥٣/١٢-٢٥٤).

(٥) والحاكم في مستدركه برقم: ٧٤٠٤، (٢١٢/٤). وقال: هذا حديث صحيح وهذه اللفظة تعلل الأحاديث المختصرة أن من لبسها لم يدخل الجنة .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣٠/١٢).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٢٩/١٢-٣٠).

(٨) فيض القدير شرح جامع الصغير للمناوي: (١٥٧/٦).

وأما ابتداء: فيجوز أن يقع له ذلك مع[1] ما مر من نظائره، ويخص به عموم، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [سورة الزخرف آية ٧١] ولو لم توجد، ولم يتلذذ غيره أيضًا بشربها، لم يكن عليه نقص بالكلية، ولم يكن ثم جزاء له أصلاً، ففي التّوسُط رفق به وجزاء له. ونظيره في الدنيا الحصور الذي لا أرب له في النّساء يعلم بالضرورة أنّ أولي الإربة اختصوا عنه بلذة لم يدركها هو، ولكن لا يشتهيها، ولا تطمح نفسه نحوها لعدم الراعيّة.

وهكذا التّفاوت في المنازل والدّرجات ينزع من نفوس المفضولين ما تجده ابتداءً من حزازة الغبطة، فيبقى عليهم بأنّ من فوقهم نالوا: خصوصًا من القرب واللّذة لم ينالُوها هم، مع عدم طمُوح أنفسهم إليها.

وبيانه: أنّ الغبطة هي علم الانسان باختصاص غيره عنه بفضيلة مع التأثر لفقدها، فماهيتها مركبة من جزئين: من علمٍ وحالٍ، فيحصل الجزءان ابتداءً، ثم يذهب الحال، وهو تأثر النّفس بفقد تلك الفضيلة، ويبقى الأول: وهو العلم باختصاص غيره بها، وبذهاب ذلك الجزء تذهب الغبطة، لأنّ الماهية المركبة من جزأين أو أجزاء تختل باختلال جزء منها، وبهذا يعلم أنّ غبطة الأولين والآخرين للمصطفى ﷺ إذا أعطي المقام المحمُود لا تدوم في الجنّة، لأنها نوع من الحسرة، وقد علمت تصريح الأثار والأئمة بعدم دوام ذلك، والظّاهر أنها تزُول للسّابقين المقربين، كالأنبياء قبل دخول الجنّة، لأنّ المقربين لا يلحقهم فيها ثواب أصلاً لا ابتداءً ولا دوامًا.

فإن قيل: إذا زال تأثر النّفس، وبقي علم المفضول بمفضوليته وأفضلية غيره عليه، فهذا العلم ألم عقلي، فالذي ذهب الألم الحسي الباطني، وبقي الألم العقلي، فإن اللذة والألم يكونان حسيّين وعقليّين كما ذكره **السَّعد** وغيره.

قلنا: هذا العلم لذة عقلية، لأنّه إدراك للشيء على ما هو عليه يقينًا، وإنما كان الألم للنّفس في متعلق هذا العلم، لكنّه زال فبقي العلم، وهو من حيثُ هو لذةٌ للعقل لا ألم، وإنما ألمُ العقل في الجهل والشّك.

فإن قيل: قد ورد ما يدل على وقوع الوهم لبعض أهل الجنّة، وذلك ما في حديث التّرمذي[2] وابن ماجة[3] عن أبي هريرة مرفوعًا:"أنّ أهل الجنّة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم وهم في روضة من رياض الجنّة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، و منابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دني على كثبان المسك والكافور، ما يرون أنّ أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا". الحديث.

---

(١) في: (و) و(ع): (على).

(٢) خرجه الترمذي في سننه برقم: ٢٥٤٩. (٦٨٥/٤).

(٣) وابن ماجه في سننه برقم: ٤٣٣٦. (١٤٥٠/٢).

قلنا: بعد فرض بلوغه درجة الاحتجاج به يُؤوّلُ قوله:"ما يرون أنّ أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا"، على معنى: أنهم لا يألمون لذلك، ولا يتأثرون به، لأنهم لا يعلمونه.

وما قررناه من ذلك التّوفيق[1] هو المرتضى عند المحققين.

قال **الحافظ ابن حجر**[2] على حديث:"من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها، حرمها في الآخرة". قال الخطابي والبغوي: هو كناية عن عدم دخول الجنّة، لأنّ الخمر من شراب أهلها، وكذا قال **ابن عبد البر**، وعلله بأنّ الله قال: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[سورة محمد آية ١٥]. فلو دخلها وعلم أنّ فيها خمرًا، وأنّه حرمها عقوبة له، لزم وقوع الهمّ والحزن له، والجنّة لا همّ فيها ولا حزن، وإن لم يعلم بوجودها في الجنّة، ولا أنّه حرمها عقوبة، لم يكن عليه في فقدها ألم. فلهذا قال بعض من تقدم: أنّه لا يدخل الجنّة أصلاً، وهو مذهب غير مرضيّ[3]. هـ.

قلت: إنما يليق هذا بأصول **المعتزلة**[4] القائلين: بأنّ من مات مصرًا على الكبيرة يخلد في النّار، إلا أنها دون نار الكفّار، ويمكن أن يحمل السُني الحديث على عدم دخول الجنّة أصلاً، ويخصُه بمن استحلّها لأنّه كافر.

قال **خليل**: أو استحل كالشُرب[5].

وقد علمت مما قررناه عدم الانحصار في الشِّقّين اللذين ذكرهما، فلا يلزم عدم دخوله الجنّة أصلاً، وقد صرح بذلك بعد، فيجوز أن يدخل الجنّة ولا يشربها، ويمكن أن تكون هذه نكتة التقييد بقوله: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾. أي: لمن يشربها في الجنّة، لا لمن لا يشربها[6]. ولهذا لم يقل ذلك[7] في أنهار الماء، واللبن، والعسل.

ثم قال **ابن عبد البر**: ويحتمل أنّ محل الحديث عند أهل السُنة: أنّه لا يدخلها ويشرب فيها الخمر،

---

(١) سقط من: (ك) و(ع).

(٢) في فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٣٢/١٠). بتصرف من المؤلف.

(٤) المعتزلة : ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، واتفقوا على أن كلام الله محدث مخلوق، في محل، وهو حرف وصوت. وغيرها من الأمور. وهم أصحاب واصل ابن عطاء الغزال لما اعتزل مجلس الحسن البصرين يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين فطرده، فاعتزله وتبعه جماعة سموا بالمعتزلة. الملل والنحل للشهرستاني: (ص: ٣٨). مقالات الإسلامين للأشعري: (٢٣٥/١) وما بعدها. الفصل في الملل لابن حزم: (٥٠/١).

(٥) مختصر الشيخ خليل: (ص: ٢٣٨).

(٦) قوله: (في الجنة، لا لمن لا يشربها)، سقط من: (ع).

(٧) سقط من: (ع).

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

إلا إن عفا الله عنه[1]، إذ هو في المشيئة، ثم قال: مشيرًا إلى ما قررناه: ويجوز أن يدخل بالعفو ثم لا يشرب فيها خمرًا، ولا تشتهيها نفسه، وإن علم بوجودها فيها، ويؤيده حديث أبي سعيد فذكر الحديث المتقدم في:"أنّ من لبس الحرير في الدنيا، لا يلبسه في الجنّة، وإن دخلها فيلبسه أهل الجنّة، ولا يلبسه هو". قال **ابن حجر**: وقريب منه حديث:"من مات من أمتي وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنّة". أخرجه أحمد[2] بسند حسن[3].

قلت: إنما يكون قريبًا منه إذا علق قوله في الجنّة؛ بحرّم، كأنّه قيل: حرّم الله عليه في الجنّة شربها، وأما إذا علق في الجنّة بشربها، فإنّه يكون أعمّ، والله أعلم.

ثم قال **ابن حجر**: ولخص **عياض** كلام **ابن عبد البر**، وزاد احتمال أن يراد بعدم شربها في الجنّة، أنّه يحبس عن الجنّة مدة إن أراد الله عقوبتَه، ومثله الحديث الآخر:"لم يرح رائحة الجنّة"[4]، قال: أي: عياض، ومن قال: لا يشربها في الجنّة بأن ينساها أو لا يشتهيها، يقول: ليس عليه في ذلك حسرة، ولا يكون ترك شهوته إيّاها عقوبة في حقه، بل هو نقص نعيم بالنِّسبة إلى من هو أتَمُّ نعيمًا منه، كما تختلف درجاتهم، ولا يلحق من هو أنقص درجة حسرة بمن هو أعلى درجة منه استغناء بما أعطي واغتباطًا به[5]. هـ. وهو مطابق لما قررناه.

إلا أنّ قوله: لا يلحق من هو أنقص درجة منه حسرة، هو باعتبار الدّوام دون الابتداء على ما تقدّم من الجزئيات التي ذكرناها.

ثم قال **ابن حجر**: وقال **ابن العربي**: ظاهر الحديثين، أي:"حديثي الخمر والحرير"، أنّه لا يشرب الخمر في الجنّة، ولا يلبس الحرير فيها، وذلك أنّه استعجل ما أمر بتأخيره، ووعد به، فَحُرِمَ عند ميقاته كالوارث إذا قتل موروثه، فإنّه يحرم ميراثه لاستعجاله.

وبهذا قال نفر من الصّحابة والعُلماء، وهو موضع احتمال، وموقفُ إشكال، والله أعلم كيف يكون الحال[6]. هـ.

قلت: ظاهره أنّ هؤلاء النّفر من الصّحابة والعلماء، يقولون بمنعه منهما دائمًا على سبيل العقُوبة، وهو يشتهيهما، وهو خلاف مرتضى غيرهم، ويلزمهم أن يخصوا ذلك من عموم: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾[سورة الزخرف آية ٧١].

---

(١) سقط من: (ك).

(٢) مسند الامام أحمد برقم: ٦٩٤٨، (٤١٢/٦).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٣٢/١٠). بتصرف من المؤلف.

(٤) مسند الامام أحمد برقم: ٢٣١٢٨، (٢٠٨/٣٨).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٣٢/١٠). بتصرف من المؤلف.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٣٢/١٠). بتصرف من المؤلف.

ثم قال **ابن حجر**: وفصّل بعض المتأخرين بين من يشربها[1] مستحلاً، فهو الذي لا يشربها أصلاً، لأنّه لا يدخُل الجنّة أصلاً، وعدم الدُّخول يستلزم حرمانها، ومن شربها عالمًا بتحريمها، فهو محل الخلاف، وهو الذي يحرم شربها مدة، ولو في حال تعذيبه إن عذب. والمعنى: أنّ ذلك جزاؤه إن جُوزيَ. والله أعلم[2]. انتهى.

وما ذكره من تفصيل بعض المتأخرين ليس خلافًا لغيره، فإن الجميع يقول: أنّ من استحلّها ولم يتب، كافرٌ لا يدخُل الجنّة، ولا يشربها فيها، وقال في لبس الحرير للرجال على حديث من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة. زاد النّسائي:"ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخُل الجنّة"[3]. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الحج الآية ٢٣].

قال: وهذه الزيادة مدرجة في الخبر، موقوفة على ابن الزبير. بَيّن ذلك النّسائي[4] والإسماعيلي في روايتيهما، وعلى ابن عمر بيّنهُ النّسائي[5] أيضًا.

قلت: وتقدم ضد[6] ذلك في حديث أبي سعيد في قوله:"وإن دخل الجنّة، لبسه أهل الجنّة، ولم يلبسه هو"[7]، وأنّه يحتمل الوقف والرّفع.

ثم قال **ابن حجر**: وحاصل أعدل الأقوال، أن الفعل المذكور مقتض للعقوبة المذكورة، وقد يتخلّف ذلك لمانع: كالتّوبة والحسنات التي توازن، والمصائب التي تكفر، وكدعاء الولد بشرائط ذلك، وكذا شفاعة من يُؤذَنُ له في الشّفاعة، وأعمُّ من ذلك كلّه عفو أرحم الرّاحمين[8]. هـ.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

---

(١) في (ع): (يشتريها).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٣٢/١٠-٣٣). بتصرف من المؤلف.

(٣) السنن الكبرى للنسائي برقم:٩٥١١، (٣٩٨/٨).

(٤) وقال: وقفته حفصة بنت سيرين. السنن الكبرى للنسائي: (٣٩٨/٨).

(٥) فقال ابن عمر: إذًا والله لا يدخل الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾، السنن الكبرى للنسائي برقم:٩٥١١، (٣٩٨/٨).

(٦) سقط من: (و) و(ع).

(٧) سبق تخريجه.

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٢٩٠/١٠).

خـاتمة:

عد[1] الشّيخ ابن عبّاد في"**رسائله الكبرى**"[2] كما أشار إليه سيدي زرُوق في"**النَّصيحة**"[3]: من التّكلف تطلُّب الكيفيات للأمور الأخروية، كأحوال القيامة، والحشر، والنّشر، والجنّة، والنّار، ثم قال: فلا يُسلّم لأئمتنا ما قالوه في الميزان؛ أنّه ذو كفّتين ولسان، وأين يوجد نص قطعي على جملة ذلك، وكذا كلُّ من رام أن يُلفق بين أشياء هنالك ظهر فيها التّناقض والتّعارض، إذ لا حاجة به إلى شيء من ذلك، ومن أظرف ما سمعت من هذا الجنس: الخلاف الذي وقع بينهم في الحوض، هل بعد جواز الصِّراط أو قبله؟، وأنهم صححوا أنّه بعده، حتى حمل ذلك بعضهم على أن نص على هذا في عقيدة رسمها ووضعها، وفي مثل هذا كلِّه يقال: سترد فتعلم[4].

فالواجب أن يَكِلَ العبدُ حقائق ذلك إلى العليم الخبير، وأن يعتقد أنّ الأمر على ما هو عليه عنده، وفيه غُلُوٌ وإفراط. والحق أن المحذُور إنما هو القطع في موضع الظن أو العكس، فإنّ الأخرويات منها القطعي والظني بحسب الأدلة، وكون الميزان ذا كفّتين ولسان؛ قطعي فيما يظهر، لأنّ لفظ الميزان لغة، إنما وضع لما له ذلك، والكتاب والسّنة إنما خاطبنا بما نفهمه من الألفاظ الوضعية، مع[5] كثرة الأحاديث الواردة في ذلك، وكلام الأئمة فيه مما يطول جلبه، وكفاك حديث السِّجلات المشهور صححه الحاكم[6] والبيهقي[7].

وأما الجمع بين الأخبار المتعارضة في الأمور الأخروية، فلم يزل العلماء يتعاطونه من الصّحابة، فمن بعدهم من غير نكير، وذلك مقتضى العلم، والأخرويات باب من أبواب العلوم الشرعيّة، فكما ينظر في سائر الأبواب في أحوال العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبيّن، والظّاهر والمؤوّل، ينظر في ذلك بالنسبة إلى الأخرويات، فإن فرق بأن تلك الأبواب محتاج فيها إلى العمل بالأدلة، ولا يتمكن من العمل بها إلا بعد تعيين الحكم واستخراجه منها، وإعمال قواعد النظر بخلاف الأخرويات، فإنها ليست مقصودة للعمل بها، بل هي أمور اعتقادية، ولهذا ذكرت في علم المعتقدات.

قلنا: هي مفيدة في العمل أيضًا بالبعث عليه، والتّرغيب والتّرهيب، ولذلك ألف العلماء فيها استقلالاً وإبعاضًا للكتب، وتعاطى المفسرون والمحدثون الجمع بين المتعارضات منها كثيرًا، كما جمع ابن

---

(١) في (و) و(ع): (عن).

(٢) وهي الرسائل الكبرى المسماة: نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم النفزي الرندي الفاسي، ت: ٧٩٢هـ.

(٣) النّصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية لأحمد زروق ت: ٨٩٩هـ.

(٤) شرح النصيحة الكافية، لابن زكري الفاسي: (٦٤٢/١). بتصرف من المؤلف تقديمًا وتأخيرًا.

(٥) في (و): (هي).

(٦) خرجه الحاكم في مستدركه برقم: ١٩٣٧، (٧١٠/١)، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٧) وفي شعب الإيمان للبيهقي، برقم: ٢٧٩، (٤٤٨/١).

عبّاس فيما صححه الحاكم وغيره بين آية: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1] [سورة الصافات آية ٢٤]. وآية: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الرحمن آية ٣٩]. وبين قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة القصص آية ٦٦]. وقوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾[2] [سورة الصافات آية ٥٠]. باختلاف المواطن في ذلك.

وأما مسألة تقدم الحوض على الصِّراط وعكسه[3]، فهي ظنية وإن كان ثبوت الحوض في نفسه قطعيًا متواترًا، والأرجح من جهة الأدلة تأخر الحوض، وقد أخذ بعضهم بالأدلة كلها، فقال: هما حوضان قبل وبعد. والله تعالى أعلم وأحكم.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

ونسأل الله بجاهه الأعظم، وجنابه الأكرم عنده الأفخم، أن يحلنا دار المقامة من فضله الأكمل الأتم، من غير سبق محنة ولا عقوبة على قبيح مساوئنا التي نرجُو لها ستره الأعم، فإنّ عفوه وكرمه أوسع من ذنوبنا، فياله من عفو وكرم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي فتح وبه[4] ختم. هـ. في: ١٤ رمضان عام ١٢١٨هـ. رزقنا الله خيره.

ووافق الفراغ من انتساخه بعيد ظهر يوم الثلاثاء ٢٦ رمضان المعظم عام ١٣٠٨هـ، على يد عبد ربه وأسير ذنبه أحمد بن محمد المهدي بن محمد بن العباس كان الله له[5].

انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله. هـ.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

(١) المستدرك على الصحيح للحاكم رقم: ٣٦١١، (٤٦٧/٢). وقال: فقد بان برواية إمام عصره أبي يعقوب الحنظلي أن للحديث أصلاً بإسناد ما.

(٢) المستدرك على الصحيح للحاكم رقم: ٣٤٨٩، (٤٢٨/٢). وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٣) سقط من: (ع).

(٤) سقط من: (و).

(٥) في (و): (انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله. هـ). و(ع): (إنتهى بحمد الله)

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.
- أجوبة وتقاييد في تفسير الكتاب العزيز للعلامة أبي عبد الله محمد الطيب ابن عبد المجيد ابن كيران (١١٧٢-١٢٢٧هـ) دراسة وتحقيق: الحسن الوزاني. الطبعة الأولى: ١٤٣٢. دار الأمان للنشر والتوزيع. الرباط.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى: ٣٥٤هـ ترتيب: الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي المتوفى: ٧٣٩ هـ حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- البعث والنشور للبيهقي لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي المتوفى: ٤٥٨هـ الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى: ٢٧٩هـ تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: ١٩٩٨م.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المتوفى: ٦٧١هـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
- الروض الداني المعجم الصغير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى: ٣٦٠هـ تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير الناشر: المكتب الإسلامي. دار عمار. بيروت عمان. الطبعة الأولى: ١٤٠٥ – ١٩٨٥
- الرؤية الصوفية عند الشيخ الطيب بن كيران معالم وحقائق وتحقيق كتابه: عقد نفائس الآل في تحريك الهمم العوال إلى السمو إلى مراتب الكمال. تقديم الدكتور عبد الوهاب الفيلالي. دراسة وتحقيق: الأستاذ مصطفى الحكيم. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.
- الزهد والرقائق لابن المبارك لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي المتوفى: ١٨١هـ المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية – بيروت.

- السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي المتوفى: ٣٠٣هـ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بنعبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م
- العظمة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني المتوفى: ٣٦٩هـ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري الناشر: دار العاصمة – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي، تأليف: عبد الرحمن بن العربي الحرشي.
- الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة مولاي عبد الله الشريف بوزان إنجاز: د. بدر العمراني الطنجي، ذ. سعيد الغازي إشراف وتنسيق: د. عبد اللطيف الجيلاني. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية – المملكة المغربية. ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الكواكب الدرية في تراجم الصوفية لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة: ١٠٣٠هـ. تقديم وتعليق: أحمد فريد المزيدي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى: ٤٠٥هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠
- المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن خواستي العبسي المتوفى: ٢٣٥هـ تحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد –الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩م.
- المعجم الكبير للطبراني المجلدان الثالث عشر والرابع عشر لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى: ٣٦٠هـ تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي
- المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج شرح النووي على مسلم الامام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. (٦٣١-٦٧٦هـ). بيت الأفكار الدولية.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي تأليف عبد الله كنون دار الثقافة الطبعة الثانية.
- الوفيات تأليف تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع السلامي ٧٠٤-٧٧٤هـ، حققه وعلق عليه: صالح مهدي عباس. أشرف عليه وراجعه: د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. بيروت.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

الدين المتوفى: ٦٧٢هـ، تحقيق: محمد كامل بركات الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة النشر: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

- تفسير الجلالين الميسر لجلال الدين المحلي والجلال السيوطي، سنة النشر: ٢٠٠٣م. الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم المتوفى: ٣٢٧هـ تحقيق: أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
- جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى). لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى: ٩١١هـ. ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة طبع على نفقة: د حسن عباس زكى.
- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي. المؤلف: محمد بن علي بن الحسن الحسيني أبو المحاسن. الناشر: القدسي. دار الكتب العلمية.
- رسالة نحوية في"لو"الشرطية ويليها: مجموع رسائل للشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران الفاسي المتوفى: ١٢٢٧هـ. دار الكتب العلمية.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس تأليف شيخ الإسلام الشريف أبي عبد الله محمد ابن جعفر ابن إدريس الكتاني (١٢٧٤-١٣٤٥). تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد جمزة ابن علي الكتاني. دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ١٤٢٥/٢٠٠٤.
- سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد المتوفى: ٢٧٣هـ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: العلامة الجليل الأستاذ الشيخ: محمد بن محمد ابن عمر بن قاسم مخلوف ت١٣٦٠هـ، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٦م بيروت-لبنان.

- شرح النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية المتن للشيخ أحمد زروق ت: ٨٩٩هـ. والشرح لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري ت: ١١٤٤هـ. تحقيق وتخريج وتعليق الدكتور: عاصم إبراهيم الكيالي. كتاب ناشرون.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي (١٩٤/٢٥٦هـ). دار الحديث الطبعة ١٤٢٥/٢٠٠٤.
- صحيح مسلم، المسمى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١). تشرف بخدمتها والعناية بها أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة الرياض ١٤٢٦هـ.
- صفة الجنة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى: ٤٣٠هـ تحقيق: علي رضا عبد الله. دار المأمون للتراث. دمشق - سوريا.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر تأليف محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفراني تقديم وتحقيق: د. عبد المجيد خيالي. الطبعة الأولى: ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م. مركز التراث الثقافي المغربي. الدار البيضاء. المغرب.
- طبقات القراء تأليف الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٨٣-٧٤٨هـ) تحقيق الدكتور أحمد خان. الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- فهرس الكتب المخطوطة في العقيدة الأشعرية تأليف: خالد زهري وعبد المجيد بوكاري. مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنبين. منشورات الخزانة الحسنية بالرباط. الطبعة الأولى: ١٤٣٢-٢٠١١. دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
- فيض القدير شرح الجامع لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري المتوفى: ١٠٣١هـ. المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي المتوفى: ٩٧٥هـ تحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

رسالة: "في من دون أهل الدرجات العلى من أهل الجنة وهم أصحاب اليمين هل يلحقهم فيها تأسف وتحسر؟"

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى: ٨٠٧هـ المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
- مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني من منشورات دار الفكر. الطبعة الأولى: ١٤١١هـ. قم – شارع ارم.
- مسند أبي داود الطيالسي لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى المتوفى: ٢٠٤هـ تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي. دار هجر – مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
- مسند إسحاق بن راهويه لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه المتوفى: ٢٣٨هـ المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي. مكتبة الإيمان. المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المتوفى: ٢٤١هـ المحقق: أحمد محمد شاكر. دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ. ١٩٩٥ م
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار المتوفى: ٢٩٢هـ المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، ١٨. مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى: ٨٠٧هـ، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.
- موسوعة أعلام المغرب تنسيق وتحقيق لمحمد حجي ويضم: الطبعة الأولى نشر دار الغرب الإسلامي ١٤١٧هـ.١٩٩٦م
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني تأليف: محمد بن الطيب القادري تحقيق: محمد حجي و أحمد توفيق. الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م. نشر وتوزيع مكتبة الطالب. الرباط المغرب.
- المطول على التلخيص لسعد الدين التفتزاني. مطبعة سنده سنة النشر: ١٣١٠هـ.

رسالة:
"في من
دون أهل
الدرجات
العلى من
أهل الجنة
وهم أصحاب
اليمين هل
يلحقهم
فيها تأسف
وتحسر؟"

تحصيل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام

لأبي عبد اللّه محمد بِنِّيس الفاسي
(ت: ١٢١٤هـ)

دراسة وتحقيق:

محمد الدحماني

المغرب

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فقد حظي مختصر خليل بعناية فائقة من قبَل فقهاء وعلماء المذهب المالكي، فعليه مدار التفَقُّه والتدريس، وهو المعوّل عليه في الفتوى والقضاء؛ وقد عكف العلماء على شرحه وتجلية معانيه وإماطة اللثام عن أحكامه ومسائله، فكثُرت بذلك الشروح والحواشي والتعليقات، وتنوّعت مناهجها، منها المختصرات التي تكتفي بتفكيك عبارة المتن وتصوير مسائله، ومنها المطوّلات التي تُعنى بالتأصيل والاستدلال واستقصاء الفروع؛ ومن مناهج شرح مختصر خليل التي أبدعها العلماء إفرادُ مسألة من مسائله بالبحث والشرح والتعليق في رسالة مستقلة، وقد ظهرت في هذا الاتجاه العديد من الرسائل والتقاييد منها على سبيل المثال: تقييد العلامة محمد بِنّيس حول مسألة الحيازة الواردة في مختصر خليل، الذي سماه: "تحصيل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام"؛ حيث شرح فيه قول خليل: "وَإِنْ حَازَ أَجْنَبِي غَيْرُ شَرِيكٍ، وَتَصَرّفَ، ثُمّ ادّعَى سَاكِتٌ حَاضِرٌ بِلا مَانِعٍ عَشْرَ سِنِينَ لَمْ تُسْمَعْ، ولا بَيّنَتُهُ، إلّا بِإِسْكَانٍ وَنَحْوِهِ، كَشَرِيكٍ أَجْنَبِي حَازَ فِيهَا؛ إنْ هَدَمَ وَبَنَى. وَفِي الشَّرِيكِ الْقَرِيبِ مَعَهُمَا قَوْلانِ، لا بَيْنَ أَبٍ وَابْنِهِ إلّا بِكهِبَةٍ، إلّا أَنْ يَطُولَ مَعَهُمَا مَا تَهْلِكُ الْبَيّنَاتُ، وَيَنْقَطِعُ الْعِلْمُ، وَإِنّمَا تَفْتَرِقُ الدّارُ مِنْ غَيرِهَا فِي الأَجْنَبِي، فَفِي الدّابّةِ وَأَمَةِ الْخِدْمَةِ السّنَتَانِ، وَيُزَادُ فِي عَبْدٍ وَعَرْضٍ" (١).

ونظرا لقيمة هذا التقييد العلمية؛ لما اشتمل عليه من الفوائد والشوارد المتعلقة بمسائل الحيازة، ولما تميز به من حُسن العرض للفروع وترتيبها وتلخيصها، بعبارة سهلة واضحة بعيدة عن التكلّف والتعسّف، إضافة إلى كون مؤلّفه أحد الأئمة الأعلام ببلاد المغرب؛ ارتأيت تحقيق هذا التقييد وإخراجه للوجود، باذلا في ذلك وسعي، مراعيا ضوابط التحقيق وقواعده.

وقد قسمت العمل إلى قسمين؛ جعلت القسم الأول للدراسة، وتناولته في فصلين، جعلت الفصل الأول لترجمة المؤلف، والفصل الثاني للتعريف بالتقييد؛ أما القسم الثاني فقد خصصته للنص المحقق. وبالله التوفيق.

(١) مختصر خليل (ص: ٢٢٨)، باب أحكام الشهادات.

القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد بِنِّيس -بكسر الباء الموحدة، وكسر النون المشددة، ثم ياء وسين مهملة- الفاسي درا ومنشأ؛ ينتمي إلى فرقة الشيخ؛ أشهر وأعلى فِرَق بيت بِنِّيس المعروف في فاس، كان منهم العلماء، والأخيار، والأمناء، والتجار، وذوو الكلمة(١).

مولده ومشيخته:

ولد العلامة محمد بنيس عام ١١٦٠هـ بفاس، في بيت علم وفضل، فبعد حفظه للقرآن الكريم انصرف إلى طلب العلم على يد كبار علماء فاس ومشايخها في زمانه؛ حيث تتلمذ على يد شيخ الجماعة في وقته أبي عبد الله مَحمد بن قاسم جسوس (ت: ١١٨٢هـ)(٢)، وشيخ القراء في زمانه العلامة المتفنن أبي زيد عبد الرحمان بن أبي العلاء إدريس المنجرة (ت: ١١٧٩ هـ)(٣)، وتلقى الفقه عن الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بن علي البناني (ت: ١١٩٤ هـ)(٤) صاحب الحاشية المشهورة على شرح الزرقاني، وأخذ العربية والبيان عن القاضي أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن شقرون (ت: ١٢١٩ هـ)(٥)، وأخذ ما سوى القراءة وأحكامها من العلوم عن الأستاذ المقرئ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي الفهري (ت: ١٢١٤ هـ)(٦).

تلاميذه:

تخرج على يدي العلامة بنيس جلة من الفقهاء والعلماء، منهم: السلطان أبو الربيع سليمان بن محمد العلوي (ت: ١٢٣٨هـ)(٧)، الذي أخذ عنه النحو، والفقه، والحساب، والفرائض؛ والمفسر الصوفي أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني (ت: ١٢٢٨ هـ)(٨)، الذي أخذ عنه فرائض خليل، وجزءا من التسهيل، وقد أجازه العلامة بِنِّيس إجازة عامة؛ والفقيه العلامة أبو الفيض حمدون بن عبد

(١) تنظر ترجمته في: شجرة النور الزكية: ٥٣٦/١. الأعلام: ١٥/٦. إتحاف المطالع: ٩١/١. سلوة الأنفاس: ٢٢٤/١-٢٢٥. الفكر السامي: ٣٥١/٢. أزهار البستان لابن عجيبة: ٢٧٢-٢٧٣. زهر الآس: ١٧٧/١.

(٢) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٣٧٤/١-٣٧٦. شجرة النور الزكية: ٥١١/١. الفكر السامي: ٣٤٦/٢.

(٣) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٣٠٥/٢-٣٠٧. شجرة النور الزكية: ٥٠٩/١-٥١٠.

(٤) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ١٧٤/١-١٧٧. شجرة النور الزكية: ٥١٤/١.

(٥) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٩٨/١. شجرة النور الزكية: ٥٣٧/١.

(٦) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٣٥٧/٢-٣٥٨. شجرة النور الزكية: ٥٣٦/١.

(٧) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٤/٣. إتحاف المطالع: ١٣١/١.

(٨) تنظر ترجمته في: إتحاف المطالع: ١٠٤/١. شجرة النور الزكية: ٥٧١/١.

الرحمان بن حمدون، الشهير بابن الحاج (ت: ١٢٣٢ هـ)[١]؛ وأبو محمد عبد القادر بن أبي جيدة بن أحمد الكوهن (ت: ١٢٥٤ هـ)[٢] الذي عدّ في فهرسته العلاّمةَ بِنِّيسَ من جملة شيوخه.

آثاره:

ترك العلامة محمد بِنّيس جملة من المؤلفات المحرّرَة المفيدة، منها:

بهجة البصر في شرح فرائض المختصر[٣].

لوامع أنور الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري[٤].

حاشية على شرح بغية الطلاب في شرح منية الحساب لابن غازي[٥].

شرح للأربعين النووية مع ثلاثة غيره، وهم: أحمد التاودي بن سودة، وعبد القادر بن شقرون، والشيخ الطيب بن محمد بن كيران، حيث تولى كل واحد منهم شرح ربع الأحاديث[٦].

تقييد في حكم "قال" الواقعة بين رجال الإسناد[٧].

تحصيل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام، وهو موضوع هذا التحقيق.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان العلامة محمد بِنّيس من كبار الفقهاء في عصره، ممن تصدر للتدريس والإقراء، وانتفع به كثير من طلبة فاس وغيرها، برع في شتى العلوم والفنون، وخصوصا الفرائض، وقد أطبقت مصادر ترجمته على تحليته بصفات دالة على جلالة قدره؛ من ذلك:

قول تلميذه ابن عجيبة معرفا به: "شيخنا العلامة الفقيه الفهامة، فرضي وقته، وإمام عصره سيدي

(١) تنظر ترجمته في: سلوة الأنفاس: ٤/٣-٧. شجرة النور الزكية: ٥٤٣/١-٥٤٤.

(٢) تنظر ترجمته في: شجرة النور الزكية: ٥٦٦/١-٥٦٧.

(٣) الكتاب مطبوع، وله عدة طبعات.

(٤) توجد له طبعة قديمة على حاشية: "الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية" لمحمد بن قاسم جسوس. وقد صدر بتحقيق: عدنان زهار عن دار الرشاد الحديثة سنة: ٢٠١٨م.

(٥) طبعت على الحجر بفاس سنة ١٣١٧ ه بهامش الشرح المذكور.

(٦) طبع هذا الشرح للعلماء الأربعة على الحجر بفاس بإشارة السلطان سليمان على ذمة قاضي فاس عبد السلام الهواري عام ١٣٠٩ه.

(٧) طبع مع تقاييد أخرى في نفس الموضوع تحت عنوان: ثلاث رسائل في: "قال" في سند الحديث، بتحقيق الدكتور أحمد العراقي، ونشرته دار الكتب العلمية، سنة: ٢٠١٢م.

محمد بنيس... له مشاركة في الفنون، واختص بعلم الفرائض، فإليه الملجأ بفاس في حل مشكلاته"[1].

وقول تلميذه عبد القادر الكوهن في فهرسته: "شيخنا، الحافظ، اللافظ، المتقن، المحصّل"[2].

وقول صاحب سلوة الأنفاس: "الشيخ، الفقيه، العلامة، الدراكة، المحقق، الفهامة، الضابط المتفنن، المبارك المتفنن، الماهر في الفرائض والحساب، الفائق فيهما جميع الطلاب، البركة الصالح، المهتدى بهداه الواضح"[3].

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى بالوباء بمدينة فاس، وقد اختلفت مصادر ترجمته في تاريخ وفاته؛ فقيل: سنة ١٢١٤ هـ، وقيل: ١٢١٣ هـ؛ ودفن هو وشقيقه بروضة داخل باب عجيسة تعرف بهم، وقيل: بل خارجها.

الفصل الثاني: التعريف بالتقييد

صحة نسبته إلى المؤلِّف:

إن نسبة هذا التقييد للعلامة محمد بِنِّيس ثابتة من غير امتراء، وذلك للاعتبارات الآتية:

ذكر المؤلف لاسمه في آخر التقييد؛ حيث يقول: "وقيده عبيد ربه تعالى محمد بن أحمد بِنِّيس".

افتتاح بعض النسخ المخطوطة للتقييد بعبارة: "قال الشيخ الفقيه العالم العلاّمة سيدي محمد بن أحمد بنيس"؛ وفي بعضها: "قف على ما شرحه الشيخ بِنِّيس على الحيازة".

ذكر بعض مصادر ترجمة العلامة بِنِّيس لهذا التقييد من جملة مؤلفاته.

نسبة التقييد إلى بنيس في فهارس الخزائن والمكتبات التي احتوت على نسخه المخطوطة، مثل: فهرس خزانة القرويين، وفهرس المكتبة الوطنية بالرباط، وفهرس الخزانة الحسنية، وفهرس مكتبة علال الفاسي.

وصف النسخ المخطوطة المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على ثلاث نسخ، وهي:

- نسخة الخزانة الحسنية، المحفوظة تحت رقم: ٣٧٥٦، تقع في ست أوراق، وهي عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، إلا أنها من أحسن النسخ التي وقفت عليها، لندرة أخطائها ووضوحها، وقد رمزت لها بحرف (أ).

---

(١) أزهار البستان، لابن عجيبة: ٢٧٢.

(٢) فهرسة الفقيه عبد القادر الكوهن: ١٧.

(٣) سلوة الأنفاس: ٢٢٤.

ـ نسخة المكتبة الوطنية بالرباط، المحفوظة تحت رقم: ١٨٦١-د، تقع في عشر صفحات ضمن مجموع (من الصفحة ٣٥٨ إلى ٣٦٧)، كتب في آخرها: "نجز بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل على يد كاتبه أحمد بن محمد الغرابلي غفر الله له ولوالديه. ووافق الفراغ منه ضحوة يوم الثلاثاء رابع القعدة، عام ١٢٩٣ هـ"، وقد رمزت لها بحرف (ب).

ـ نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء، المحفوظة تحت رقم: ٨٣٩، تقع في ست صفحات، ضمن مجموع أوله كتاب: "بهجة البصر في شرح فرائض المختصر" للعلامة بنيس أيضا، وهي عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، وقد رمزت لها بحرف (ج).

منهج التحقيق:

سلكت في تحقيق هذا التقييد منهجية علمية تمثلت في الخطوات الآتية:

كتابة النص المخطوط وفق قواعد الإملاء الحديثة، وتقسيمه إلى فقرات، مع وضع علامات الترقيم المعينة على الفهم.

المقابلة بين النسخ، وإثبات الصواب، مع الإشارة إلى الفروق في الهامش.

كتابة عبارات متن مختصر خليل بخط غليظ، وجعلتها بين قوسين (...).

توثيق النقول والأقوال الواردة في النص.

ترجمة الأعلام والتعريف بهم بإيجاز.

نماذج من صور نسخ المخطوط المعتمدة:

[الصفحة الأولى من نسخة (أ)]

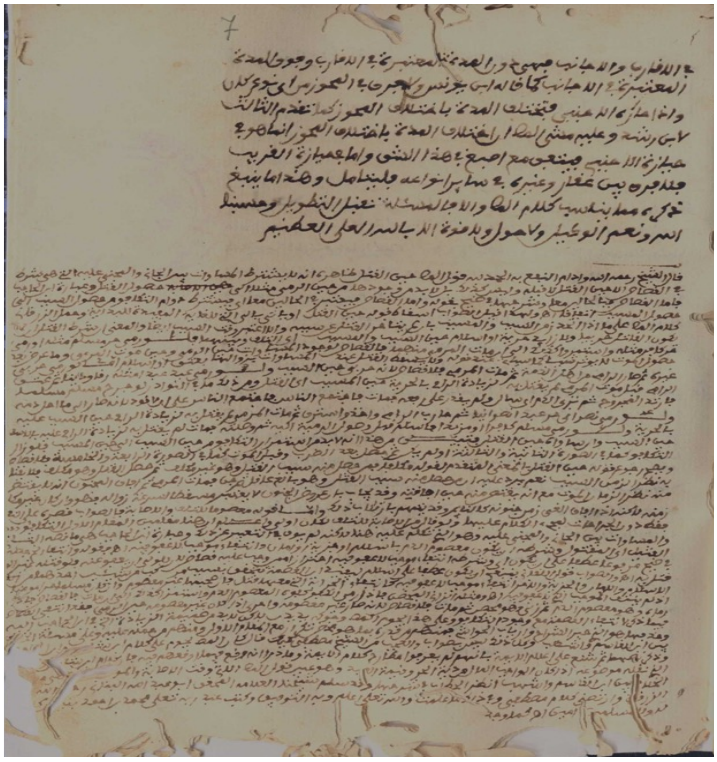

[الصفحة الأخيرة من نسخة (أ)]

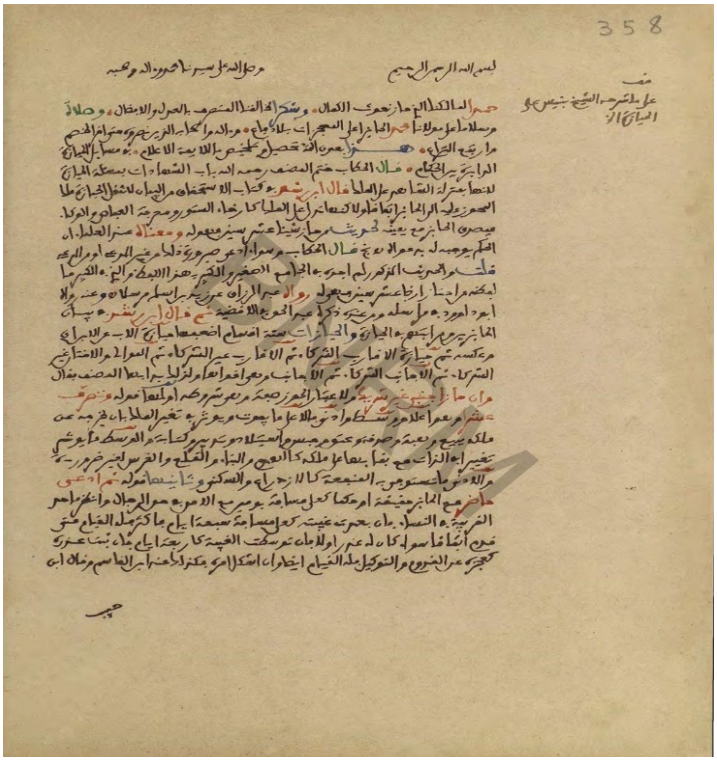

[الصفحة الأولى من نسخة (ب)]

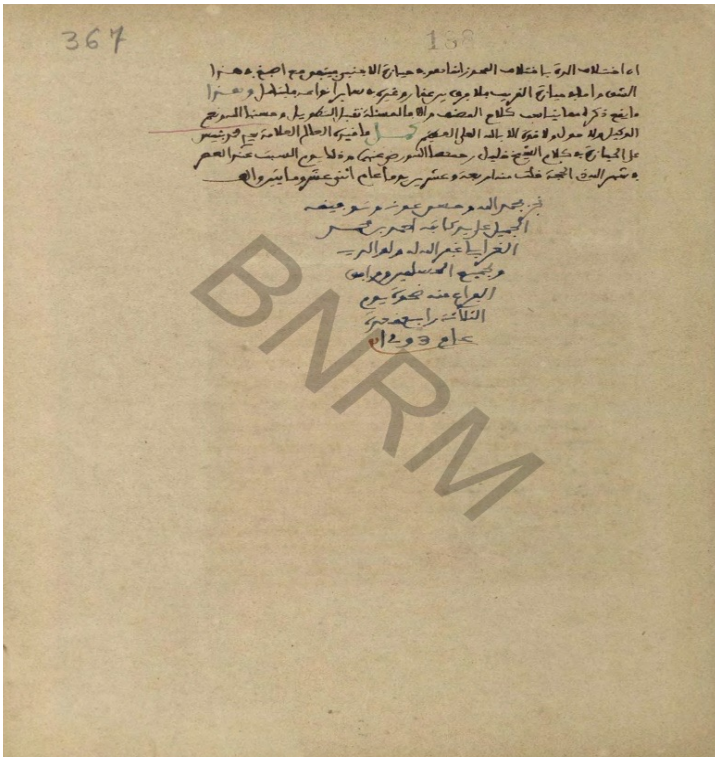

[الصفحة الأخيرة من نسخة (ب)]

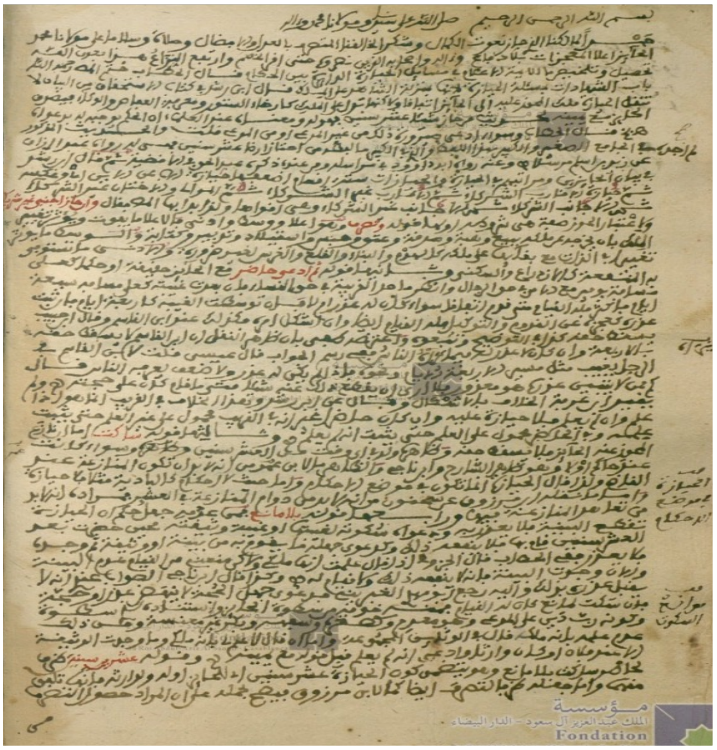

[الصفحة الأولى من نسخة (ج)]

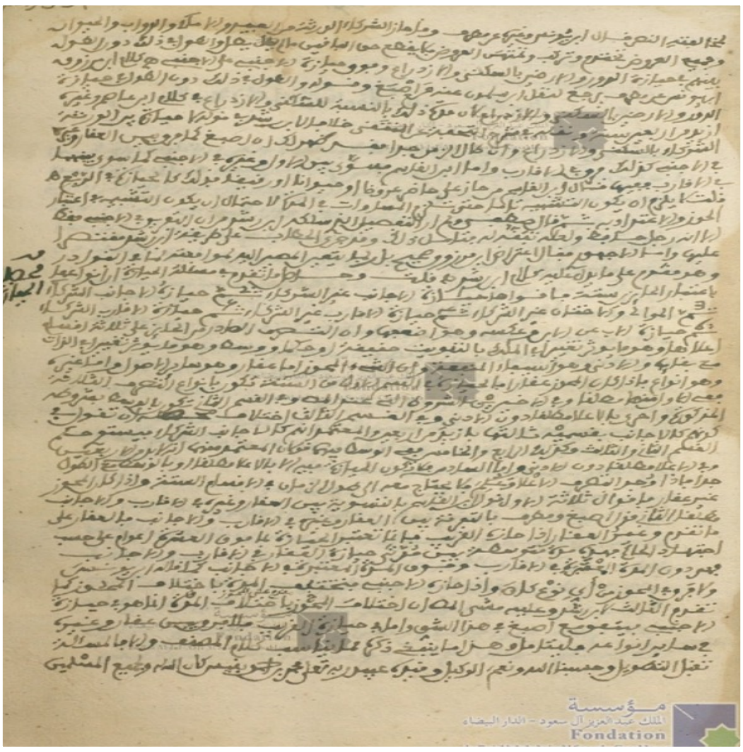

[الصفحة الأولى من نسخة (ج)]

القسم الثاني: النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه العالم العلاّمة سيدي محمد بن أحمد بنيس عامله الله بفضله، وأطال وجوده، آمين:

حمدا لمالكنا الذي حاز نعوت الكمال، وشكرا لخالقنا المتصرف بالعدل والإفضال، وصلاةً وسلامًا على مولانا محمد الحائز أعلى المعجزات بلا دفاع، وآله وأصحابه الذين نصروه حتى أقَرّ الخصم، وارتفع النزاع؛ هذا بعون الله "تحصيل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام".

قال الحطاب[1]: "ختم المصنف[2] رحمه الله باب الشهادات بمسألة الحيازة؛ لأنها بمنزلة الشاهد على المِلك. قال ابن رشد[3] في كتاب الاستحقاق من البيان: لا تنقل الحيازة ملك المحوز عليه إلى الحائز اتفاقا، ولكنها تدلُّ على الملك كإرخاء الستور، ومعرفة العِفَاص[4] والوِكَاء[5]، فيُصدّق الحائز مع يمينه؛ لحديث: "من حاز شيئا عشر سنين فهو له"؛ ومعناه عند العلماء أن الحكم يوجبه له بدعواه"[6].

باختصار.

قال الحطاب: "وسواء ادعى صيرورة ذلك من غير المدعي، أو من المدعي"[7].

قلت: والحديث المذكور لم أجده في الجامع الصغير والكبير بهذا اللفظ، والذي في الكبير ما لفظه:

تحصيل وتلخيص ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام

---

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعينيّ، المعروف بالحطاب، فقيه مالكي، من أشهر مؤلفاته: "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، توفي سنة: ٩٥٤هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٥٩٢. شجرة النور الزكية: ٣٨٩/١.

(٢) المراد: خليل بن إسحاق الجندي، أبو المودة (ت: ٧٧٦ هـ)، حامل لواء المذهب المالكي في زمانه بمصر، وصاحب المختصر الشهير. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ١٦٨-١٧٣. شجرة النور الزكية: ٣٢١/١.

(٣) ينظر قول ابن رشد في: البيان والتحصيل: ١٤٥/١١.
هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي، أبو الوليد، القرطبي، شيخ المالكية، وقاضي الجماعة بقرطبة ومفتيها، توفي سنة ٥٢٠ هـ. تنظر ترجمته في: الديباج المذهب: ٢٤٨/٢. شجرة النور الزكية: ١٩٠/١.

(٤) العِفَاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة من جلد، أو خرقة، أو غير ذلك. ينظر: لسان العرب، مادة (عفص).

(٥) الوِكَاء: كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء. ينظر: لسان العرب، مادة (وكي).

(٦) ينظر قول الحطاب في: مواهب الجليل: ٢٢١/٦.

(٧) المرجع نفسه.

"من احتاز أرضا عشر سنين فهي له؛ رواه عبد الرزاق[١] عن زيد بن أسلم[٢] مرسلا"[٣] اهـ. وعنه رواه أبو داود[٤] في مراسله[٥]، ومن عنده ذكره عبد الحق[٦] في الأقضية.

ثم قال ابن رشد في بيان الحائزين ومراتبهم في الحيازة: "والحيازات ستة أقسام؛ أضعفها حيازة الأب عن الابن؛ أي: وعكسه، ثم حيازة الأقارب الشركاء، ثم الأقارب غير الشركاء، ثم الموالي والأختان غير الشركاء، ثم الأجانب الشركاء، ثم الأجانب غير الشركاء[٧]، وهي أقواها"[٨].

ولذا بدأ بها[٩] المصنف فقال: **(وَإِنْ حَازَ أَجْنَبِيٌّ غَيْرُ شَرِيكٍ)**، ولاعتبار الحوز صفة هي[١٠] شروطه؛ **أولها** قوله: **(وَتَصَرَّفَ)**؛ وهو أعلى، ووسط، وأدنى.

فالأعلى: ما يفوّت ويؤثر في[١١] تغيير الملك؛ بأن يخرجه عن ملكه ببيع، وهبة، وصدقة، وعتق، وحبس، واستيلاد، وتدبير، وكتابة؛ **والوسط:** ما يؤثر تغييرا في الذات، مع بقائها على ملكه: كالهدم، والبناء، والقلع، والغرس لغير ضرورة؛ **والأدنى:** ما تستوفى به المنفعة: كالازدراع، والسكنى.

وثانيها؛ قوله: **(ثُمَّ ادَّعَى حَاضِرٌ)** مع الحائز حقيقة، أو حكما كعلى مسافة يومين مع الأمن في حق الرجال. وانظر ما حد القريبة في حق[١٢] النساء.

فإن بعدت غيبته كعلى مسافة سبعة أيام فأكثر، فله القيام متى قدم اتفاقا؛ سواء كان له عذر، أم لا؛

---

(١) هو زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، ويكنى أبا أسامة، عالم ثقة من أهل المدينة، توفي سنة ١٣٦ ه. تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥٠٧/٧. سير أعلام النبلاء: ٣١٦/٥.

(٢) هو زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، ويكنى أبا أسامة، عالم ثقة من أهل المدينة، توفي سنة ١٣٦ هـ. تنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥٠٧/٧. سير أعلام النبلاء: ٣١٦/٥.

(٣) الجامع الكبير للسيوطي: ٤١٤/٨.

(٤) هو أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي، الإمام الحافظ، صاحب السنن، توفي سنة: ٢٧٥ هـ. تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: ٢٠٣/١٣-٢٢١. طبقات الحفاظ للسيوطي: ٢٦٥.

(٥) المراسيل لأبي داود: ٢٨٦، حديث رقم: ٣٩٤.

(٦) ينظر: الأحكام الوسطى، لعبد الحق الإشبيلي: ٣٥٦/٣.
هو: أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، يعرف بابن الخراط، نزيل بجاية، الإمام الحافظ، العالم بالحديث وعلله ورجاله، توفي سنة ٥٨١ هـ. تنظر ترجمته في: الديباج المذهب: ٥٩/٢. شجرة النور الزكية: ٢٢٤/١-٢٢٥.

(٧) "غير الشركاء": سقطت من (ب).

(٨) ينظر قول ابن رشد في: البيان والتحصيل: ١٤٦/١١. مواهب الجليل: ٢٢١/٦.

(٩) أي حيازة الأجنبي غير الشريك.

(١٠) في (ب): "وهي".

(١١) "في": سقطت من (ب) و(ج).

(١٢) "حق": سقطت من (ب).

فإن توسطت الغيبة كأربعة أيام، فإن ثبت عذره كعجزه عن القدوم والتوكيل، فله القيام أيضا؛ وإن أشكل أمره، فكذلك عند ابن القاسم[١]، وقال ابن حبيب[٢]: يسقط حقه؛ كذا في التوضيح[٣] وتبعوه[٤].

واعترضه مصطفى[٥] بأن: "ظاهر النقل أن ابن القاسم لا يسقط حقه بالأربعة، ولو[٦] كان لا عذر له فيما يراه الناس، ففي رسم الجواب: قال عيسى[٧]: قلت لابن القاسم في الرجل يغيب مثل مسير الأربعة الأيام[٨] ونحوها[٩]، فإذا لم يكن له عذر، ولا ضعف يعرفه الناس، قال: كم ممن لا يتبين عذره للناس هو معذور، فلا أرى أن يقطع ذلك عنه شيئا؛ متى ما قام، كان على حجته"[١٠]. اهـ

ولم يقيّد ابن عرفة[١١] الخلاف بالإشكال، وقال عن[١٢] ابن رشد: "وهذا الخلاف في القريب إنما هو إذا علم؛ وإن لم يعلم، فلا حيازة عليه، وإن كان حاضرا، غير أنه في القريب محمول على غير العلم، حتى يثبت علمه، وفي الحاضر محمول على العلم، حتى يثبت أنه لم يعلم"[١٣]. اهـ

---

(١) ينظر قول ابن القاسم في: التوضيح: ٤٤/٨.
هو: عبد الرحمن بن القاسم العتقي، أبو عبد الله، المصري، الفقيه المالكي؛ صحب مالكًا عشرين سنة وانتفع به، صاحب "المدونة الكبرى"، توفي سنة ١٩١ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ٢٤٤/٣. الديباج المذهب: ٤٦٥/١.

(٢) ينظر قول ابن حبيب في: التوضيح: ٤٤/٨.
هو: عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، الإلبيري، القرطبي، أبو مروان، عالم الأندلس وفقيهها في عصره، توفي سنة: ٢٣٨ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ١٢٢/١. الديباج المذهب: ٨/٢.

(٣) هو كتاب خليل بن إسحاق، شرَحَ فيه مختصر ابن الحاجب الفرعي.

(٤) ممن تبع قول التوضيح الأجهوري والزرقاني. ينظر: حاشية البناني على شرح الزرقاني: ٤١٣/٧.

(٥) هو: مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي، أبو الخيرات، من فقهاء المالكية الأعلام، له حاشية مشهورة على شرح التتائي على المختصر. توفي سنة: ١١٣٦ هـ. تنظر ترجمته في: شجرة النور الزكية: ٤٨٢/١.

(٦) في (ج): "وإن".

(٧) عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، أبو عبد الله، أصله من طليطلة، وسكن قرطبة، رحل فسمع من عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك، وتفقه عليه، توفي سنة ٢١٢ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ١٠٥/٤. الديباج المذهب: ٦٤/٢.

(٨) في (ب): "أربعة أيام".

(٩) في (ج): "ونحوه".

(١٠) تنظر: حاشية البناني على شرح الزرقاني: ٤١٣/٧.

(١١) هو محمد بن محمد بن محمد بن عرفة، أبو عبد الله الورغمي التونسي، الشهير بابن عرفة، إمام تونس وخطيبها بجامعها الأعظم، وغليه المرجع في الفتوى، من أجلّ كتبه: "المختصر الكبير" في فقه المالكية، توفي سنة ٨٠٣ هـ، تنظر ترجمته في: الديباج المذهب ٣٣١/٢. نيل الابتهاج: ٤٦٣. شجرة النور ٣٢٦/١.

(١٢) "عن": سقطت من (ب)

(١٣) المختصر الفقهي لابن عرفة: ٥٢٠/٩.

وثالثها قوله: **(سَاكِتٌ)**، أما إن نازع[1] المحوز عنه الحائز، فلا يسقط حقه؛ وظاهره ولو في أيّ وقت من العشر سنين، وسواء كانت عند حاكم، أو لا؛ وهو ظاهر الشارح وابن ناجي[2]، والظاهر ما[3] لابن عمر[4] من أنه لا بد أن تكون المنازعة عند القاضي؛ ولذا قال: "الحيازة إنما تكون في موضع الأحكام، وأما من[5] حيث لا أحكام كالبادية مثلا فلا حيازة".

وأما ما نقله ابن مرزوق[6] عن سحنون[7] من أنه لا بد من دوام المنازعة في العشر، فمراده أنه لا بد من تعاهد المنازعة فيها[8].

ورابعها قوله: **(بِلَا مَانِعٍ)**، فمِنْ عَدَمِه جهلُ حكم أن الحيازة تقطع البينة، فلا يعذر به، ودعواه سكوته لغيبتها، أو غيبة وثيقته، فحين حضرت بعد العشر سنين قام بها، فلا ينفعه ذلك؛ وكدعوى جهله ما[9] يقوم به من بينة، أو وثيقة، ثم وجده، فلا يعذر؛ ففي الحطاب: "قال الجزولي[10]: إذا قال علمت أنها ملكي؛ ولكن منعني من القيام عدم البينة، والآن وجدت البينة، فإنه لا ينفعه ذلك، ولا قيام له"[11]. اهـ

---

(١) في (أ): "نزع".

(٢) هو أبو الفضل، قاسم بن عيسى بن ناجي، التنوخي، القيرواني، الإمام الفقيه الحافظ للمذهب، ولي قضاء باجة وجربة وقيروان، له شرح على الرسالة والمدونة، توفي سنة ٨٣٧. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٣٦٤. شجرة النور الزكية: ٣٥٢/١.

(٣) "ما": سقطت من (ب).

(٤) هو: أبو الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي، إمام وخطيب جامع القرويين، وأحد فقهاء فاس المفتين، له شرح على رسالة ابن أبى زيد، تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٦٢٧. شجرة النور الزكية: ٣٣٥/١.

(٥) "من": سقطت من (ج) و(ب).

(٦) هو محمد بن أحمد بن محمد، العجيسي التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بابن مرزوق الحفيد، حجة في المذهب المالكي، من أشهر كتبه: "المنزع النبيل في شرح مختصر خليل"، توفي سنة ٨٤٢ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٥٧٤. شجرة النور الزكية: ٣٦٤/١.

(٧) هو: أبو سعيد، عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، القيرواني، تفقه بابن القاسم وابن وهب وأشهب، ثم انتهت الرياسة إليه في العلم بالمغرب توفي سنة: ٢٤٠ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ٤٥/٤. والديباج المذهب: ٣٠/٢.

(٨) في (ب): "بينهما".

(٩) في (ب): "جهله مدة ما".

(١٠) أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي، شيخ المدونة، أحد فقهاء فاس الأعلام، قيدت عنه على الرسالة ثلاث تقاييد، أحدها في سبعة أسفار، توفي سنة: ٧٤١ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٢٤٤. شجرة النور الزكية: ٣١٤/١.

(١١) مواهب الجليل: ٢٢٣/٦. حاشية الدسوقي: ٢٣٤/٤.

وكذا قال ابن ناجي: "الصواب عندي أنه لا يقبل عذره بذلك، وإليه رجع أبو مهدي الغبريني[1]"[2].

فدعوى جهل الحجة لا ينهض عذرًا وحجةً، فإن سكت لمانع كان له القيام، فمنه خوفه من سطوة الحائز، واستناده لذي سطوة، وكونه ربّ دين على المدعي وهو معدِم، وكصِغَره، وسفهه، وبِكْر غير مُعَنّسة.

ومن ذلك عدم علمه بأنه ملكه، قال في الوثائق المجموعة[3]: "وأما إن قال لا علم لي بأنه ملكي، وما وجدت الوثيقة إلا عند فلان، أو كان وارثا وادعى أنه لم يعلم، قُبِل قوله مع يمينه"[4].

وقوله: **(عَشْرَ سِنِين)**؛ ظرف لحاضر ساكت بلا مانع، وهو يتضمن كون الحيازة عشر سنين؛ أي للحائز، أو له ولوارثه، فإنها تلفق منهما؛ وأما جعله ظرفًا لتصرف أيضا كما لابن مرزوق، فيصح بحمله على أن المراد حصول التصرّف من الحائز داخل العشر سنين[5] في أيِّ جزء من أجزائها، لا أن المراد[6] الاستيعاب كما فهمه الأجهوري[7] وأتباعه.

فإذن كلٌ من العوامل المذكورة يتنازع في[8] قوله: **(عَشْرَ سِنِين)** ويكون جاريا على ظاهر[9] قول التسهيل[10]: "تنازع العاملين[11] فصاعدا معمولا واحدا"[12]، وإما على حصر التنازع في الثلاثة فيُقدّر معمولٌ[13] لما زاد عليها، فعلى قول البصريين يقدر زائدا ما عدا الثلاثة الأخيرة، وعلى قول الكوفيين

(١) هو: عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد الغبريني، أبو مهدي التونسي، قاضي الجماعة بتونس، وخطيب جامعها الأعظم بعد ابن عرفة، توفي سنة: ٨١٣ أو ٨١٥ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٢٩٨. شجرة النور الزكية: ٣٥٠/١.

(٢) ينظر قول ابن ناجي في: مواهب الجليل: ٢٢٣/٦. حاشية البناني على الزرقاني: ٤١٤/٧.

(٣) هو كتاب لأبي محمد عبد الله بن فتوح بن موسى بن عبد الواحد السبتي، جمع فيه أمهات كتب الوثائق وفقهها. ينظر: ترتيب المدارك: ١٦٦/٨.

(٤) ينظر: جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر للتائي: ٣٦٧/٧. شرح الزرقاني على المختصر: ٤١٥/٧.

(٥) "سنين": سقطت من (ج)

(٦) في (ب): "لأن المراد".

(٧) هو علي بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الإرشاد، نور الدين الأُجْهُوريّ، شيخ المالكية فى عصره بالقاهرة، كان محدثا فقيها، توفي بمصر سنة ١٠٦٦ هـ. تنظر ترجمته في: نشر المثاني: ٨٠/٢. شجرة النور الزكية: ٤٣٩/١.

(٨) "في": سقطت من (ج).

(٩) "ظاهر": سقطت من (ب).

(١٠) هو كتاب في النحو والصرف لابن مالك، واسمه الكامل: "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد".

(١١) في (أ) و(ب): "العامل". والمثبت هو الموافق لما في التسهيل.

(١٢) شرح التسهيل لابن مالك: ١٦٤/٢.

(١٣) "معمول": سقطت من (ب).

ما عدا الثلاثة الأُول[1]، وفي التسهيل: "والأحقُّ[2] بالعمل الأقرب، لا الأسبق، خلافا للكوفيين"[3]. اهـ

قال الدماميني[4]: "وما أحسن تعبير المصنف بالأقرب والأسبق؛ لكونه مع إفادة الحكم مشعرا بشبهة كل من أهل البلدين، ولشموله ما إذا كان التنازع في أكثر من عاملين"[5]. اهـ

وبهذا[6] تعلم ما في الخرشي[7] والزرقاني[8]، وبقيَ من الشروط أن يدعيَ الحائز ملك الشيء المحاز، وينسبه لنفسه ولو مرة؛ وأما إن لم يكن له حجة إلا مجرد الحوز، فلا ينفعه كما قال ابن مرزوق.

ثم ذكر جواب الشرط المذكور مع شروطه فقال: **(لَمْ تُسْمَعْ)** دعواه، كسماعها على غير حائز؛ بحيث تكون البينة على المدعي، واليمين على من أنكر؛ وليس المراد نفي سماعها مطلقًا؛ إذ تسمع لاحتمال إقرار الحائز للمدعي، أو اعتقاد الحائز أن مجرد حوزها تلك المدة يوجب له ملكها، وإن كانت ثابتة الملك لغيره؛ ففائدة عدم سماع الدعوى سقوط اليمين على[9] الحائز المنكر؛ ففي المدونة: "والحيازة كالبينة القاطعة لا يحتاج معها ليمين"[10]. اهـ

وقال عيسى: "يحلف الحائز"[11]، وفي الحطاب: "القول بنفي اليمين عزاه في التوضيح لظاهر نقل ابن يونس[12] وغيره، والقول باليمين عزاه لصريح كلام ابن رشد؛ فهو أقوى، وهو الظاهر"[13] اهـ.

---

(١) في (ب): "الأولى".

(٢) في (ج): "اللحق".

(٣) شرح التسهيل لابن مالك: ١٦٤/٢.

(٤) "قال الدماميني": سقطت من (ب).
هو: بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني القرشي الإسكندري، الأديب النحوي اللغوي، له شرح على مغني اللبيب وشرح على التسهيل، توفي سنة ٨٢٧ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٤٨٨. شجرة النور الزكية: ٣٤٦/١.

(٥) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، للدماميني: ٥٥/٥.

(٦) في (ج): "وبه".

(٧) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخِرشي، فقيه مالكي، انتهت إليه رئاسة العلم بالأزهر، له شرح على المختصر، توفي سنة ١١٠١ هـ. تنظر ترجمته في: نشر المثاني: ١٨/٣-٢٣. شجرة النور الزكية: ٤٥٩/١.

(٨) هو أبو محمد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني، المالكي المصري، له شرح على مختصر خليل، من أحسن الشروح وأشهرها، توفي سنة: ١٠٩٩ هـ. تنظر ترجمته في: نشر المثاني: ٣٥٥/٢. شجرة النور: ٤٤١/١.

(٩) في (ج): "عن".

(١٠) ينظر: شرح الزرقاني: ٤١٧/٧. الشرح الكبير للدردير: ٢٣٤/٤-٢٣٥.

(١١) ينظر: حاشية البناني: ٤١٥/٧. حاشية الدسوقي: ٢٣٥/٤.

(١٢) هو أبو بكر، محمد بن عبد الله بن يونس، التميمي، الصقلي، الإمام الفقيه الفرضي، أحد أئمة الترجيح، ألف كتابا جامعا للمدونة أضاف إليها غيرها من الأمهات، توفي سنة: ٤٥١ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ١١٣/٨. الديباج المذهب: ٢٤٠/٢. شجرة النور الزكية: ١٦٤/١.

(١٣) مواهب الجليل: ٢٢١/٦.

فاستظهر خلاف مذهب المدونة.

وإنما لم تسمع دعواه بعد المدة المذكورة مع شروطها؛ لأن العرف يكذبه، إذ سكوته تلك المدة دليل على صدق الحائز؛ ولذا قال ابن عرفة: "وصدّر الشيخ باب الحيازة بتقريره أن مدلول عوائد الناس كالإقرار"[1].

قلت: ومسائل المدونة واضحة به، وتقدّم الكلام على اعتبار العادة الفعلية والقولية في كتاب الأيمان والنذور؛ فلذا قال ابن شاس[2] في أثناء الحيازة مستدلا على اعتبارها بقوله: "لأن كل دعوى ينفيها العرف، وتكذبها العادة مرفوضة، قال تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وأوجب الشرع الرجوع إليه عند الاختلاف في الدعاوى"[3]. اهـ

وما ذكره المصنف من التحديد بالعشر هو الذي شهّره ابن رشد[4] وغيره، وهو الذي في الرسالة[5]، وعزاه في المدونة لربيعة[6]، ويدل له حديث: "من حاز شيئا عشر سنين فهو له"، وهو خاص بالعقار كما يأتي، ولابن القاسم في الموازية: "ما قارب العشر كسبع، وثمان كالعشر"[7]، وقال مالك في المدونة: "تحد باجتهاد الحاكم"[8].

تنبيه: يستثنى من قوله: (لم تسمع... إلخ) ما إذا كان الحائز معروفًا بالغصب لأموال الناس، فإن الحيازة لا تنفعه؛ ففي ابن عرفة: "سمع يحيى[9] ابن القاسم: من عُرِف بالغصب لأموال الناس، لا ينتفع بحيازة مال غيره في وجهه؛ فلا يصدق من أجلها على ما يدّعيه من شراء، أو عطية، وإن طال بيده أعواما، إذا أقر بأصل الملك لمدعيه، أو قامت له به[10] بينة. قال ابن رشد: وهذا صحيح لا خلاف فيه"[11].

---

(١) المختصر الفقهي لابن عرفة: ٥١٩/٩.

(٢) هو أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن شاس الجذامي السعدي، فقيه مالكي مصري، توفي سنة ٦١٠ هـ. تنظر ترجمته في: الديباج المذهب: ٤٤٣/١. شجرة النور الزكية: ٢٣٨/١.

(٣) عقد الجواهر الثمينة، لابن شاس: ١٠٨٤/٣.

(٤) ينظر: البيان والتحصيل: ١٤٥/١١. التوضيح: ٤٣/٨.

(٥) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني: ٣٧١/٢.

(٦) المدونة الكبرى: ٥٠/٤.

(٧) المختصر الفقهي لابن عرفة: ٥١٩/٩. حاشية البناني على الزرقاني: ٤١٤/٧.

(٨) المدونة الكبرى: ٤٩/٤. حاشية البناني على الزرقاني: ٤١٤/٧.

(٩) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي القرطبي، الإمام الحجة الثبت، رئيس علماء الأندلس وفقيهها، توفي سنة: ٢٣٤ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ٣٧٩/٣. الديباج المذهب: ٣٥٢/٢. شجرة النور الزكية: ٩٥/١.

(١٠) في (ب): "قامت لربه".

(١١) مختصر ابن عرفة: ٧٤/٨-٧٥.

وأما قول المصنف: (وَلاَ بَيِّنَتُهُ)، فإنما ذكره لدفع توهم أن دعواه مع البينة تسمع، ولأجل قوله: (إلّا) أن تشهد البينة (بإِسْكَانٍ) من المدّعي للحائز (وَنَحْوِه)؛ أي الإسكان كإعماره، أو إرفاق، أو مساقاته، أو مزارعته، فإن ذلك لا يفوته على صاحبه، وتسمع بينته؛ فليس مراده إلا بدعوى إسكان لعدم قبول دعواه مع إنكار الحائز، نعم إن أقر له به، كان كالبينة، أو أولى ،كما في ابن مرزوق، ثمّ لا بد من حلفه مع بينته إن ادعى الحائزُ الملكيةَ من المدعي، أو غيره ببيع، أو هبة، فإن ادعى مجرد الحيازة، لم يحلف مقيم البينة معها؛ قاله في التوضيح[1]، وأصله لابن رشد والمازري[2].

وهذا في القضاء للمدّعِي، وما تقدم من كلام المدونة وغيرها في القضاء للحائز.

وقال ابن رشد: "الحيازة لا ينتفع الحائز بها إلا أن يجهل أصل دخوله فيها؛ وأما إذا علم أصل دخوله فيها[3] كان على وجهٍ مّا من غصب، أو عارية، أو إسكان، أو إرفاق، أو إمساك ما حكم عليه به، فلا ينتفع بطول حيازته له، إلا أن يطول زمان ذلك جدا، ولم يحد في هذه الرواية في ذلك[4] حدا، إلا أنه قال: قدر ما يخشى أن يكون من يعرف ذلك الحق قد هلك، أو نسي لطول زمانه، فقد يتأول أن الطول في هذا عشرون عاما على ما وقع في سماع عيسى في كتاب القسمة أن في عشرين يَبيد الشهود، وحدّ ابن حبيب فيه الخمسين سنة[5]، وحكاه عن مطرف[6] وأصبغ[7]؛ وهذا عندي إذا ادّعى بعد هذا الطول أنه قد صار إليه بعد الحكم عليه بوجه كذا، لوجه يذكره مما يصح به انتقال الأملاك؛ وأما أن يكون طول مقامه بيده يحقق[8] له ملكه دون أن يدعي تصييره إليه مِلكا، فلا.

والبيع والهبة والإصداق والصدقة[9] والبناء والغرس على ما حكى ابن حبيب، ومطرف، وابن

---

(١) التوضيح: ٤٦/٨.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، المعروف بالإمام، أحد الأئمة الأعلام، بلغ درجة الاجتهاد، ولم يُفْتِ بغير مشهور مذهب مالك، توفي سنة: ٥٣٦ هـ. تنظر ترجمته في: الديباج المذهب: ٢٥١/٢. شجرة النور الزكية: ١٨٦/١.

(٣) "وأما إذا علم أصل دخوله فيها": سقطت من (ج).

(٤) "في ذلك": سقطت من (ب).

(٥) في (ج): "عاما".

(٦) هو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان الهلالي، أبو مصعب، المدني، روى عن جماعة منهم مالك وبه تفقه، توفي سنة ٢٢٠ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ١٣٣/٣. الديباج المذهب: ٣٤٠/٢. شجرة النور الزكية: ٨٦/١.

(٧) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، المصري، القرشي، المالكي، أبو عبد الله، صحب بن القاسم وابن وهب وأشهب وسمع منهم، توفي سنة ٢٢٥ هـ. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك: ١٧/٤. الديباج المذهب: ٢٩٩/١. شجرة النور الزكية: ٩٩/١.

(٨) في (ب): "فحقق".

(٩) "والصدقة": سقطت من (ب).

الماجشون[١]، وأصبغ كالطول في ذلك"[٢]. انتهى من شرح أول مسألة من رسم المكاتب من سماع يحيى من كتاب الأقضية الثاني.

فاستفيد منه تقييد قول المصنف: (إلا بإسكان... إلخ) بما إذا لم يطل ذلك جدا، وبما[٣] إذا لم يحصل من الحائز بحضرة المدعي تفويت ونحوه مما لا يحصل إلا من المالك في ملكه؛ وهو التصرف الأعلى، أو الوسط؛ ويقيّد أيضا بحق الآدمي؛ وأما في حق الله كوقف وبناء بطريق فتسمع البينة، ولو زادت مدة الحيازة على الأمد المذكور قطعا في الأول، وقيّد ابن عرفة الثاني بما لم يتقادم البناء في الطريق كستين سنة، والإطلاق هو الموافق لقول المصنف في باب الشركة: وبهدم بطريق ولو لم يضر، فظاهره ولو تقادم؛ ويستثنى من قوله: (ولا بينته)[٤]: الديون الثابتة، ففي فتاوى البرزلي[٥]: "اختلف المذهب في حد السقوط القاطع لطلب الديون الثابتة[٦] في الوثائق والأحكام مع حضور ربها وتمكنه، فقيل: عشرون سنة، وهو قول مطرف؛ وقيل: ثلاثون، وهو قول مالك"[٧].

قال: "وأحفظ لابن رشد في شرحه أنه إذا تقرر الدين وثبت، لا يبطل وإن طال؛ لعموم خبر: "لا يبطل حق امرئ مسلم وإن قدُم"[٨]، واختاره التونسي؛ إذا كان بوثيقة مكتوبة، وهي في يد الطالب، واختاره شيخنا الغبريني، وسواء كان من مبايعة، أو سلف، أو صدقات[٩]"[١٠]. اهـ

وما قاله ابن رشد هو الذي في المعيار عن العبدوسي[١١]، وزاد تفصيلا آخر في دعوى القضاء، ونصه: "وسئل سيدي عبد الله العبدوسي عمن له دين على رجل برسم، وللرسم المذكور مدة من أربعين سنة، فهل يبطل الدين بتقادم عهده أم لا؟

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون التيمي، أبو مروان، المدني، مفتي المدينة، تفقه بأبيه ومالك وغيرهما، توفي على الأشهر سنة ٢١٢ ه. تنظر ترجمته في: ترتيب المدارك:١٣٦/٣. الديباج المذهب: ٦/٢. شجرة النور الزكية: ٨٥/١.

(٢) البيان والتحصيل: ٢٦٠/٩.

(٣) في (ب): "أو بما".

(٤) في (أ) و(ب): "ولا بينة".

(٥) هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي القيرواني، المعروف بالبرزلي، نزيل تونس، وأحد أئمة المالكية في المغرب، توفي سنة ٨٤٤ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٣٦٨. وشجرة النور الزكية: ٣٥٢/١.

(٦) "ففي فتاوى البرزلي اختلف المذهب في حد السقوط القاطع لطلب الديون الثابتة": سقطت من (ب) و(ج).

(٧) فتاوى البرزلي: ٨١/٣.

(٨) لم أقف على هذا الحديث في مصادر الحديث.

(٩) في (ب): "صدقة".

(١٠) فتاوى البرزلي: ٨٢/٣. حاشية البناني على الزرقاني: ٤١٧/٧.

(١١) هو عبد الله بن محمد بن موسى، أبو محمد العبدوسي، الفاسي، مفتيها وعالمها ومحدثها، خطيب جامع القرويين، توفي سنة: ٨٤٩ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٢٣١. شجرة النور الزكية: ٣٦٧/١.

فأجاب: طول المدة المذكورة لا يبطل الدين على المديان المذكور، ولا خلاف في ذلك، وإنما الخلاف إذا كان الدين برسم، وطالت المدة جدا، وادّعى المديان قضاءه، ولم يكن هناك ما يدل على أنه لم يقضه من مغيب، أو إكراه، أو إنكار، أو غير ذلك، فقيل: يقبل قوله في القضاء مع يمينه، وقيل: لا يقبل، وهو المشهور؛ وإن كان بغير رسم، فقيل: يقبل قوله في القضاء مع طول المدة مع يمينه على المشهور، ولاسيما إن كان ربّ الدين محتاجا، والذي عليه الدين مليًا، وكانا حاضرين[١]، ولا دلالة بينهما تمنع من الطلب، وبالله تعالى التوفيق"[٢]. انتهى من نوازل البيوع. وظاهرٌ[٣] أن هذا التفصيل لا يؤخذ من كلام البرزلي.

وأشار للنوع الثاني من أنواع الحيازة بقوله: **(كَشَرِيكٍ)** في المتنازع فيه لا مطلقا **(أَجْنَبِيٍّ)**، والأنسب بمقابلته بما قبله كأجنبي شريك؛ **(حَازَ فِيهَا)**، أي في العشر سنين **(إِنْ هَدَمَ)**، أو قلع غرسا، والواو بمعنى "أو" في قوله: **(وَبَنَى)** كثيرا بالعرف للتوسعة، فتثبت له الحيازة بذلك؛ ونبّه عليه؛ لأنه قد يتوهم أن الشريك يحابي[٤] شريكه، فتسمع دعواه وبينته، فنفى ذلك.

وأما إن هدم ما يخشى سقوطه، أو بنى يسيرا، فإن ذلك لا يمنع من قيام شريكه، ومثل البناء غرس بدار، أو أرض، وهذا كله من التصرف الوسط؛ فأما التصرف الأعلى فهو بهذا الحكم أولى كما إذا باع، أو وهب، أو تصدق، أو أنحل، أو أعتق، أو كاتب، أو دبّر، أو وطئ؛ وأما التصرف الأدنى كالاستغلال فينفع في غير الدار والأرض من سائر الأصول، ولا ينفع استخدام رقيق، أو ركوب دابة، أو لبس ثوب كما سيأتي.

وأشار للنوع الثالث بقوله: **(وفِي)** حيازة **(الشَّرِيكِ القَرِيبِ)**، والأنسب بالأول القريب الشريك **(مَعَهُمَا)**: أي مع الهدم، وما يقوم مقامه مما مرّ، **(قَوْلَانِ)** في تعيين المدة التي تكفي في الحيازة، فقيل: تكفي العشرة، وقيل: لا بدّ من الزيادة على الأربعين عاما، وهو المعتمد بين الأقارب، ولو غير شركاء في عقار[٥]؛ وهو النوع الرابع، إلا لعداوة بينهم، فهم حينئذ كالأجانب الشركاء، ومثلهم الأصهار الذين لا قرابة بينهم والموالي[٦]؛ وهو النوع الخامس، فالأجنبي الشريك والأصهار والموالي حكمهم واحد على المشهور، والفرق بين الثلاثة والأقارب شدة المداخلة بينهم في القريب دونهم غالبا، والحكم للغالب.

---

(١) في (ج): "حاضرا".

(٢) المعيار المعرب: ١٨٥/٥.

(٣) في (ب): "وظاهره".

(٤) في (ب): "يجاب".

(٥) في (ج): "العقار".

(٦) في (ب): "وبالموالي".

وأشار للنوع السادس بقوله: **(لَا)** تعتبر الحيازة[١] **(بَيْنَ أَبٍ)** وإن علا كما في مختصر المتيطية[٢]، **(وَابْنِهِ)**؛ أي لا يَصِحُّ حوز أحدهما على الآخر بكهدم وما ألحق به من سائر أنواع التصرف الوسط، وأحرى الأدنى، نعم تكون الحيازة بينهما بالتصرف الأعلى كما أشار إليه بقوله: **(إِلَّا)** بما يحصل به التفويت **(بِكَهِبَةٍ)** وبيع وصدقة وعتق وتدبير وكتابة ووطء ونحو ذلك، و**(إِلَّا أَنْ يَطُولَ)** أمد الحيازة بين الأب وابنه **(مَعَهُمَا)**، أي مع الهدم والبناء، أو مع أحدهما؛ والمراد التصرف الوسط، **(ما)** أي زمانا يغلب على الظن معه أنه **(تَهْلَكَ البَيِّنَاتُ**[٣]**)** فيه **(وَيَنْقَطِعَ العِلْمُ)** معه بحقيقة ما يدّعيه كل واحد منهما، فتعتبر الحيازة بينهما حينئذ، وتنقطع حجة المدّعي، ولا تسمع دعواه، ولا بينته.

ولا يخفى أن هلاك البينة وانقطاع العلم يختلف باختلاف سن[٤] الشهود، وفي مختصر المتيطي: "في محل أن هلاكهم في عشرين عاما، وفي محل بأزيد من أربعين عاما، وكلاهما مشكل مع ما مرّ من الراجح في القريب الشريك؛ إذ يلزم استواء الأب وابنه مع القريب الشريك على هذا الثاني، وأن يكون[٥] دونه على الأول كما هو ظاهرٌ"[٦].

تنبيهان:

الأول: ظهر مما[٧] قررناه أنّ قوله: (ألا أن يطول... إلخ) راجع للمنفي[٨]، وهو أصل ما استثني منه، فكان حقه عطفه بالواو كما قررناه[٩]، ونحوه في ابن مرزوق[١٠] وغيره، والحاصل أن حيازة الأب مع ابنه إنما تكون بأحد أمرين: إما بالتصرف الأعلى مطلقا، أو بالوسط مع الطول جدا.

الثاني: سكت المصنف عن حيازة البعض، وينقسم[١١] إلى ثلاثة أقسام؛ لأن المحوز إما الأقل، أو الأكثر[١٢]، أو النصف، وذكر أحكامَها ابنُ عرفة عن ابن رشد فقال: "فإن حاز بشيء مما ذكرناه الأكثر،

---

(١) "لا تعتبر الحيازة": سقطت من (و).

(٢) كتاب لأبي عبد الله محمد بن هارون الكناني التونسي (ت: ٧٥٠ هـ)، اختصر فيه الكتاب المسمى: "النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام" لأبي الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المعروف بالمتيطي (ت: ٥٧٠هـ).

(٣) في (أ) و(ب): "البينة".

(٤) في (ب): "من"؛ وفي (ج): "بين".

(٥) في (ج): "يكونا".

(٦) ينظر: شرح الزرقاني: ٤١٨/٧.

(٧) في (ج): "ظاهر ما".

(٨) في (ج): "للنفي".

(٩) في (أ): "قدرناه".

(١٠) ينظر: حاشية البناني: ٤١٨/٧.

(١١) في (ب): "وهو ينقسم".

(١٢) في (س): الأكثر أو الأقل

فالحكم فيه على ما تقدم، ويختلف في الباقي على قولين: أحدهما: أنه تبع للأكثر، يستحقه مع يمينه على ما ادعاه؛ والثاني: أنه لا يكون تبعا، فيكون للمحوز عليه، حقه فيه بعد يمينه على تكذيب صاحبه في دعواه، وإن حاز بشيء مما ذكرناه الأقل، فقيل: يستحقه بحيازته، ولا يكون تبعا لما لم يحز، وقيل: لا يستحقه، ويكون تبعا لما لم يحز، يأخذ المحوز عليه حقه فيه، وإن فوت بشيء من ذلك النصف، أو ما قاربه، لم يكن بعض ذلك تبعا لبعض، له ما حاز، وما لم يحز بينهما على الإرث"[1]. اهـ

ثم اعلم أن المصنف مشى على أنه لا تفترق مدة الحيازة في الأقارب، وفي الأب وابنه في الأصول والحيوان والعروض، بل هي مستوية بالنسبة إليهم؛ وأما بالنسبة إلى الأجانب فتفترق كما أشار إلى ذلك بما هو في قوة الاستثناء من قوله: (عشر سنين)، فقال: (**وَإِنَّمَا تَفْتَرِقُ الدَّارُ**) ونحوها من سائر العقار (**مِنْ غَيْرِهَا**) كعروض ودواب (**فِي**) حيازة (**الأَجْنَبِيِّ**) غير الشريك، والمدعي حاضر ساكت بلا مانع من قيامه بحقه، (**فَفِي الدَّابَّةِ**) تركب (**و**)في (**أَمَةِ الخِدْمَةِ**) تستخدم (**السَّنَتَانِ، وَيُزَادُ**) على ثلاث سنين، لا على سنتين كما يوهمه (**فِي عَبْدٍ**) لخدمة وغيرها كتَجْر، (**وعَرْض**) غير ثوب كأواني النحّاس، وأما الثوب فيكفي فيه عام، وقولنا: في الدابة تركب، تحرز عما لا يركب كجاموس فكالعرْض[2] فيما يظهر، والظاهر أيضا أن استعمال دابة الركوب في غيره كهو، وقولنا: في أمة الخدمة تستخدم، تحرز عن أمة وطء، فتفوت بحصوله كهبة وصدقة كما لابن رشد، فإن لم توطأ فانظر هل كذلك؛ لأنها مظنته. قاله الزرقاني[3].

وقال الحطاب[4]: "قوله: وإنما تفترق الدار من غيرها... إلخ؛ يعني أنه إنما يفرق بين الدار وغيرها في مدة الحيازة بين الأجانب، وأما في[5] حيازة القرابة بعضهم على بعض فلا فرق بين الدور وغيرها، قال ابن رشد[6] في رسم سلف من سماع ابن القاسم من كتاب الاستحقاق: إن الأقارب الشركاء بالميراث، أو بغير الميراث، لا خلاف أن الحيازة بينهم لا تكون بالسكنى والازدراع، ولا خلاف أنها تكون بالتفويت بالبيع والهبة والصدقة والعتق والكتابة والتدبير والوطء، وإن لم تطل المدة، قال: والاستخدام في الرقيق والركوب في الدواب كالسكنى فيما يسكن، والازدراع فيما يزرع، أي فلا

(١) المختصر الفقهي لابن عرفة: ٥١٦/٩-٥١٧.

(٢) في (ب): "فالكعروض".

(٣) شرح الزرقاني: ٤١٨/٧-٤١٩.

(٤) "وقال الحطاب": سقطت من (ج).

(٥) "في": سقطت من (أ) و(ب).

(٦) البيان والتحصيل: ١٤٨/١١.

تكون به حيازة بين الأقارب، قال: والاستغلال[١] في ذلك كالهدم والبنيان[٢] في الدور، وكالغرس[٣] في الأرضين، أي فتكون به الحيازة، ثم قال: ولا فرق في مدة حيازة الوارث على وارثه بين الرباع والأصول والثياب والحيوان والعروض، وإنما يفترق ذلك في حيازة الأجنبي"[٤]. اهـ

قال الحطاب: "علم من كلام ابن رشد أن اللباس في الثياب كالسكنى في الدور، وأنه لا تحصل به حيازة بين الأقارب، ولو طالت المدة؛ أي لا جدا، وأن الاستغلال في الرقيق والدواب[٥] والثياب بمعنى قبض أجرة العبيد والدواب والثياب كالهدم والبنيان في العقار، فلا تحصل الحيازة بين الأقارب في الرقيق والدواب والثياب والعروض إلا بالاستغلال، ويختلف في مدتها على القولين السابقين في قوله: وفي الشريك القريب معهما قولان، أو بالأمور المفوتة[٦] كالبيع والهبة والصدقة والعتق والوطء، ويُعلم هذا من كلام المصنف؛ لأنه لما جعل ذلك مفوتا بين الأب وابنه، عُلم أنه مفوت في حق غيرهما من باب أحرى"[٧].

ثم قال: "والتفصيل الذي ذكرناه عن ابن رشد لا يؤخذ من كلام المصنف، ولم ينقله في التوضيح، وهو أتم فائدة فتأمله والله أعلم"[٨]. انتهى باختصار.

وقال الشيخ مصطفى: "اختصر المؤلف قول ابن رشد[٩] في رسم يسلف حين تكلم على حيازة الأقارب الشركاء بالميراث[١٠]: ولا فرق في مدة حيازة الوارث على[١١] وارثه بين الرباع والأصول والثياب والحيوان والعروض وإنما يفترق ذلك في حيازة الأجنبي مال الأجنبي بالاعتمار والسكنى والازدراع في الأصول والاستخدام والركوب واللباس في الرقيق والدواب والثياب؛ فقد قال أصبغ: إن السنة والسنتين في الثياب حيازة، إذا كانت تُلبَس وتمتهن؛ وإن السنتين والثلاثة حيازة في الدواب، إذا كانت تركب، وفي الإماء إذا كنّ يستخدمن، وفي العبيد والعروض فوق ذلك، ولا يبلغ في شيء من ذلك كله بين الأجنبيين إلى العشرة الأعوام، كما يصنع في الأصول؛ هذا كله معنى قول أصبغ دون

---

(١) في جميع النسخ: "والاشتغال"، والتصويب من مواهب الجليل.

(٢) في (ج): "والبناء".

(٣) في (ج): "والغرس".

(٤) مواهب الجليل: ١٢٨/٦.

(٥) في (ج): "والدور".

(٦) في (أ) و(ج): "المبتوتة"؛ وفي (ب): "المبتولة". وهذا خطأ والتصويب من مواهب الجليل.

(٧) مواهب الجليل: ١٢٨/٦.

(٨) المرجع نفسه.

(٩) البيان والتحصيل: ١٥٠/١١.

(١٠) "بالميراث": سقطت من (ج).

(١١) في (ج): "عن".

نصه. انتهى منه باختصار.

فلم يستند فيما ذكره من التفريق بين القريب والأجنبي إلا لقول أصبغ، فاقتضى كلامه أن أصبغ سوّى بين الرباع والأصول والثياب وما معها في الشركاء بالميراث، مع أن أصبغ فرّق بينهما أيضا، ففي ابن سلمون: قال أصبغ ومطرف: وأما حيازة الشريك الوارث عمن ورث معه في العروض والعبيد بالاختدام[١] واللبس والامتهان منفردا به على وجه الملك له، فالقضاء فيه أن الحيازة في ذلك فوق العشرة الأعوام[٢] على قدر اجتهاد الحاكم عند نزول ذلك"[٣]. اهـ

فعبارة ابن رشد مشكلة؛ ولذا اعترض ابن مرزوق عبارة المؤلف قائلا: "مفهوم الحصر يقتضي مساواة الدار وغيرها بالنسبة للأقارب في مدة الحيازة، ولا عمل على هذا المفهوم لمخالفته النص، قال ابن يونس وغيره عن مطرف: وما حاز الشركاء والورثة من العبيد والإيماء والدواب والحيوان وجميع العروض؛ تختدم وتركب وتمتهن العروض، فلا يقطع حق الباقين، ما لم يطل، والطول في ذلك دون الطول بينهم في حيازة الدور والأرضين بالسكنى والازدراع، وفوق حيازة الأجنبي على الأجنبي"[٤]. انتهى كلام ابن مرزوق.

وما نقله[٥] ابن يونس عن مطرف يرجع لنقل ابن سلمون[٦] عنه مع أصبغ، وقوله: والطول في ذلك دون الطول في حيازة الدور والأرضين بالسكنى والازدراع؛ لأن مدة ذلك بالنسبة للسكنى والازدراع في كلام ابن عاصم[٧] وغيره أزيد من أربعين سنة، ونقله في شرح التحفة عن المنتقى، خلافا لابن رشد في قوله: "لا حيازة بين الورثة الشركاء بالسكنى والازدراع وإن طال الزمان جدا"[٨]، فقد ظهر لك أن أصبغ كما فرّق بين العقار وغيره في الأجنبي، كذلك فرّق في الأقارب؛ وأما ابن القاسم فسوّى بين الأصول وغيرها[٩] في الأجنبي، كما سوّى بينهما في الأقارب، ففيها قال ابن القاسم: "من حاز

---

(١) في (ج): "بالاستخدام".

(٢) "الأعوام": سقطت من (أ).

(٣) تنظر: حاشية البناني: ٤١٨/٧.

(٤) تنظر: حاشية البناني: ٤١٨/٧.

(٥) "وما نقله": سقطت من (س).

(٦) هو سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني، أبو القاسم، من أهل غرناطة، قاض وفقيه مالكي، توفي سنة ٧٦٧ هـ. تنظر ترجمته في: الديباج المذهب: ٣٩٧/١. شجرة النور الزكية: ٣٠٧/١.

(٧) هو أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي، قاضي الجماعة، صاحب النظم الشهير المسمى: "تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام"، توفي سنة: ٨٢٩ هـ. تنظر ترجمته في: نيل الابتهاج: ٤٩١. شجرة النور الزكية: ٣٥٦/١.

(٨) ينظر: مواهب الجليل: ١٢٨/٦.

(٩) في (ج): "فسوى بين الأول وغيره".

على حاضر عروضا، أو حيوانا، أو رقيقا فذلك كالحيازة في الرّبع"[1]. اهـ

قلت: لا يلزم أن يكون التشبيه تامّا حتى تلزم المساواة في المدة لاحتمال أن يكون التشبيه في اعتبار الحوز والاعتداد به، ثم قال مصطفى: "ولم أر التفصيل الذي سلكه ابن رشد من أن التفريق في الأجنبي فقط إلا أنه رجل حافظ، ولعله تفقّه له فتأمل ذلك"[2].

وقد جرى الحطاب على طريق ابن رشد مقتصرا عليه، وأما الأجهوري فقال: "اعتراض ابن مرزوق صحيح، بل ربما يتعين المصير إليه لموافقته لما في النوادر وهو مقدم على ما يدل عليه كلام ابن رشد"[3]. اهـ

قلت: وحاصل ما تقدم في مسألة الحيازة أن أنواعها باعتبار الحائزين ستة: فأقواها: حيازة الأجانب غير الشركاء، ثم حيازة الأجانب الشركاء، ثم الموالي والأختان غير الشركاء، ثم حيازة الأقارب غير الشركاء، ثم حيازة الأقارب الشركاء، ثم حيازة الأب عن الابن، وعكسه وهو أضعفها.

وأنّ التصرُّف الصادر من الحائز ثلاثة أقسام:

أعلى[4]: وهو ما يؤثر تغييرا في الملك بالتفويت حقيقة، أو حكما.

و**وسط**: وهو ما يؤثر تغييرا في الذات مع بقائها.

و**أدنى**[5]: وهو استيفاء المنفعة.

وأنّ الشيء المحوز: إما عقار[6]: وهو سائر الأصول؛ وإما غيره: وهو أنواع:

فإذا كان المحوز عقارا؛ فالحيازة **في القسم الأول** من الستة تكون بأنواع التصرف الثلاثة؛ ففي الأول منها[7] مطلقًا، وفي الأخيرين بالشروط التي عند المصنف.

وفي **القسم الثاني**: تكون بالوسط بشروطه المذكورة، وأحرى بالأعلى مطلقا، دون الأدنى.

وفي **القسم الثالث**: اختلاف؛ محصله: أن تقول في كونهم كالأجانب بِقِسْميْه، ثالثها بأزيد من أربعين، والمعتمد أنهم كالأجانب الشركاء، فيستوي حكم القسم الثاني والثالث، وكذلك الرابع والخامس؛ ففي الوسط فيهما قولان: المعتمد منهما أنه لا بد من الأربعين، وفي الأعلى مطلقا دون الأدنى.

وأما السادس فلا تكون الحيازة فيه إلا بالأعلى مطلقا، أو بالوسط مع الطول جدا؛ فإذا وُجد التصرف

---

(١) التهذيب في اختصار المدونة: ٦٠٩/٣. الجامع لمسائل المدونة: ٥١٦/١٧.

(٢) حاشية البناني على الزرقاني: ٤١٩/٧.

(٣) ينظر قول الأجهوري في المرجع نفسه.

(٤) في (ج): "أعلاها".

(٥) في (ج): "والأدنى".

(٦) في (أ) و(ب): "عقارا".

(٧) "منها": سقطت من (أ).

الأعلى وعُلم، فلا يحتاج معه إلى طول الزمان في الأقسام الستة؛ وإذا كان المحوز غير عقار فأقوال ثلاثة:

الأول: قول ابن القاسم بالتسوية بين العقار وغيره في الأقارب والأجانب مطلقا.

الثاني: قول أصبغ ومطرف بالتفرقة بين العقار وغيره في الأقارب والأجانب، فالعقار على ما تقدم، وغير العقار إذا حازه القريب، فإنما تعتبر الحيازة بما فوق العشرة أعوام على حسب اجتهاد الحاكم، فهذه مدة متوسطة بين مدّتيْ حيازة العقار في الأقارب والأجانب، فهي دون المدة المعتبَرة في الأقارب، وفوق المدة المعتبرة في الأجانب، كما قاله ابن يونس، ولا فرق في المحوز من أيّ نوع كان؛ وإذا حازه الأجنبي، فتختلف المدة باختلاف المحوز كما تقدم.

الثالث: لابن رشد، وعليه مشى المصنف، أن اختلاف المدة باختلاف المحوز إنما هو في حيازة الأجنبي، فيتفق مع أصبغ في هذا الشق، وأما في حيازة القريب، فلا فرق بين عقار وغيره في سائر أنواعه، فليتأمل.

وهذا ما ينبغي ذكره مما يناسب كلام المصنف، وإلا فالمسألة تقبل التطويل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

كمُل ما قيَّده العالم العلامة سيدي محمد بنيس على الحيازة في كلام الشيخ خليل رحمهما الله ورضي عنهما، وذلك سوم السبت عند العصر في شهر الله ذي الحجة قلَّتْ منه أربعة وعشرين يوما، عام اثني عشر ومائتين وألف[2].

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن سودة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الأحكام الوسطى من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- أزهار البستان في طبقات الأعيان، أحمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: عبد السلام العمراني الخالدي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٢٠ م.

(١) "ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم": سقطت من (ج): وكتب مكانها: "وقيده عبيد ربه تعالى محمد بن أحمد بنيس كان الله له ولجميع المسلمين".

(٢) قيد الختام هذا مثبت من (ب).

- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت -لبنان، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لابن رشد، تحقيق محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٩ م.
- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، الدماميني، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، طبعة المحقق - الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- التهذيب في اختصار المدونة، لأبي سعيد البراذعي، تحقيق: محمد الأمين ولد محمد سالم ابن الشيخ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، خليل بن إسحاق، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٩٩٨ م.
- الجامع الكبير، جلال الدين السيوطي، مجموعة من المحققين، الأزهر الشريف – القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الجامع لمسائل المدونة، لابن يونس الصقلي، تحقيق مجموعة من الباحثين في رسائل دكتوراه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
- جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر، أبو عبد الله التتائي، تحقيق: أبو الحسن نوري حسن حامد المسلاتي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة – مصر، (بدون تاريخ).
- زهر الآس في بيوتات أهل فاس، عبد الكبير بن هاشم الكتاني، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، منشورات مطبعة دار النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لأبي عبد الله محمد ابن جعفر الكتاني، دار الثقافة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
- شرح الزرقاني على مختصر خليل، عبد الباقي الزرقاني، ومعه حاشية البناني، ضبط وتصحيح: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.
- الشرح الكبير للشيخ الدردير، ومعه حاشية الدسوقي، دار الفكر، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط ١، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.
- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، ابن شاس، تحقيق: حميد بن محمد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- فتاوى البرزلي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الحجوي الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
- فهرسة الفقيه عبد القادر الكوهن، تحقيق: عبد الرحمان سعيدي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.
- كفاية الطالب الرباني، لأبي الحسن علي بن خلف المنوفي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
- لسان العرب، لابن منظور الأنصاري الإفريقى، دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- المختصر الفقهي لابن عرفة، تحقيق حافظ عبد الرحمان محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.
- مختصر خليل، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- المدونة الكبرى في فقه الإمام مالك، لسحنون، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.
- المراسيل، لأبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس الونشريسي، إشراف محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية – الرباط، ودار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب الرعيني المالكي، دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري، تحقيق محمد حجي – أحمد توفيق، مكتبة الطالب، الرباط – المغرب، ط ١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس أحمد بابا التنبكتي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط ٢، ٢٠٠٠م.

what survives is not the entirety of his work. Nevertheless, we have organized what remains into this collection, preceded by a concise study of his life and the main stylistic and thematic features of his prose. Success is granted only by God.

5. A Treatise: "On Whether Those in Paradise Below the Highest Ranks — the Companions of the Right — Experience Regret or Sorrow" / By Abu 'Abd Allah Muhammad al-Tayyib ibn 'Abd al-Majid ibn Kiran (d. 1227 AH) / Edited and Presented by Dr. Mourad Zekraoui – Kingdom of Morocco

Imam Abu 'Abd Allah Muhammad al-Tayyib ibn 'Abd al-Majid ibn Kiran was among the most accomplished scholars of Fez, renowned for his mastery and precision in the Islamic sciences and the auxiliary disciplines. He was raised in a scholarly family known for knowledge, piety, esteem, and distinction. He excelled in numerous fields—including Qur'anic exegesis, Hadith, jurisprudence, logic, Sufism, grammar, rhetoric, and more. He authored works across all these disciplines and was known for ijtihād (scholarly reasoning) rather than mere imitation. His writings—exceeding or surpassing thirty treatises, commentaries, rebuttals, objections, and answers in various sciences—stand as testimony to this.

6. Compilation and Summary of What the Eminent Imams Stated Regarding Issues of Possession (ḥiyāza) Disputed Among Judges / By Abu 'Abd Allah Muhammad Bennīs al-Fāsī (d. 1214 AH) / Study and Verification: Muhammad al-Dahmani – Kingdom of Morocco

The Mukhtasar of Khalil has received exceptional attention from Maliki jurists and scholars. It is the central reference for study, teaching, legal verdicts, and judicial rulings. Scholars devoted themselves to explaining it, clarifying its meanings, and unveiling its rulings and legal issues—resulting in numerous commentaries, glosses, and notes with diverse methodologies. Some were concise, focusing on unpacking the text and presenting its issues, while others were extensive, concerned with foundational principles, evidence, and exploring related branches.

Among the creative methods scholars employed in explaining the Mukhtasar was dedicating a separate treatise to a single issue from the text, analyzing and commenting on it independently. Many such treatises were produced in this vein, including the work of the scholar Muhammad Bennīs on the issue of possession (hiyāza) addressed in Khalil's Mukhtasar.

Abstracts of Articles

1. Islamic Arts in Algeria: A Persistent Pursuit of Distinction and Shaping a New Identity / Atef Abdessattar – Tunisia

Architecture, as a form of expression reflecting a particular understanding of the world and a defined vision of it, and as a material manifestation of spiritual dimensions and the sacred values of a given community, has come close to the concept of language—through which human beings express their way of understanding life. Architecture thus becomes an encoded message laden with immense meanings and symbols. What truly grants humans their existential distinctiveness is their ability to rationalize the surrounding world in order to adapt to it, creating a network of symbols capable of translating their thoughts and simplifying them, thereby connecting mind with matter and environment. Through this symbolic relationship, humans live, shape their existence, construct their material and moral world, and establish the order of things and relations between themselves and the "other" who is different.

2. The Values of Islamic Arts Between Unity and Universality and Their Impact on Europe / Prof. Dr. Abdel Rahim Khalaf Abdel Rahim – Egypt

This research paper explores the values and characteristics of Islamic arts, and how they creatively and harmoniously combine unity with universality—a combination that grants these arts a continuous and ever-renewing capacity for giving. This unique blend has endowed Islamic art with the distinctive qualities that make it unparalleled in its values, features, elements, designs, and innovations. These characteristics also reflect the art's inherent ability to engage in dialogue, to influence and be influenced by other artistic traditions, without dissolving into them. Instead, Islamic art succeeded in leaving its clear imprint on those traditions.

3. Ibrahim al-Fajiji: The Prince of Hunting Poetry in Ancient and Modern Morocco / Figuig: Mohamed Bouziane Benali – Morocco

Hunting poetry, or taradiyyāt (singular: taradiyya), refers to poems whose central theme is hunting. They were composed by poets passionate about hunting with falcons, trained dogs, and similar means. This poetic genre emerged in the pre-Islamic era, flourished during the Abbasid period, and was mastered by many poets such as Abu Nuwas, Ibn al-Mu'tazz, and others.

Although creative production in this genre has declined today, it remains practically vibrant and powerful—especially in certain Gulf countries that have given it great attention due to its material and cultural significance.

4. 'Abd al-Malik ibn Abi al-Khassal al-Ghafiqi al-Andalusi (d. 539 AH): His Life and the Surviving Prose – Collection and Documentation / Prepared by: Asst. Prof. Dr. Azad Muhammad Karim al-Bajlani – Republic of Iraq

This work collects and documents the surviving prose of 'Abd al-Malik ibn Abi al-Khassal, Abu Marwan ibn Mas'ud al-Ghafiqi, one of the Andalusi writers—an obscure and little-known figure who lived at the end of the 5th and beginning of the 6th century AH. He has not been given his due in research, neither in the past nor today. Time has erased much of his prose, and we are certain that

INDEX

Editorial

Arabic Between Science and Knowledge: New Horizons for a Renewed Field of Inquiry
Editing Secretary 4

Researches Titles:

Islamic Arts in Algeria: A Persistent Pursuit of Distinction and Shaping a New Identity
Atef Abdessattar 6

The Values of Islamic Arts Between Unity and Universality and Their Impact on Europe
Prof. Dr. Abdel Rahim Khalaf Abdel Rahim 33

Ibrahim al-Fajiji: The Prince of Hunting Poetry in Ancient and Modern Morocco
Figuig: Mohamed Bouziane Benali 70

‘Abd al-Malik ibn Abi al-Khassal al-Ghafiqi al-Andalusi (d. 539 AH): His Life and the Surviving Prose – Collection and Documentation
Asst. Prof. Dr. Azad Muhammad Karim al-Bajlani 84

Manuscripts’ Verification

A Treatise: “On Whether Those in Paradise Below the Highest Ranks — the Companions of the Right — Experience Regret or Sorrow”
By Abu ‘Abd Allah Muhammad al-Tayyib ibn ‘Abd al-Majid ibn Kiran (d. 1227 AH)
Edited by Dr. Mourad Zekraoui 117

Compilation and Summary of the Eminent Imams’ Views on Issues of Possession Disputed Among Judges
Abu ‘Abd Allah Muhammad Bennīs al-Fāsī (d. 1214 AH)
Study and Verification: Muhammad al-Dahmani 165

Abstracts 196

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Published by:
The Department of Studies,
Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center
for Culture and Heritage
Dubai - P.O. Box: 55156
Tel.: (04) 2624999
Fax.: (04) 2696950
United Arab Emirates
Email: info@almajidcenter.org
Website: www.almajidcenter.org

Volume 34 : No. 132 - Jumada Al-Akhirah - 1447 A.H. - December 2025

INTERNATIONAL RECORD NUMBER

ISSN 1607 - 2081

This Journal is listed in the "Ulrich's International Periodicals Directory" under record No. 349378

EDITORIAL BOARD

EDITING DIRECTOR
Dr. Azzeddine Benzeghiba

EDITING SECRETARY
Dr. Muna Mugahed Al Matari

EDITORIAL BOARD
Dr. Ababakr El Saddik
Dr. Muhammad Ahmad Al Qurashi
Dr. Fekry Abdelmonem Elnagar
Dr. Mohamed Vadel El hattab

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE

	U.A.E.	Other Countries
Institutions	100 Dhs.	150 Dhs.
Individuals	70 Dhs.	100 Dhs.
Students	40 Dhs.	75 Dhs.

Articles in this magazine represent the views of their authors and do not necessarily reflect those of the center or the magazine, or their officers.

الشروط الخاصة بنشر كتب محكمة ضمن سلسلة آفاق الثقافة والتراث

١ – أن يكون الموضوع المطروق متميّزًا بالجدّة والموضوعية والشمول والإثراء المعرفي، وأن يتناول أحد أمرين:

- قضية ثقافية معاصرة، يعود بحثها بالفائدة على الثقافة العربية والإسلامية، وتسهم في تجاوز المشكلات الثقافية.
- قضية تراثية علمية، تسهم في تنمية الزاد الفكري والمعرفي لدى الإنسان العربي المسلم، وتثري الثقافة العربية والإسلامية بالجديد.

٢ – ألاّ يكون الكتاب جزءًا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه التي أعدّها الباحث، وألاّ يكون قد سبق نشره على أيّ نحوٍّ كان، ويشمل ذلك الكتب المقدمة للنشر إلى جهة أخرى، أو تلك التي سبق تقديمها للجامعات أو الندوات العلمية وغيرها، ويثبت ذلك بإقرار بخط الباحث وتوقيعه.

٣ – يجب أن يُراعى في الكتب المتضمنة لنصوص شرعية ضبطها بالشكل مع الدقّة في الكتابة، وعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٤ – يجب أن يكون الكتاب سليمًا خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع مراعاة علامات الترقيم المتعارف عليها في الأسلوب العربي، وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.

٥ – يجب اتّباع المنهج العلمي من حيث الإحاطة، والاستقصاء، والاعتماد على المصادر الأصيلة، والإسناد، والتوثيق، والحواشي، والمصادر، والمراجع، وغير ذلك من القواعد المرعية في البحوث العلمية، مع مراعاة أن تكون مراجع كلّ صفحة وحواشيها أسفلها.

٦ – بيان المصادر والمراجع العلمية ومؤلفيها في نهاية كلّ كتاب مرتبة ترتيبًا هجائيًّا تبعًا للعنوان، مع بيان جهة النشر وتاريخه.

٧ – أن يكون الكتاب مجموعًا بالحاسوب، أو مرقونًا بالآلة الكاتبة، أو بخط واضح، وأن تكون الكتابة على وجهٍ واحد من الورقة.

٨ – على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن حياته العلميّة، مبيّنًا اسمه الثلاثي ودرجته العلمية، ووظيفته، ومكان عمله من قسم وكلية وجامعة، إضافةً إلى عنوانه، وصورة شخصية ملونة حديثة.

٩ – يمكن أن يكون الكتاب تحقيقًا لمخطوطة تراثية، وفي هذه الحالة تتبع القواعد العلمية المعروفة في تحقيق التراث، وترفق بالكتاب صور من نسخ المخطوط المحقّق الخطيّة المعتمدة في التحقيق.

١٠ – أن لا يقل الكتاب عن مئة صفحة ولا يزيد عن مئتين.

١١ – تخضع الكتب المقدمة للتقويم والتحكيم حسب القواعد والضوابط التي يلتزم بها، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين، قصد الارتقاء بالبحث العلمي خدمةً للأمّة ورفعًا لشأنها، ومن تلك القواعد عدم معرفة المحكمين أسماء الباحثين، وعدم معرفة الباحثين أسماء المحكمين، سواء وافق المحكمون على نشر البحوث من غير تعديل أو أبدوا بعض الملاحظات عليها، أو رأوا عدم صلاحيتها للنشر.

ملاحظات

١ – ما ينشر في هذه السلسلة من آراء يعبّر عن فكر أصحابها، ولا يمثّل رأي الناشر أو اتجاهه.

٢ – لا تُردّ الكتب المرسلة إلى أصحابها، سواءً نشرت أو لم تنشر.

٣ – لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر كتابه بعد عرضه على التحكيم إلاّ لأسباب تقتنع بها اللجنة المشرفة على إصدار السلسلة، وذلك قبل إشعاره بقبول كتابه للنشر.

٤ – يُستبعد أيّ كتاب مخالف للشروط المذكورة.

٥ – يدفع المركز مكافآت مقابل الكتب المنشورة وثلاثين نسخة من الكتاب المطبوع.

Āfāq Al Thaqāfah Wa'l-Turāth

A Scientific Refereed Quarterly Journal

Juma Al Majid Center for Culture and Heritage - Dubai

Volume 34: No. 132 - Jumada Al-Akhirah - 1447 A.H. - December 2025

العنوان: الخميس في أحوال أنفس نفيس
المؤلف: الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن , المكي، المالكي، حي ٩٨٢ هـ
تاريخ النسخ: ١٠٩٤هـ

Title: Al-Khamees fi Aḥwal Anfas Nafees
Author: al-Diyar Bakri, Husayn ibn Muhammad ibn al-Hasan al-Makki al-Maliki (d. 982 AH)
Manuscript Copy Date: 1094 AH

Published by:
Department of Studies, Publications and Foreign Affairs
Juma Al Majid Center for Culture and Heritage